عد جمعة



دار الكاتب العربي

سعد جمعة
رئيس الوزارة الأردنية السابق

مجتمع الكراهية

دار الكاتب العربي
بيروت

الى الشعلة التي خبت

والأسطورة التي ذوت

والأمل الذي خـــاب

أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجُنّته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ، ألبسه الله ثوب الذلّ ، وشمله البلاء ، ودُيّثَ بالصّغار والقماءة ، وضُرب على قلبه بالإسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسفَ ، ومُنِعَ النّصفَ ، الا وإني قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم: اغزوهم قبل ان يغزوكم، فوالله ما غُزِيَ قوم قطّ في عُقر دارهم إلا ذلّوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّت عليكم الغارات، ومُلكت عليكم الأوطان. فيا عجباً ! عجباً والله ، يُميت القلب ويجلب الهم : من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم ...

فقُبحاً لكم وترَحاً ، حين صِرتُم غرضاً يُرمى : يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضون .

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم : هذه حَمارّةُ القيظ ، امهلنا يُسَبّخْ عنا الحرّ !

وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم : هـذه صَبَارّة القرّ ، امهلنا ينسلخ عنا البرد !

كل هذا فراراً من الحرّ والقـُرّ ، فانتم والله من السيف أفـَرّ ، يا أشباه الرجال ولا رجال ! حـلوم الأطفال وعقول ربات الحجال .

لودِدت أني لم أركم ، ولم أعرفكم !

معرفة والله جَرّت ندماً ، وأعقبت سَدَماً . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان !!

علي بن أبي طالب

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي «المؤامرة ومعركة المصير»، كان محاولة متواضعة للاجابة على تساؤلات ثلاثة :

١ – لماذا وكيف وُجدت إسرائيل ؟

٢ – لماذا وكيف غَلبت إسرائيل ؟

٣ – الكارثة حافز ومنطلق ، وأقباس على الطريق ..

وقد حمدت الله وحده ، على ما أحدث كتابي ذاك ، من هزّة ، في المجتمع العربي . موسوعة القَهر والكراهية ، الذي يرزح تحت كابوس قاتم من المذلة ، والشك ، ومن التصفيات المهينة ، ما وقع منها وما سيقع !

ودلالة تلك الهزّة عندي ، أن الأكثرية الصامتة ، تنجذب بحدسها الصادق ، وحسّها المؤمن ، إلى الجرأة والصراحة والاخلاص ، من طول ما عانت من صخب الدجل والإفك والتدليس . وان المواطن العربي ، إذا خُلّيَ بينه وبين عفويّته النقيّة وسجيّته الصافية ، يتأبّى على البَهتِ والختْلِ ، ويهفو إلى ما يعيده إلى ينابيعه الروحية ، وأصوله الحضارية ، بتَوقِ المنْبَتّ ، « لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

غير أن المؤامرة ، كانت أكبر من كل جهد ، فلم تلبث صرخات الصرع في مجتمعنا المريض ، أن أغرقت صوت الحق ، وطغى الحقد ، واستشرت النذالة ، وعمّت الجهالة ، واستُغل البلاء النازل ، لركوب موجـــة الإلحاد والفساد ، والتطفّل على موائد العقائد الغريبة ، وخلت الساحـة من الأشراف المؤمنين بربهم ووطنهم ، واعتلى المنابر نماذجُ هشّةٌ من الغثاث ، نفوسهم قذرة معجونة بالطين والأوساخ .. وهدر هدير الأمواج الفاجرة ، تجرف النقاء والصفـــاء ، وتطمس المروءة والنخوة ، ونهدت جيوش الظلام تدحر طلائع النور ، وآضَ الأمر كله فوضى عارمة وفتنة عمياء ، وفراغاً قاتلاً وضياعاً مخيفاً ، والانسان العربي في مجتمع الكراهية والضلال ، عارٍ معلقٌ في الفضاء ، قد قطع بينه وبين تراثه ، وانسلخ عن حضارته ، وانبتّ اتـّصال حاضره بماضيه ، وخلا الجو لمناكب السوء ، تدمّر مقوماته الروحية ، وتجتثّ جذور إيمانه ، وتلهيه عن معركة مصيره بصراعات مذهبية ليست منه في شيء هي في أحسن أحوالهـا عجز وشَلَلٌ وانهزام !

ووقفنا في صراع وجودنا ، يشدّنا الضياع إلى وراء !

نواجه الإيمان بالكفر ، والدين بالإلحاد ..

ونواجه الواجب بالتخلّي ، والشرف بالخيانة ، والشجـــاعة بالنكوص ، والصمود بالتواكل والتخاذل ..

ومجتمعنا مختلٌ ملتاث ، يلقى التقـــدّم بالتخلّف ، والتجمّع بالشتات ، والتلاحم بالتمزّق ، والمحبة بالكراهية ، والصلاح بالضلال !

وبدل أن تحرّك الكارثة العزائم ، أرّثت الضغائن !

بدل أن تثير النخوة ، كرّست الذلّ !

بدل أن تهيج المروءة ، عمّقت الخزي !

بدل أن تحفز على الثأر ، ساقت إلى الدمار !

حتى لقد كادت الهزيمة ، لولا لطف الله ، أن تصبح قدراً أبدياً لا نملك دفعه ، وعاراً أزلياً لا معدى عن قبوله ، وقضاء مبرماً لا مناص من الرضى به !

والحضارة العربية الإسلامية ، وراء تلك المكاره ، تقف إزاء أكبر تحدٍّ واجهته حتى اليوم ، فهي إمّا أن تصمد للتحدّي ، وتعود إلى ألقِها وأشراقها ، وإلا اندحرت ، وخبا نورها الإلهي ، واندكّت حصونها الشامخة ، وارتدّت مهينة مهيضة إلى متاهات الصحراء ، لا بيد أعدائها فحسب ، بل بيد أبنائها على السواء.. لتبقى إسرائيل وحدها منارة الدفع الحضاري، بين دويلات فسيفسائية طائفية شعوبية هزيلة ، لا تملك من أمرها كثيراً أو قليلاً ، كدول الطوائف والمماليك !

غير أن المعركة لن تكون بالسهولة التي تريدها لها الصليبية الناقمة والصهيونية الحاقدة ، وإذا لم يعِ هذا الجيل التميس أبعاد المؤامرة ، ولم يتعمّق أسبابها ودواعيها ، ولم يدرك أهدافها ومراميها ، فان رواد الخير وطلائع الحقّ لن ييأسوا من رحمة ربهم ، وهديِ نبيّهم ، وسيظلون شاكي السلاح ، لن تفتر لهم همّة ، ولن يعتريهم وهن ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال الليل بكلال النهار ، شعارهم الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وشوقهم أن تتخضّب بالدماء محاسنُ وجوههم في سبيل الله ، حتى يأذن الله للأمة الضائعة ، بقائد مؤمن يرفع راية الجهاد ويعيد قومه إلى الإيمان ، هاتفاً بهم من وراء الغيب : « الله أكبر ، صدق وعده ، ونصر جنده ، وهزم الأحزاب وحده » ..

تلك هي رسالتنا ، وذاك هو موضوع الكتاب ..

- ١ -

المؤامرة والغزو الفكري

مجتمع الكراهية هو المجتمع العربي ، بقضه وقضيضه.. بأنظمته ، ومنظماته ، وأفراده .

كل رئيس يكره كل رئيس
كل قائد يكره كل قائد
كل حزب يكره كل حزب
كل منظمة تكره كل منظمة
كل فرد ، يكره كل فرد
تنسحب الكراهية على كل شيء ، وتغطّي كل شيء .

لقد كان هدف المؤامرة منذ مطلع هـــذا القرن تدمير الاصول الحضارية والينابيع الروحيـــة ، للمواطن العربي ، حتى إذا تعرّى في فراغه الفكري والروحي، كريشة في مهب الريح ، تتقاذفته الشمارات التي صنعوها لنا وقذفونا بها ، يحاول أن يبرد في لظاها ، ضياعه فلا تزيده إلا ضياعاً ، وأصبح المجتمع

العربي مباءة سهلة لكل الضلالات والجهالات ، ومجالاً منسرحاً لعقائد متعارضة متضاربة لا مثيل لزخمها ودخمها في تاريخ الدنيا كله ،فليس من ايديولوجية عرفتها الانسانية في القديم والحديث إلا ويدور حولها صراع ويسقط من جرائها قتلى ، وتسيل دماء ، وغلبت الهمجية والجاهلية والديماغوغية ، حتى نزفت مادة الأمة واختنقت قيمها ، وانطوت تقاليدها ، وجفّت مصادرها ومواردها، ثم هجمت الصهيونية والامبريالية بغزواتها الفكرية المتلاحقة ، تحطم كيان الأمـــة بعد تحطيم روحها ، وتزلزل أخلاقها بعد زلزلة عقيدتها .

ويزيد الصراع فيزيد الفراغ ، وتتفتّت عرى المجتمع ، بأفراده وأنظمته ، فلا مكان لمودّة وتراحم ، ولا سبيل لتجمّع وتلاحم .. وسهل من ثم الانقضاض على الفريسة لا تجد ما يحميها من المحن ويدفع عنها غائلة البـلاء .. مجتمع عفن مهتوك قد امتطى غارب الأحداث فيه السفهاء والجهلة وغثاث المعرفة والسلوك ، يلوكون شعارات مجلوبة ، ويجترون عقائد منخوبة ، يتراشقون تهماً ويتقاذفون شتائم ، والحق غريب في وطنه ، والشريف يتيم على موائد اللئام .. والقضية المقدسة في أيدٍ نجسة في زمن قذر .. حتى يكاد يشعر كل امرىء ان كل شيء موقت ، كل شيء إلى ضياع ، كل شيء إلى فساد وانهيار !

لسان حال القادر : أنج سعد فقد هلك سعيد ، ولسان حال الفــاجر : « خلا لك الجو فبيضي واصفري » .

الفاسدون يلعنون سماء تظل مؤمنين.. واليائسون ابو التحفّز للرحيل. . ودّوا لو استطاعوا رفض الانتماء وتغيير الوطن والتراب ..

متاهات و « مطبّات » ليس فوق الربع الخالي أو صحراء سيناء ، بل من « المحيط الثائر إلى الخليج الهـــادر » إلى ما تعرف وما لا تعرف من دويلات ومحميات ومشيخات الطوائف والمماليك !!

ولو أردت ان أصوّر، بكلمات قليلة ، واقع مجتمعاتنا من خلال واقع الدول التي تعكس همومه واهتماماته لقلت ان معظم أنظمتنا ودولنا هي :

تلك التي يتوقع فيها المرء الذي لم يجترح إثماً اعتداء السلطة عليه كل آن !

التي تعتبرك مجرماً لأنك تنتقد ظلم الظالمين !
التي تضطهد من يقول كلمة الحق ، وتنصر من يقول كلمة الباطل !
التي تعدك بحياة أجمل ، إذا لم تفكر على الاطلاق !
التي تؤثر من ينفق جهده في تملّق الحاكمين !
التي تزيف المبادىء وتزوّر الحقائق ، وتكذب على التاريخ !
التي يجرّم فيها المواطن دون محاكمة .. وإذا حوكم ظُلم !
التي يختار القادة مراكز السلطة التي يحتلونها! فيمارسون الرذيلة دون خوف!!
التي يعيش فيها كل عشرة في غرفة واحدة !
التي يعشش فيها الجهل والفقر والمرض !
التي يفوق فيها عدد الجواسيس عدد الممرضين ، ويزيد عدد من في السجون ، على من في المصحات !
التي تحمل الناس حملاً على الكذب والجريمة !
التي تصدّر قوانين رديئة ، ولا تستطيع حتى أن تصنع أحذية رديئة !!
التي يتاح فيها للجبان ما لا يتاح للشجاع، ويملك فيها الجاهل ما لا يملك العالم!
التي تنتحل صناعة الفكر أكثر من المفكرين .
التي تقهر المواطن على اعتناق ما لا يريد ، وعمل ما لا يحسن ، وقول ما لا يؤمن به !!
التي تحاسب المواطن على أخطاء آبائه وأجداده .
التي يتقاضى فيها بعض الأفراد مرتبات تزيد خمسين ضعفاً على ما يتقاضاه البعض الآخر .
التي تعلي الشعارات القومية كذباً وزوراً .
التي تقترف الجرائم ، ثم تبررها !
التي لا تستطيع التمييز بين التحرر والعبودية .
التي ينعم فيها مثيرو الفتنة ومصاصو الدماء بالحرية الكاملة !
التي لا تحسن التفريق بين التطور الاجتماعي والعدوان المسلح !

التي تدعي معرفة إرادة الناس قبل أن يعبروا عنها !
التي تفسد الناس بإعفائهم من العقوبة بل باقحامهم في الجريمة !
التي تبارك الاستغلال وتحمي الاقطاع !
التي تعادي المنافسة الحرة ، والمساواة في الفرص ، والعدل بين الناس !
التي يضطر فيها المفكرون أن يقولوا ما يقوله القادة والوزراء خشية إرهابهم !
التي يحتكر فيها الجهلة مناهج العلماء !
التي يقف فيها التاريخ خادماً للسياسة !
التي تحرك الناس من النقيض إلى النقيض دون اختيار !
التي يقاسي الناس فيها الوجع قبل أن يستطيعوا الوصول إلى طبيب !
التي لا يهمها أن تكون محبوبة بقدر ما يهمها أن تكون مرهوبة !
التي تقرر من يمكن أن ينتقدها ومتى وكيف !؟
التي يجب أن يكون المواطن فيها معداً اليوم لنقض ما قيل له بالأمس ، مع ضرورة إيمانه بالنقيضين !
التي تقصي الأشراف وتُدني الأنذال !
التي تكره الناس على أن يصفقوا لجلاديهم ويهتفوا لمن ساقوهم إلى الذل !
التي تدعو الناس ببطاقة ليشهدوا « حفلات » المشانق !!
التي تكون فيها القاعدة هي الفساد ، والشذوذ هو الصدق والاخلاص !!
التي تموت بموت شخص وتحيا بحياته .
أنظمة مهزوزة ، ومجتمع فاسد ، ومواطن ضائع .
الدين سلفيّة وخلفيّة ورجعيّة .
والله — جل شأنه — فكرة متحجرة في متحف التاريخ .
والحضارة الاسلامية من مخلفات عصور الظلام !
وبطولاتنا التاريخية ، ليست منا ، ولا نحن منها ، لأننا ثوريّون بأخلاق ثورية ، وعواطف ثورية ، وأفكار ثورية ... وهزائم ثورية !!
وتتنكّر لأمجادنا ، فنستحي أن نحارب تحت راية محمد ، ونفخر أن نحارب

تحت راية « جيفارا » !

تذكرني هذه الحال ، بنيرون الذي نصب حصانه حاكماً على روما !

وتذكرني بالشاعر الروماني « كاتول » الذي نظم قصيدة يهيء فيها نفسه للموت لأن فلاناً من بني قومه قد أصبح قنصلاً !... ترى ماذا كان يصنع بنفسه الشاعر « كاتول » لو قدر عليـــه أن يعيش بيننا اليوم ، حيث يستأسد الأذلة ويتنمر السفاحون !؟

كلا والله لن نهيء أنفسنا للموت ، بل سنكافح وننافح حتى يأتي أمر الله !!

- ٢ -

صراع الإيديولوجيات .. ماذا أعطى وماذا أخذ

أزمة الأمة العربية ، هي أزمة ثقة ، وأزمة أخلاق .

الظاهرة السائدة هي فقدان الثقة بين أنظمة وأنظمة ... بين أنظمة ومنظمات ... بين جيوش ومقاومة ... بين تكتلات وأحزاب ... بين حكام ومحكومين . وفقدان الثقة يؤجج الأحقاد ، ويهيج الكراهية ، فتضيع الأخلاق .

وحين تتهاوى مقوّمات الأمة ، تضمر شخصيتها ، فتنصرف عن البناء إلى الهدم ، عن الصدق إلى الكذب ، عن التلاحم والتماسك إلى التفسخ والانحلال .. عن مواجهة العدو ، إلى خديعة الطبع اللئيم ، واقتتال الأخوة وانتهاك لُحمة الدم وشوابك الأرحام ... عن معركة المصير ، إلى معارك جانبية مفتعلة ، تأكل طاقاتنا وتنزف دماءنا ، وتجعلنا عار الدنيا والآخرة !

كل مصائبنا نفذت الينا من خلال تفريغنا مضامين حضارتنا ، وغفلتنا عن مفاهيم تراثنا !

أين حضارتنا ، من عمالات مأجورة ، وصراخـــات مبهورة ، وأبواق مسعورة ، وصخب طفولي !؟

وأين تراثنا من صراعات يخبو معها كل ضياء ، وشعارات يضيع معها كل رجاء !؟

وكيف يكون شفاء ، وصوت الحق أبحّ ، ونقيق الضفادع يصمّ الآذان ، وفحيح الصلال يملأ الميادين !؟

وهل يكون خلاص ... والراية في يد من استغنوا عن الصمود بالقعود ، وعن الجهاد بالفساد ، وعن المروءة بالصّغار ؟

كل مصائبنا نفذت الينا من تفريطنا بتراثنا وتقـــاليدنا وتنكرنا لديننا وحضارتنا !!

هجمت علينا « إيديولوجيات » الدنيـــا ، تنحت أثْلـَتَنَا ، وتـُمرّغ كرامتنا ، وتجتثّ جذورنا ، وتتركنا كغُثَـاء السيل ، قد أضعنا هويّتنا في هدير تياراتها ، وأنكرنا أنفسنا في « دكاكين » شعاراتها و « دهاليز » معمّياتها ومسمّياتها ..

وحسبنا لجهلنا ، وفقر عقولنا ، وضحولة نفوسنا ، أننا قد هتكنا أستار الغيب ، وبلغنا أبراج السماء !!

وطلعت شمس الحقيقة ، فإذا بالأجنحة التي طرنا عليها مع أوهامنا ، شمع يذوب عند أول لمسة ، وورق يهزأ به الأعصار . وتحطمت أقنعة الزيف على أرضية الواقع ، ويمسّنا العدو مسّة فنتهتّك ونتمزّق ، وإذا بنا ، عشرون عاماً ، نركض في فراغ ونلهث وراء سراب !! ضـــاعت الكرامة ، ونفقت العزة ، وبقي لنا الخزي والعار !!

وننظر اليوم ، بعد رحلة الشقاء ، في قلوبنا الجرّحة وأحلامنا المصوّحة ، في أيدينا المرتعدة ، وسيوفنا المثلّمة ، فنجد أننا خسرنا كل شيء يوم خسرنا الإيمان .

وأضعنا كل شيء يوم أضعنا حافز العقيدة والدين .

وحين لا يكون إيمان ، ولا يكون دين ، لا يكون شرف ولا تكون نخوة ، ولا تبقى أرض ولا أحبّة !!

أخذنا عقائد الأعداء نستر بها عريَنا ، فعرينا !

اقتبسنا مبادىء القوم ننسج منها آمالنا فنسجنا بها أكفاننا !

قذفنا ما في يدنا من معطيات النبالة والأصالة ، وحلية الرجولة والبطولة ، لنملأها سُحتاً ومقتاً ومهانة ، فتعفّرت منا الجبـــاه ، وأقفرت منا المنازل ، وانحدرت الأنوف الشمّ حتى التصقت بالتراب ، وآخر الرجال أشباه رجال !

أردناها ثورة على العدو ، فإذا بها ثورة على أنفسنا وعلى تاريخنا !

حسبناها ثورة انتقام فإذا بها ثورة مذلة وهوان !

أخذنا من ثورات الدنيا جميعاً شعاراً واحداً :

نقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ننهي عن المعروف ونأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ، جهلنا كل خير وتعلمنـــا كيف نهدم ، وكيف ندمّر ، وكيف نحقد ونكره ، ونشيد على الرمل ، ونبني على صفحة التيار !

أنا – يا أخي – لا ألقي خطبة موت ، بل أهتف من وراء الغيب بفجيعة المؤمن ، يُعذر قبل أن يسوق نذره الأخيرة كثمالة الكأس !

اسمع يا أخي ... لقد آن لنا أن نقول ونقول الكثير الخطير !!

كل فلسفات الدنيا ، مضغناها ، ثم خلـّفناهـــا وراء ظهورنا ، وتشبثنا بالعدمية « NIHILISM » ، وفي الأسطر التالية أصف لك خلاصـــة الفلسفة العدمية ، التي هجروها واحتقروها ، ودحرجوها الينا ليسهل عليهم الانقضاض على الفريسة بالطعنة الأخيرة ، وكأن واضعها « سيرجي نيكاييف Sergi Nechayev قد وضعها دستوراً لمفكرينا ومؤسساتنا وأحزابنا فحذقوها ، وطبّقوها ، وجسّدوها ، ومنحوها الحياة ، بعد أن لفظتها الدنيا ، ووطئها الناس !

أقرأ يا أخي ، التطبيق الحيّ للعدميّة في المجتمع العربي . ألست ترى معي ملامح السلبيات والحزبيات ، وصور الهدم والتخريب ، وتدمير كل ما تعارف عليه البشر من قيم خلقية ومبادىء إنسانية ، وعقائد روحية !!؟

يقول أستاذ جيلنا ، ومعلمنا « سيرجي نيكاييف » (!) في الدستور الثوري « العدمية » الذي لم يطبق بحذق ومهارة كما يطبق اليوم في مجتمعنا التعيس :

١ - يجب أن يؤمن الثوري بالفناء الكامل في الثورة ولا يستطيع ذلك إلا من استهتر بالمشاعر والعواطف والعلاقات البشرية .

٢ - يجب أن يؤمن الثوريّ في أعماقه إيمانــاً نهائياً بأنه قد قطع كافة علاقاته بالمجتمع قولاً وعملاً ، وألغى ارتباطه بالحضــارة الانسانية وقوانينها وأخلاقياتها ، ووقف منها جميعاً موقف العداء الحاسم ، وأن العلاقة الوحيدة التي تقوم بينه وبين المجتمع هي تدمير ذلك المجتمع .

٣ - الثوريّ يحتقر منجزات العلم لكنه ينهل منهــا ليستعملها في الهدم والتدمير ، وهو يكره كل شيء ، لكنه يدرس نفسية المجتمع وطبائع الناس للتعجيل في تدمير الأنظمة القذرة !

٤ - الثوريّ يحتقر الرأي العــام ، ويدوس المبادىء الأخلاقية ويعرف الخلق بأنه وسيلة التدمير ، كما يعرف اللاخلق بأنه كل ما يقف في وجه تلك الغاية .

٥ - الثوريّ لا يعرف الرحمــة ، بينه وبين المجتمع صراع دائم مستعر الأوار ، خفيّ وظاهر ، وإلى آخر الشوط . .

٦ - الثوريّ يحتقر العواطف البشرية ، والمثل العليــا كالحب والشرف والإخلاص ، ويستعيض عن ذلك بفكرة واحدة ثابتة هي توقه العظيم للتحطيم .

٧ - طبيعة الثوريّ الصادق ، تجفو المشاعر النبيلة والحمــاس الشريف ، وينسى نبضه الذاتي في سبيل مهمة التدمير !

٨ - الثوريّ يحتقر أواصر القربى ووشائج الدم ، ولا يعترف بأية عاطفة إلا نحو أولئك الذين أثبتوا أنهم مثله رواد ثوريون ذوو أخلاق ثورية ، فهو من ثم يقيس درجة تعاطفه مع الآخرين والتزامه بعلاقاته بهم ، بقدر إيمانهم بالعدمية الثورية ، وفائدتهم لهدف الثورة النهائي الذي هو تقويض المجتمع من أساسه .

٩ - يجب أن يقوم تعاون مطلق بين الرفــاق الثوريين ، ذلك هو ميثاق

الثوري الأزلي ، حيث يسود التنسيق ، وتنمو قوة الدفـع التخريبي ، وتنفذ الأوامر بطاعة عمياء ، وتتم الانجازات بصورة مباشرة .

١٠ – يجب أن يتولى الثوريون الحقيقيون ، إدارة وتنظيم وإرشاد وتوجيه الرفاق الجدد ، واستغلالهم في النشاطات الثورية الهدامة !

١١ – عندمـا يتعرّض الثوريّ لخطر ، فيجب وزن الأمور بميزان حياة الثورة ومصلحتها ، لا بميزان الرحمة والشفقة ، كما يجب التضحية به دون توقف إذا اقتضت الضرورة الثورية ذلك ، أو إنقاذه إذا كان ذا أهمية للثورة ، ولو اقتضى الأمر تعريض سلامة ثوريين آخرين للخطر في سبيل إنقاذه .

١٢ – عندما يثبت الثوريّ المنتسب جدارته العملية ، يمكن عندئذ قبوله في التنظيم ، شرط موافقة جماعية من كافة الأعضاء !

١٣ – عند انتساب الثوريّ للتنظيم ، يكرّس كافة طاقاته في التخريب الكلّي ، ولا يكون ثورياً حقيقياً إذا آمن بـأية قيمة في الحياة خلا قانون الثورة ، فلا يتردد في تدمير كل مؤسسة واغتيال كل خلق ، وتحطيم كل فرد أو جماعة ، ولا يكون ثورياً صـادقاً ، ما لم يضحِّ بقرابته لوالديه وأهله ، ويتخلّى عن مشاعر المودة لأصدقائه وأحبابه .

١٤ – بما أن هدف الثوريّ الأول والأخير ، هو التدمير ، فيتوجب عليه أن يتسلل إلى كافة الأجهزة والهيئات والمؤسسات الوطنية ، حتى الكنيسة ، والقصر الامبراطوري ، ويغزو مجتمعـات الارستقراطية ، وطبقات المثقفين والكتّاب والفنيين ، كما يتوجب عليه ، إذا اقتضى الأمر الثوري ، الانتماء إلى « الطابور الخامس » والتجسس للعدو ، للوصول إلى أغراضه التدميرية !

١٥ – في هذا العالم المجنون ، ينبغي تقسيم الناس إلى طبقات وأصناف : الصنف الأول هم أولئك الذين تقضي مصلحة الثورة بالقضـاء عليهم في الحال دون أي اعتبار إلا لأهميتهم في المجتمع .

١٦ – عندما تقرر الثورة قتل أي شخص ، تزيل من ذهنهـا كل فكرة سابقة من كره وحقد ، ومحبة ، وتزن أهميـة المحكوم عليه بقدر أهميته في

اعتراض مسيرة الثورة ، ومنفعة الثورة في زواله !

١٧ ـ أما الصنف الثاني فهم الأشخاص الذين يسبب بقـاؤهم تأريث نار الثورة ، ودفع المجتمع إلى أسباب النقمة والهياج ، بحيث يغدو وجودهم معيناً للثورة لا ينضب ، وتغدو الثورة بهم قدراً محتماً لا مفرّ منه .

١٨ ـ أما الصنف الثالث فهم الجهلة الذين يحتلون المراكز العالية في المجتمع ، لا بفضل ذكائهم أو تفكيرهم أو مقدرتهم ، بل لأنهم يمتلكون الثروة ويحسنون تملق الرؤساء ، فعلينا أن نستغلّ هـذا النوع الساقط إلى أقصى الحدود ، بتعريتهم وتسقّط مخازيهم وكشف حقاراتهم ، بحيث يصبحون عبيداً لنا بكل ما يملكون من أسباب الجاه والغنى والنفوذ .

١٩ ـ القسم الرابع هم الانتهازيون الوصوليون من ذوي الطموح في خـدمة الدولة ، الذين يتظاهرون باعتناق بعض الآراء والشعارات التحررية المترهّـلة الغامضة ، حسب الظروف ، فعلينا ان نعرف كيف نتجاوب مع هؤلاء ،ونفسح لهم المجالات ليعلنوا دجلهم ، ويفضحوا تدليسهم ، حتى يصل أمرهم إلى السلطة ، فيدفعهم الارهاب إلى الخضوع المطلق لسيطرتنا ، فنقوم نحن بدورنا بفضح ما بقي خافياً من تآمرهم ، فلا يملكون النجاة من قبضتنا ، ويصبحون أداتنا في بثّ الفوضى في داخل الدولة !

٢٠ ـ القسم الخامس : هم حثالة المتآمرين من مدّعي الثورية المتحذلقين الذين يملأون المجالس صخباً وضجيجاً ، ويملأون أعمدة الصحف دعوى مزخرفة لا يؤمنون بها ، بل يتخذونها رداء عنجهية وزينة استعلاء ، فعلينا ان نستحمس هؤلاء لندفع بهم إلى آخر المـدى فلا يملكون فكاكاً من سيطرتنا وتلجئهم عزلتهم إلى الانضواء إلينا ، فنعمد حينذاك إلى استخدامهم في المهمات الخطرة ، حتى إذا أثبتوا جدارتهم ، وقليلاً ما يستطيعون ، عمّدناهم وحوّلناهم إلى ثوريين حقيقيين .

٢١ ـ الصنف الخامس : هم صنف بالغ الأهمية والتأثير ، ويتألف من النسوة اللواتي ينقسمن إلى ثلاث فئات ، الأولى هن النسوة الساقطات وهؤلاء نستغلهن

وفق الأسلوب الوارد في التصنيف الثالث والرابع أعلاه .. والثانيــة ، هن النسوة المخلصات للثورة لكنهن يجبنّ عن الانتماء الكامل لتنظيمنا ، فعلينا أن نعاملهنّ كما نعامل الصنف الخامس من الرجال ... والثالثة هنّ النسوة اللواتي أثبتنَ ولاءَهنّ وإيمانهنّ بمبادئنا وأهدافنـا وأصبحن بذلك جزءاً من التنظيم ، وهذه الفئة هي ذخيرتنا الأولى ، وبدونهن لا نستطيع القيام بأي عمل هام .

٢٢ – ان هدف تنظيمنا هو تحرير الشعب ، ونعني بالشعب طبقة العمال ، ونحن مقتنعون بأن حركة التحرير هذه لن تتم إلا إذا استطعنا تدمير قيَم المجتمع ومثله العليا ومفاهيمه السامية ، وعلينا لبلوغ أهدافنا أن نعمل بدأب لا يكلّ على تكشيف الشرّ والبؤس والتعاسة ، حتى يتململ المجتمع ، ويفرغ صبره ، ولا يجد متنفساً إلا في الثورة الجماعية .

٢٣ – لا نعني بالثورة ، الثورة ذات الطابع الغربي والهوية الغربية المتسمة بوجود مؤسسات وأجهزة وركائز لا تسهل معارضتها كالملكية ، والنظـام الاجتماعي ، والحضارة الدينية ، والمبادىء الخلقية ، إذ تعني تلك المفاهيم ، تغيير الأجهزة القائمة بأجهزة لا تختلف عنهـا كثيراً ، تحت ستار الحكومات الثورية ، بل هي الثورة التي تمحو من القمة إلى الحضيض كل فكرة سابقة ، وكل مفهوم سابق ، وكل قيمة سابقة ، وتهدم كل تقليد ونظام ، وكل ترتيب طبقي سابق .

٢٤ – إذا تفهّمنا الموقف على هذه الصورة ، نجد أن تنظيمنا لا يهدف إلى فرض نظام فوقيّ ... ان نظام المستقبل يجب أن يكون وليد حاجات الظروف الثورية المستجدّة ، وتقرره مؤثرات المستقبل ... ان مهمتنا هي هدم وتحطيم كامل لكل حضارة قائمة !

٢٥ – يستتبع هذا المفهوم ، أننا كلما ازددنا تقـارباً من الشعب ، ازددنا تلاحماً مع القطاعات الحاقدة الناقمة الموتورة على كل مؤسسة وكلّ مفهوم خلقي ، فتقف معنا بعناد وشراسة في وجه النبلاء والبيروقراطيين ، ورجـال الدين ، مجسدة في المغامرين والمجرمين واللصوص والسفـاحين الذين يمثلون في الحقيقة

طبقة الثوريين الحقيقيين !!

٢٦ – تركيز وتكديس وحشد قوى الشعب في قوة ضاربة واحدة متلاحمة متماسكة ، مهمتها التدمير .

هذا هو هدفنا ، وتلك هي مؤامرتنا !!

*

ونقرأ اليوم دستور الثورة الشريفة ! والثوريين الأشراف ! فكأنما نقرأ « بروتوكولات حكماء صهيون » ، ويصدمنا الواقع الفاسد المنحل الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية اليوم ، فلكأنّ الكاتب الروسي « سيرجي بيكاييف » مؤسس الفلسفة العدمية NIHILISM يعيش اليوم بيننا ، يرصد الحركات الثورية في العالم العربي ، ويصف تردّي المجتمع العربي ؛ حتى ليكاد الواحد منا في أي قطر عربي يشير باصبعه إلى التصانيف والفئات التي تضمّنها دستور العدميين، ويصرخ: انظروا ! هذه من تلك الفئة ، وهذا من ذلك التصنيف !! ولكأن الغزو الفكري الذي قذفتنا به الامبريالية وربيبتها الصهيونية العالمية ، جعل منا « حقل تجارب» لتطبيق دستور «نيكاييف» تطبيقاً حذقاً لئيماً، لتدمير قيمنا الروحية ، وأصولنا الحضارية ، ومبادئنا الأخلاقية ، وتقاليدنا النبيلة في النخوة والشهامة ، ليسهل على المؤامرة افتراسنا دون عنـــاء ، فتشرذمت مجتمعاتنا وانتكست مقوّماتنا ، ووقفنا في عريننا الذليل ، لا نقوى على دفع القضاء ، وردّ البلاء ، والذود عن الكرامة ..

وتستشري المؤامرة كل صباح، فيبني أعداؤنا ونهدم، يربضون على صدورنا، ويدنّسون مقدساتنا، ويحتلّون أرضنا ويشرّدون أهلنا، ويهتكون أعراضنا ، فنلقاهم نحن بنباح الشعارات ، وعواء المهاترات ، وصخب النقاش البيزنطي ، ونزيف الدم العربي بالأيدي العربية ، وضياع الجهد القومي والوحدة الوطنية في صراع الايديولوجيات ... هم يخططون لسنة ألفين ، ونحن نجترّ مآسينا ، ليس لنا خطة ، وليس لنا قضية ، أمة ضائعة مشلولة مفككة الأوصال قد تنكرت

لماضيها ، فأنكرت حاضرها ، ولعنت مستقبلها ، وهي تتمطّى اليوم في يأسها القاتل ، تنتظر القدر الجانح ، يستعدي بعضنا على بعض ، وتهاجم جيوشنا جيوشنا ونحوّل القتال من الجبهة إلى الشوارع، ونحترب بضراوة على بعد عشرين ميلاً من عدونا الذي هتكنا ، ورسم لنا مصيرنا ... مصير الخزي والهوان !

ويا عجباً لا ينقضي ! تحيق بنا هذه الكوارث ، فلا تحرّك همّة ، ولا تثير عزيمة .. لاستئصال شأفة « السرطان » قبل ان يمتد ، ومعالجة الارتكاس القذر الذي نتأرجح فيه !!

يا عجباً لا ينقضي ! لماذا لا نجمّع قوانا ، ونعبىء طاقاتنا ونوحّد صفوفنا ، ونعلنه جهاداً في سبيل الله ، ومعنا مائة مليون عربي ، وستمائة مليون مسلم .. فنستعلي على غرض الدنيا ، ونستخف بوعيد العدو لوعيد الله !

قيل لأعرابي : أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالماً أو مظلوماً ؟ قال : ظالماً. قيل له : ويحك ولمَ ؟ قال : ما عذري إذا قال لي : خلقتك سويّاً قوياً ، لِمَ لمْ تستعدّ ؟

وكان « الخارجي » يخرج وحده للقاء جيش بكامله، فيخشى عليه صحبه من هلاك مؤكد، ويجيئونه بابنه ، عسى أن يراه فيحنّ إليه، فينثني عما هو فيه..

ماذا ترى يقول ؟.. هل يتخاذل ؟ هل يتقاعس ؟ هل ينكفىء ؟ هل يتمحّل لنفسه المعاذير ؟.. هل يتخلّف عما يراه جهاداً في سبيل الله ؟

يقول مخاطباً من جاؤوه بابنه رجاة أن يثنوه عن حلمه الكبير الذي يعيش من أجله ويموت من أجله : « والله يا قوم إني إلى طعنة نافذة أتقلّب فيها على كعوب الرمح أحبّ إليّ من ابني !! »

الله أكبر ! أعقمت أمة المائة مليون أن تصنع لنا عدداً من أمثال هذا الخارجي !؟

أكنا عندئذٍ نذلّ لإسرائيل .. أكنا عندئذٍ ، نأكل خزياً ، ونشرب هواناً ، ونتزاحم على موائد الأعداء، ونذهب نستجدي عطف أميركا وروسيا، وأخواتها ، وإسرائيل تدلّ على الدنيا بقوّتها وضعفنا ! والناس في أقطار

الأرض ينجذبون للقويّ ، ويستخفّون بالضعيف ! فينصرون عدونا ، كِفاءَ ما نستخذي نحن ونستمرىء طعم العار !

وما قيمة مائة مليون عربي ، كثرتُهم ، بلاء ، وهباء ، ووباء !

ماجدوى الفئة الكبيرة الجاحدة المقطّعة ، إزاء الفئة الصغيرة المؤمنة المتراصّة .

ألا يشينُنا أن تغلب فئتنا القليلة امبراطوريتي الفرس والروم ، يوم كنا نموذ بإيماننا من غَلَبة الذلّ ، ونهتف في وجه البغي : لست بمعجز الله والجاهدين في سبيله .. ثم نكون نحن ما نكون !؟

ألا يُخزينا أننا أبناء أولئك الذين وضعوا نُصب أعينهم أن يجاهدوا لإعلاء كلمة الحق ، ولذا آلوا أن لا يموتوا حَتْفاً ولكن قَطْماً بأطراف الأسنّة ..

وكيف نكون مائة مليون ، ومعنا أموال « قارون » ، ثم نرضى عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولا جَرَمَ أنهم في الآخرة ، هم الأخسرون ؟..

ومن يرغب عن الهدى إلا من سَفِهَ عقله ، وما هو بضارٍّ به من أحد غير نفسه وأهله وذراريه !؟

حتى جعلنا الله نكالاً لما بين يدينا وما خلفنا .

ان ما نراه من تفتّت مجتمعنا بين يمين ويسار ، وتقدمي ورجعي ، وشمارات أخرى اصطنعوها هو تفتّت هروبي جبان... الانقسام الحقيقي هو بين مؤمنين وغير مؤمنين ، بين أكثرية صامتة وأقلية صاخبة كاذبة .. بين انتماء لتراثنا الفكري والروحي وبين تبعيّة ووثنيّة وخيانة .. بين من يرون القضية تجارة وانتفاعاً وبين من يرونها قدراً ومصيراً .. بين من يجعلونها سلعة في سوق المساومات الدولية ، وبين من يعتنقونها مبدأ وغاية ، ونخوة وحميّة !!

ومن يُهن الله فما له من مكرم .

-٣-

طريقة جيفارا أم طريقة صلاح الدّين

الكارثة التي أصابتنا ، تضعنا أمام قـَدَر حتم ، وتحدٍّ مخيف ، فاما أن نكون قد فقدنا القدرة على البقاء ، وأما أن نصمد بطاقاتنا الكامنة ، وحوافزنا الروحية ، ومقوّماتنا الحضارية !

نستطيع من ثم ، أن نقرر : ان معركتنا مع عدونا خاسرة طالما تنكرنا لتراثنا وأنكرنا عقيدتنا ، وتآمرنا على ديننا مع المتآمرين !

اننا لا نستطيع تحقيق شعار « ثورة حتى النصر » بـ « الفداء » على طريقة « السنيور جيفارا » بل بالجهاد على طريقة « صلاح الدين » !

لا نستطيع أن ندفع العار ، تحت علم « جياب » بل تحت راية « محمد بن عبدالله » .

ثم قولوا بالله : لماذا تسمونها ثورة ؟.. ثورة ضد مَن ؟ وعلى مَن ؟ وفي سبيل ماذا ؟

قد نستطيع فهم جدوى الثورة لو ارتفعت ساريتها في قلب إسرائيل ، لا

في « حيّ المصاورة » ومخيم البقعة » وجبل الحسين » !؟

وهل يعني ذلك أنها حركة إيديولوجية إجتماعية ، لا معركة تحرير !؟

ثم ... لماذا تقولون : « فدائيون » ! ولا تقولون : « مجاهدون » ! اذلك لأن الجهاد – ويحكم – يجسّد الرفض الاسلامي لذلّ الكارثة وعار الهزيمة ؟... أيكون فداء – ويحكم – دون جهاد ، ويكون جهاد بلا دين !

حتى الألفاظ ، نستأجرها ، ونستوردها ، فتفقد في يدنا معانيها ، ويخبو بريقُها ، وتصبح مادة اتهام ، ودلالة انهزام !

اننا لا نستطيع مقاومة المؤامرة إلا بمعرفة أبعاد المؤامرة وإحباط مخطط المتآمرين ...

لا يستطيع محو العار ، إلا الثأر للعِرض والأرض والشرف ، لا الحرص على الشعارات والايديولوجيات ولا التلهّي بحماية الأنظمة والحكام !

قضيتنا ، هنا في فلسطين ، لا هناك في الكونغو وفيتنام !

إن ربط قضيتنا بالثورة العالمية ، يكون له معنى وجدوى بعد أن ننفض عن أرضنا دنس الصهيونية ورجس العدوان !

ما قيمة كل « أيديولوجياتكم » إذا كان جيش الدفاع الإسرائيلي يستطيع أن يقضي على الايديولوجية وأصحابها في غمضة عين !!

إن ربط مصيرنا بحركة التحرر في العالم وانتظار أن تجيئنا العدالة ويأتينا النصر ، بعد نجاح تلك الحركة ، هو مجازفة واستهتار ، وسخف وضلال ، وضياع ما بعده ضياع !

ان قضيتنا ليست قضية تحرير فحسب ، بل هي قبل كل شيء وبعد كل شيء ، قضية تدمير حضارة وإزالة أمة من الوجود ... وإسرائيل هي رأس الجسر الذي غرس في قلب وجودنا ، ليكون أداة الإزالة والتدمير !

إنها قضية موت أو حياة ، فكيف نرضى لها أن تتضاءل إلى معركة من معارك الحرب الباردة بين مصالح العمالقة ؟!

حطموا رأس الجسر ، ثم قولوا ما تشاؤون !

اما قبل التحرر من الخطر المحدق ، فكل انشغـــال عن المعركة المصيرية ، معركة الفناء أو البقاء ، هو ترف وتفريط وتفريـغ للارادة العربيـــة من شحنة القدرة والعزيمة والمضاء .

أترى تلك معضلة غامضة أم أحجية تستعصي على الوضوح وتحتاج إلى نقاش كثير وحوار طويل ؟

كلا .. بل هي النفوس المريضة ، تفزع إذا حزب الأمر إلى الأمل الكاذب والتمني الخائب واليأس المريح !

هي العقول القذرة التي تهرع إلى ضجيج الشعارات في « بيزنطة » وجيوش الغزاة تدقّ الأبواب !

هي النفوس المهينة التي تتلهّى عن مكاره الجابهة وشرف الجهـاد بالمكاسب الثورية في شوارع بيروت وعمان !

هي كذلك الأنظمة الهازلة التي كلما اشتطّ العدو ، وغلا في نزوات غروره الوقح ، انصرفت عن مناخ المعركة إلى مزايدات التشرذم والشتات !

أمن المصادفة العفوية ان يزيد الانقسام كلما زادت نذر الالتحام ؟

كلما علا هدير « التصفية » تعالت بيننا الشتائم والمهاترات والاتهامات ، وحمي وطيس المعركة بين « قحطان وعدنان » بين العرب والعرب، لا بين العرب وبين الأعداء !

هي كذلك المنظمات الفدائية التي بلغت العشرين أو تزيد بكل خلفيّاتها وانتماءاتها ، ولم تستطع بعد مرور أربع سنين طوال ثقـال .. وبالرغم من كل النذر التي تحتشد بها الأجواء ان تلتقي على خطة ، تلمّ شتاتها ، وتوحّد صفّها ، وتدفع عن حوضها العملاء والمتآمرين ..

نفعل كل أولئك ، ثم لا نستحي ان نقول: الدول الشقيقة والمنظمات الرفيقة واخوة السلاح !!

انظروا إلى الحقد الأسود يأكل الأخضر واليابس وتذوب في قعقعة السلاح العربي ، شوابك القربى ووشائج الأرحام بين مسفوك الدم ومسفوح النجيع !

انظروا كيف تتحول معركة استنزاف العدو إلى استنزافنـــا ... وهدر طاقاتنا !!

أعرفتم أمة تتآمر مع عدوها على نفسها وآمالها كما نفعل نحن !

أعرفتم « فداء » يمين على قدره ويُزري بقدسيته كما نصنع نحن !

انظروا إذن بالله ، كيف تنطوي النخوة ، وتنزوي المروءة ، ويطير الأمل ، وتضوى الثقة ، ونصبح سُبّة الدنيا وخزي الآخرة !

كل حزب بما لديهم فرحون .. نفرح بتماسة الذل ، نأكل خبزنا بعار يومنا ، ونبيت ليلنا الأسود لنلقى المهانة من الغداة ! ولا نستحي أن نقول : إننا أربع عشرة دولة ومائة مليون ... وما نحن في عين الحقيقة إلا أربعة عشر صفراً ، ومائة مليون «درنة» لكل منها رأي، ولكل منها عقيدة، ولكل منها قضية !

لو اجتمع خمسة منا في غرفة لخرجنا بستة أحزاب ، في مجتمع الكراهية والانحرافات ...

من الحديث الشريف : « الكثرة غير العاقلة كغثاء السيل ، لا هو نبات تغذوه الأرض الغنية ، ولا هو حطب يستوقده النـــاس ناراً ، بل هو أشياء ضائعة ، تأخذها التيارات من كل أقطارها ، ثم تقذف بها إلى جوف العدم في مياه المحيط » . صدقتَ يا رسول الله !

سبب الكارثة ، قيادات حاقدة، تذلّ أمام عدوها وتستأسد على شعوبها .. قد فقدت القدرة على مواجهة مسؤولياتها ... وأمة ضائعة في مجتمعات ممزّقة بالصراعات الايديولوجية ، أخذناها مقتاً ، وتطوّقنا بها سفهاً وضلالة ، يحارب الناس من جرّاها ويختصمون ، والعدو بخير ، وتشغلنا عن المواجهة المباشرة بمعارك جانبية ، تصل بنا إلى « كوبا ، وبوليفيا والفيتنام » ، وتقعد بنـــا عن الوصول إلى قناة السويس ، وغور بيسان وجبل الشيخ !

نمضغ شعارات : الحرب الشعبية ، الجبهة الوطنيـــة ، القوى الثورية ... ثورية الدولة ، ثورية المعركة ، دور « البروليتـــاريا » في حركة التحرير ، التقدمية ، الرجعية ، الامبريالية ، نضال الشعوب ، الثورة العالمية ، العمالة ،

الأخلاق الثورية ، مبادىء « تشي جيفارا » ، خطة « جيـــاب » ، دستور « ماوتسي تونج » . انحرافات « كاسترو » ، خلافات روسيا والصين ، التحرك الامبريالي في « تشيكوسلوفـــاكيا » ، التمييز العنصري ، وجنوب افريقيا وروديسيا ، « الفهود السود » ، ولا يتأدّى بنا هذا اللغو ، إلا إلى مؤتمرات السلم والاستسلام !!

ونغضّ الطرف ، بل نحاول بجهدنا التملّص ، والتخلّي ، والبعد عن شعار واحد ، يجب لو عقلنا وصدقنا ان يشغلنا عن كل شيء ، ويغنينا عن كل هرطقة وصراخ ، هو شعار « الثأر » ولا شيء غير الثأر .. الثأر قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء. وكل ما عداه ترف عقلي ، وانحراف فكري ، وانهيار نفسي وخلقي ما بعده انهيار ..

لو فهمنا معنى الثأر .. ووعينا معنى الإيمان ، لعلمنا ان قتال المسلم للمسلم كفر ، واعتداء العرب على العرب خيانة .. وان تدميرنا من الداخـــل ، هو هدف المؤامرة ..

ويصبح ، من ثم ، لأخوة السلاح قداسة ، ويصبح الجهاد كما يجب أن يكون ، جزءاً من ديننا وإيماننا وغرض وجودنا ، كما يصنع أعداؤنا .. وإذا نحن لم نفعل كما يفعلون ، ذهبت ريحنا ، وانتهت أمتنا وعقيدتنا إلى زوال ولو استعنا بكل « انكشارية » اليمين واليسار ، وبكل مبادىء « الجدليـــة المادية » ومفاهيم « الحريـــة والديمقراطية » .. وبكل نصائح « العم سام » والأخ « كاسترو » والرفيق « جيفارا » ..

ان جهاد أخ باكستاني ورفيق أفغاني مثلاً ، إلى جواري في غور أبي عبيدة ، وشواطىء اليرموك ، من أجل عقيدتنا المشتركة وحضارتنا الواحدة ، أشرف وأكرم وأفضل عند الله والناس ، وأصدق بواعث وحوافز ، من كل الشعارات التي تحسّن لنا التخاذل ، وتزيّن لنا التواكل ، وتمنّيني بانتظـــار ثورة التحرر العالمية ، لتحميني من إسرائيل ، وحتى لو جاء « الترياق من العراق » فان تلك الثورة ستشمل إسرائيل نفسها كما يقولون ، فتسود المنطقة أخوة العقيـــدة ،

وتتحطم على صخرة تلك الأخوة ، عنعنات القومية ، وغيبيات الدين (!) ، وتغدو إسرائيل أقرب إلى ثوريتهم من رجعية الإسلام والمسلمين !

ان أنسى لا أنسى ما قاله لي القائد المسلم « محمد أيوب خان » حين رافقته من عمان إلى القدس ، أثناء زيارته الأردن بُعيد عدوان « السموع » قال لي وفي عينيه بريق يتجاوز مشارف المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ، إلى الدّنى المنسرحة وراء الأرض المحتلة : « ان حلمي الكبير ، هو أن أقضي مجاهداً عند أسوار هذه المدينة المقدسة » !

فهل أحسنّا استغلال هذا الحماس الديني ؟.. ومن نحن في تفاهتنا وتماسكنا وخيبتنا ، حتى نُحسن الخير ؟! ونغفل الصواب ؟

- ٤ -

قضيّة مقدّسة في ايد نجسة

هذا الفصل ، مقتطفات مختصرة مقتبسة من وثائق رسمية وحزبية ، تؤكد أسباب هزيمتنا ، وتعطيك الدلالة القاطعة على تخلخل بنـــاء المجتمع العربي .. مجتمع الكراهية والضلال (١) .

كل دولة تلعن أختها !

كل حزب يطعن صِنوَه !

كل قيادة سياسية تعلن خيانة كل قيادة أخرى !

أعداء اليوم ، هم رفاق الأمس ، ومعظم من في السجون كانوا في دست السلطة قبل حين !

أشراف الأمس ، هم أنجاس اليوم !

وطنيو السنة الماضية ، هم عملاء مأجورون في السنة الحالية .. ثم هم حكام بسيف مصلت على رقاب الناس ، في العام المقبل !

١ - « وثائق النكسة » لقدري قلعجي ،

حتى المنظمات الفدائية لم تسلم من لعنة الخلافات ، وأين عن طينتها تعدو ، وهي إنما تعكس واقع الكراهية !؟

أيها الناس .. أيها العرب .. أيها المسلمون .. اسمعوا أغرب ما طرق أذن ، وأعجب ما شهدته عين !

انظروا إلى الأمم كيف تتماضل عليها أمورها ، وتمتاص بها سبلها ، وتخيّم بها الدنيا حين تتخلى عن عقيدتها ودينها وتزورّ عن تراثها الفكري والروحي !.

إليكم غيضٌ من فيض ، وقلة ضئيلة من كثرة مخيفة لا ينضب لها معين ، مما كان يقوله قادتكم وساستكم وزعماؤكم وأحزابكم ، على عتبة الكارثة وفي أعقابها ، لتعرفوا كيف هزمنا وانتصرت إسرائيل ..

من بيان لحزب البعث السوري في ٢٨-٩-١٩٦٣ : « يعتمد نظام الحكم في القاهرة على التيار الناصري ، وهو التيار الذي تدعمه القاهرة وتتألف قياداته من مرتزقة عهد الوحدة ومن الأذناب والانتهازيين والعملاء ، وبقـايا عناصر المباحث والمخابرات » !

فيردّ عليهم الرئيس المرحوم في خطاب بالاسكندرية بتاريخ ٢٢-١٠-٩٦٣ : « ان حزب البعثيين يتحالف اليوم مع الاستعمار ، ومع أعوان الاستعمار . ان حزب البعث لا يستطيع ان يحكم إلا إذا فرض الإرهاب بالحديد والنار . انه حكم فاشيستي لا يمثل الشعب .. انه حكم بنى وجوده على الدم . حينما يكون حزب البعث خارج الحكم فالحرية عنده هي الحرية البرلمانية الغربية ، اما حين يكون في الحكم ، فالحرية عنده هي حرية الحزب ! شعار الحرية بالنسبة للبعثيين هو أن يحرم الشعب كله من الحرية ، وتترك الحرية لحزب البعث وحده . هذا هو مفهوم الحريـة عند هؤلاء الساسة الذين احترفوا سرقة الشعارات وسرقة المبادىء ! »

ومن خطاب آخر للرئيس في ٢٢-٧-٩٦٣ : « اننا لا نعتـبر الجمهورية العربية المتحدة مرتبطة بأية وحدة في الهدف مع النظام الفاشيستي القائم في سوريا . يستحيل علينا التعاون مع نظام قائم على الغدر والخيـانة ، بعيد عن

الإنسانية ، متّصف باللاأخلاقية . ان قبولنا خيانة لقضية الوحدة العربية ، وللشعب السوري » !

فيردّ عليه « ميشال عفلق » : « ان السياسة التي اتبعتها البيروقراطية الإقليمية اللاعقائدية التي تحكم القاهرة ، كانت مع الأسف الشديد ، نسخة عن سياسة الأجهزة التي تحكم القاهرة قبل عام ١٩٥٢ ، أي سياسة إقليمية توسعية قصيرة النظر ، تخطط وتعمل لإضعاف الأقطار العربية ، لتبقى هي المتفوقة والمسيطرة » !

من منشور سري للحزب الشيوعي السوري في ١-١-١٩٦٤ : « ان سياسة البعث في سوريا والعراق لم تكن إلا سياسة مدروسة ، رسمها وخططها عملاء للاستعمار مندسّون في قيادة البعث من أمثال « ميشال عفلق » وصلاح البيطار ، وعلي صالح السعدي وزمرتهم » !

يقول «محمد عمران» في المؤتمر القطري الاستثنائي في دمشق في ١٧-٣-٩٦٤ : « حينما زرنا العراق ، أثرنا موضوع القسوة في قتل الشيوعيين ، فكان الرأي ان المنفّذين هم الحزبيون البعثيون . وجرت حادثة ذات مرة ، أن كُلّف ضابط بعثي بإعدام اثني عشر شيوعياً ، فقال : أنا لا أذهب إلا لإعدام خمسمائة على الأقل » !

من بيان للقوى الوحدوية في دمشق : « ما كاد حزب البعث يستلم الحكم حتى عَمِيَ عن الموقف الشعبي العام ، فسقط في الدوّامة المهلكة فقاده ذلك إلى حماية حكمه بالأساليب الفاشيّة الدموية ، منتهياً إلى السقوط في خيانة قضية الوحدة ، والمساومة على الاشتراكية ، وانتهت القيادة الجماعية في ظل الضمور الشعبي والقصور الفكري إلى حفنة من العسكريين تمارس حكماً عسكرياً سافراً تحت لافتة الحزب وباسمه ، الرأي فيها لمن يملك عدداً أكبر من الدبابات . وانتهى التنظيم الشعبي إلى مجموعة من الأجنحة يقاتل بعضها بعضاً ، وتتوزّع ما بين متعصّب موتور أو انتهازي طامع ، أو متورط متخلّف ، وتحوّل الجيش من قوة محاربة إلى قوة بوليسية ، وظيفتها قمع الشعب وإدارة عمليات التعذيب » !

من بيان للقيادة القومية لحزب البعث في ٣-١٠-١٩٦٤ : « لقد أصيب الضمير العربي بهزة مؤلمة للأنباء الواردة من العراق، عن الحملة الإرهابية الشرسة التي يشنها حكام ردة تشرين ضد جميع المواطنين المتمسكين بالعروبة والديمقراطية وحقوق الشعب .. هذه الحملة التي أعادت العراق إلى أوضاع كالأوضاع الخانقة التي عاشها في ظل نوري السعيد وقاسم ، بل أشد سواداً» ! ..

يقول « ميشال عفلق » في المؤتمر القطري الاستثنائي بدمشق في ١٧-٣-١٩٦٤ : « لكن عندما يصبح الحزب حاكماً لا تجري انتخابات ، والقيادة لا تجتمع ، والأفراد كل منهم يعمل على هواه .. انني أشعر بالقلق والذعر والخوف .. اننا نفرط بحزبنا وبلادنا ، نتيجة الخفة والطيش والاستهتار . ان أخطاء الرفاق أخطر من تآمر الآخرين، لأن أخطاء الرفاق هي التي ستدفع إلى التآمر » !

ومن بيان للاشتراكيين العرب في سوريا في آب ١٩٦٤: « ان نظرة موضوعية لواقع سوريا ، تبيّن بوضوح ان هناك افتراقاً بين الشعب والسلطة . ان الأسباب الحقيقية للوضع الذي نراه هو تزييف الشعارات .. شعارات النضال السياسي التقدمي ، والتلاعب بمضامين هذه الشعارات ، فالعمل السياسي ، والتنظيم الحزبي والحريات العامة والخاصة ، حقوق غير معترف بها ، بحيث ان أبسط الحريات التي تتيحها النظم التقليدية لا وجود لها ، زيادة على وجود منظمات شبه عسكرية معزولة عن الشعب تتحكم بمصيره » !

ويقول نور الدين الأتاسي في ٣١-١٠-١٩٦٤ : « اننا مع العمال في العراق في سجونهم ، ونحن واثقون ان الصوت الذي نسمعه من العراق هو صوت السلاسل التي تتكسّر » !

فيجيبه عبد السلام عارف في ٧-٢-١٩٦٥ : « لقد كانت ثورة رمضان معدّلة للانحراف ، وموجهة الضربة القاضية إلى صدر الشعوبية الحاقدة على العرب والإسلام .. ولقد دخل جماعات في هذه الثورة – يقصد البعثيين – ظننا بهم الخير، وتوسّمنا فيهم النجدة، وانخدع بهم فريق من شبابنا الصالح، ولكنهم

كشفوا بعد قليل عن نياتهم، وظهرت شعوبيتهم الحاقدة على العروبة والإسلام، وتبيّنت عمالتهم للصهيونية والاستعمار، وأرادوا أن يطبّقوا تفاهة رئيسهم الملحد – يعني عفلق – المتحلل من كل قيد إنسانيّ وسماويّ الحاقد على العرب والإسلام .. وهؤلاء هم يعرضون فظائعهم على العالم في سوريا الحبيبة، لقد خلا لهم الجو، فنفذوا مخططاتهم الإلحادية المجرمة، فسلبوا أموال الشعب، وأعدموا الأحرار، ويتموا الأطفال، ورمّلوا النساء، وهدموا المساجد، وحرقوا القرآن، وقتلوا المصلين .. انهم يسمون كل تقدم عربيّ، رجعية لأنهم يخافون صوت العروبة والإسلام » !

قال الرئيس عبد الناصر في ١-٥-١٩٦٥ : « أول مبارح رئيس وزراء سوريا أدّى تصريح لجريدة فرنسية يقول فيه : « ان نظام الحكم في سوريا هو شبيه لنظام حكم عبد الناصر، ولكن فيه فرق واحد، ان احنا البعثيين نتمسّك بالديمقراطية . الديمقراطية اللي هو بيتكلم عليها هي طبعاً ديمقراطية حزب البعثيين في أن يقتل الناس ويحطّهم في السجون، وفي ان يتآمر. طبعاً البعثيين دايماً ناس كدابين، ناس متآمرين، وحكمهم فاشيستي مبني على الإرهاب، مبني على الدماء.. مبني على القتل. حكم البعثيين مصطنع. الواحد بيستغرب لما شايفين البلد كلها ضدهم . إيه هي الأهداف اللي قاعدين من أجلها .. بيقولوا وحدة وحرية واشتراكية، وهم غدروا بالوحدة، وغدروا بالحرية . الحرية بقت سجون ومعتقلات، والاشتراكية اللي بيتكلموا عليها اشتراكية مزيّفة » .

وقال الرئيس أيضاً في ٣١-٥-١٩٦٥ : « طيّب النهار ده إذا كنا غير قادرين على الدفاع، أزاي نتكلم على الهجوم .. إذا تكلمنا عن الهجوم نبقى منهرّج ! بيقولوا فيه البوليس الدولي، والبوليس الدولي بيمنع مصر عن الحرب. طيب نشيل البوليس الدولي، وبعدين حنعمل إيه ؟! بيقولوا حاربوا، لازم نحارب إسرائيل النهار ده، ليه ؟.. قد تتمنى إسرائيل فعلاً ان نحن نحاربها النهار ده ! »

فتجيب جريدة « البعث » في دمشق في ٢-٦-١٩٦٥ : « عندما وجّه

عبد الناصر الدعوة إلى مؤتمر القمة العربي الأول كان في رأس شعارات المؤتمر والدوافع إليه : منع إسرائيل من تحويل نهر الأردن ، وانتهى المؤتمر ، وانقلب الشعار من منع إسرائيل من تحويل نهر الأردن إلى قيام الدول العربية بتحويل روافد نهر الأردن . واليوم يقف عبد الناصر ، ليدعو الأمة العربية إلى تأجيل تحويل روافد الأردن حتى نستطيع تأمين الحماية .. تدحرجت قضية التحرير إلى منع تحويل الأردن .. إلى تحويل عربي .. إلى لا شيء الآن » !

وقالت جريدة « الثورة » الدمشقية : « لقد اعترف عبد الناصر بأنه لا يمكن استثمار الروافد بدون حماية .. الروافد تحمى بقوة ردع عربية مشتركة ، تحوّلت إلى تنصّل كامل من القدرة على منع التحويل الإسرائيلي ومن جدوى الاستثمار ، فماذا بقي من عبد الناصر بالنسبة لفلسطين !؟ »

فتردّ « الجمهورية » المصرية بتاريخ ٦-٦-١٩٦٥ : « نحن نسأل : إذا كان حزب البعث جادّاً في إيمانه بالمعركة الحاسمة في فلسطين ويطالب بها الآن ، فلماذا سرّح العديد من الضباط والجنود المدرّبين ، وزجّ بآخرين في السجون .. ان الشعب المنكوب بهم يعرف ان جيشهم العقائدي لن يستطيع إنقاذ فلسطين بعد أن جردوه من أفضل عناصره ، وجعلوه قوّة بوليسية للارهاب ، وحين اضطروا إلى التحويل وواجهتهم إسرائيل بضرب المراكز التي كشفها « كوهين » ، أصبحوا أمام أزمة جديدة ، فلا تحويل بلا حماية ، ولا حماية إلا بالطيران ، وهم قد سرّحوا الطيارين ، وإلا باستدعاء الاحتياطي لمواجهة الحشد الإسرائيلي ، وهم لو فعلوا لاشتدت على نظامهم الأخطار ، إذ لعاد جيش الحزب ، جيشاً للشعب . البعثيون إذن من وراء كل الشتائم وكل الأماديح ، ومن وراء الاعتراف بالضعف ومزاعم البطـولة ، يريدون من العرب أن يدافعوا عن نظامهم في دمشق ، وفلسطين في هذا المجال سلاح ناجع ! »

وتقول « الجمهورية » في ٧-٦-١٩٦٥ كذلك : « يقول البعثيون في تبرير إضعافهم للجيش ، ان كل حكم لا بد أن يستبعد العناصر المعارضة له .. المهم عندهم أولاً هو الحكم .. حكمهم ، سواء رضي الشعب أو غضب ، سواء قوي

الجيش أو هزل .. المهم هو حكمهم ، لا فلسطين ، ولا خطر العدو على سوريا ، وعلى بقية التراب العربي .. تماماً كما كان المهم أولاً هو الحزب ، يوم كان صالح السعدي يقول : انه يفضل أن تنتظر الوحدة مائة سنة على أن يضحي بقيادة الحزب لها » !

وتقول جريدة « العمل والعمال » البغدادية في ٧–١٠–١٩٦٥ : « ان هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بحركة القوميين العرب،ومن لف لفهم لن يستطيعوا إخفاء علاقتهم بالدوائر الاستعمارية والمخابرات الأجنبية ، فإلى اليقظة والحذر يا جماهيرنا الوحدوية والاشتراكية المناضلة ، والخزي والعار لحركة القوميين العرب ، عملاء الدوائر الاستعمارية الأجنبية » !

ويصرخ عفلق في ٢٥–١٢–١٩٦٥ : « إني يائس من هذا الوضع ، الثورة تكاد تكون منتهية . الثورة تموت .. تموت لأنها خانت ذاتها وخانت مبادئها . ان وجود عسكريين في القيادة وفي الحكم مع احتفاظهم برتبهم العسكرية وقطعاتهم العسكرية ، هو ابتعاد عن المنطق الثوري الجماهيري .. ان وجود هؤلاء العسكريين هو في الجيش وليس في قيادة الحزب. وعندما يكون الضابط في القيادة السياسية ، فانه يكون قائداً حزبياً لا قائداً شعبياً . ان لغته لن تكون لغة العقيدة ، ولغة الحوار الموضوعي ، وإنما لغة القوة والسلاح » !

ويؤيده علي صالح السعدي فيهتف : « لقد انتهى حزب البعث تاريخياً وموضوعياً » !

القيادة القومية لحزب البعث في بيروت تقول في ٣٠–٤–١٩٦٦ : « قم بتشكيل قوة عسكرية ضاربة سريعة الحركة ، تستولي على الإذاعة ، وتعلن نجاح الانقلاب والقبض على أعضاء القيادة التي لا تعجبك ، ثم أبعد عدداً من الضباط الذين لا يرون رأيك ، وقرّب أولئك الذين يدينون لك بالطاعة والولاء .. وإذا أنت على رأس السلطة .. ثم اعقد مؤتمراً تستبعد فيه كل من لا يوافقك ، وتعيّن فيه كل من يسير معك . وإذا بك تتمتع بسلطة رسمية » !

ويقول صلاح البيطار في ٢٤–٩–١٩٦٦ : « لقد تأكد لنا انه لم يعد هناك

ثورة ولا ثورية ، بل هي الجهالة والجاهلية التي تفهم الثورية على أنها قمع للشعب بالدبابات والمدافع والمخابرات والسجون ، والضرب والإرهاب والتعذيب ، وفي رأيي ان الحكم العسكري ، والانقلابات العسكرية ، أصبحت اليوم آفة القطر السوري .. ثورة ثورية ، ثوريّ ، سيـــاسة ثورية ، موظف ثوري ، وحل ثوري .. ألفاظ تتردد على كثير من الألسن وفي كثير من المناسبات،هي الجواب على كل سؤال ، والحل لكل مسألة ، والتبرير لكل تدبير يتّخذ بحق الأفراد أو المجتمع » .

ويقول محمد حسنين هيكل في ٢-٦-١٩٦٧ : « مهما يكن ، وبدون محاولة لاستباق الحوادث فان إسرائيل مقبلة على عملية انكسار ، تكاد تكون محققة ، سواء من الداخل أو من الخارج !! »

وتعقب جريدة «الجمهورية» القاهرية، قبل الكارثة بأيام فتقول: « في ساعات قليلة يمكن أن نسحق إسرائيل بغير استعمال كافّة أسلحتنا في المعركة ! »

وتقول جريدة « البعث » السورية في مقال لها في ٢-١٠-١٩٦٦ ، تصف الدكتور منيف الرزاز : « ان الأمين العام للحزب عميل مرتمٍ في أحضان المخابرات الانكليزية والمخابرات الأميركية .. انه منذ زمن بعيد معروف بحماسته لسياسة التهادن مع الاستعمار ، انه ثوريّ هبط إلى المسارب الخفيّـــة ليتآمر ويعمل على التطويح بنظام الحكم الثوري من الخارج بالتعـــاون مع الاستعمار وطابوره الخامس . انه قطب الرحى في مؤامرة ١٠-٩-١٩٦٦ وانه كان صلة الوصل بين الفئات الحزبية البعثيـــة المتآمرة على الحكم البعثي ، وبين دوائر الاستعمار الأميركي التي خططت وموّلت المؤامرة وأمرت بتنفيذها » !

*

أما بعد الكارثة فقد انهدم « المسرح » على رؤوس أصحابه غير ان الممثلين بقوا هم الممثلين ، وهرعوا إلى العراء يصيحون ويصرخون ويماحكون، مع تغيير الأدوار والمواقع ، وتبديل الشعارات والانتقال من طور الاقتحام والتبجّح

والغرور إلى طور بلادة الحس ، وذهاب ماء الوجوه .. إلى النقد الذاتي الذي اكتشفوه واخترعوه ، لتبرير العار .. وليبنى مسرح الدجل من جديد فيأخذ الممثلون — إياهم — أماكنهم ، وتبح حناجر القطيع المغشوش المخدوع ، المغطّى على بصره وبصيرته .. وهو يصفق للهزيمة ويهتف للمهزومين !!

اقرأ ، ولا تعجب لشيء بعد اليوم .. فأنت تقرأ لقادة الأمة العربيـــة ، وكفاك بذلك شهيد !

- يقول الدكتور نديم البيطار الذي يهبط إلينا من كندا ليمنحنا بركاته الثورية: « ان حزيران هو اليوم الذي يصلح لأن يكون رغم كل مظاهر الهزيمـة ، يوم الثورة العربية الكبرى .. ذلك ان الثورة العربية الأولى بقيادة عبد الناصر إنما كانت ثورة « البورجوازية الصغيرة التي تبني جيشاً نظامياً لمصارعة إسرائيل في حين ان الجيش النظامي هو جيش بورجوازي .. اما الثورة الكبرى فهي التي ستبني الدولة العربية الواحـدة والجيش « البروليتاري » فتحرر الأرض وتقيم الاشتراكية ، وترسخ حكم الطبقة الكادحة » .

ونسي الكاتب استتباعاً لمنطقه الوقح ان يقول : ويعود الاخاء بين الدول العربية وإسرائيل ، حين ننفض عن أنفسنا مساوىء القومية والدين ، ونغـدو تحت راية « الجدلية المادية » أصدقاء وخلاناً !

ويقول الدكتور صلاح البيطار صادقاً في البيان الذي أعلن فيه انسحابه من حزب البعث في ١٠-١١-١٩٦٧ : « ان حركتنا الثورية كانت فاشلة » !

فيردّ عليـــه الدكتور نور الدين الأتاسي : « ان الهدف الأول للعدوان الاستعماري الصهيوني على الوطن العربي هو التصدّي لمسيرة الثورة العربية ، وإسقاط الأنظمة التقدمية » !

وهل شيء بالله كان نعمة لإسرائيل أكثر من تلك الثورة وتلك الأنظمة !؟..

ويقول اللواء عبد العزيز العقيلي في ١٢-٦-١٩٦٧ : « ليس هناك في التاريخ المسجل كله مثل واحد ، صفق فيه شعب منهزم ، لقائد منهزم ! »

وتقول مجـلة « الحوادث » البيروتية في ١٢ — ٧ — ١٩٦٧ : « لقد كانت

الوطنية العربية يتيمة يوم المعركة ... لقد سقطت الوطنية من حساب الأنظمة العربية وحل محلها الولاء للنظام ... أن علامة الصدق الرئيسية في الاستعداد للجولة المحتومة هي التقيد بشعار « الوطن فوق النظام » ! وإلا فاننا نسير منذ الآن لتكرار المأساة » !

ويقول منشور باسم حركة القوميين العرب صدر بدمشق في ١١–٧–٩٦٧: « منذ اليوم الأول للهزيمة العسكرية ، بدأت أوساط الحكم تعلن أن الهدف الأساسي للعدوان ، هو إسقاط نظام الحكم الثوري في دمشق ... ومن هذه الفرضية للهزيمة ، وصل الحكم إلى سلسلة من القناعات أهمها :

١– ما دام القصد الأساسي هو اسقاط نظام الحكم في سوريا ، فان العدوان قد فشل في تحقيق مراميه ، وبالتالي فان ما قدمه البعث لهذه الأمة ، يتمثل في مقدرته على الحفاظ على نفسه ، وبهذا المعنى ، يكون قد حقق انتصاراً ضخماً.

٢ – ما دام القصد هو اسقاط البعث الحاكم ، فان أية محاولة ضد البعث هي مؤامرة امبريالية صهيونية » !

وتقول اذاعة دمشق في ٢٠ – ٨ – ١٩٦٨ : « ان الدعوة لتوسيع أسس المقاومة تحت شعار « الجبهة القومية » هي دعوة غايتها تفريغ المدّ الجماهيري العربي الذي أيقظته مدافع المراكز العربية التقدمية التي اندلعت كثيفة ومركزة على مواقع ومرتكزات الاستعمار الامبريالي ، وليس ذلك سوى دعوة صريحة للتخلي عن الثورة الاجتماعية ، ولعل نجاح هذه الدعوة المشبوهة ، يعادل بالضبط نجاح عدوان ٥ حزيران في تحقيق أغراضه ، أي أنه ما دام قد فشل العدوان العسكري في إسقاط مراكز الثورة التقدمية العربية فليحاول تفريغها من مضمونها على الأقل » !؟ – هكذا والله !! –

وتقول القيادة القومية لحزب البعث في بيروت في ١٧ – ٤ – ١٩٦٨ : « إن قوى الشعب المناضلة في القطر العربي السوري لن تكون قادرة على الاسهام الفعال بإزالة آثار العدوان ومجابهة إسرائيل ، في ظل الحكام الحاليين طالما أنهم لم يحاربوا وقت الحرب ، بل هربوا من المعركة ، وتخلوا عن الدفاع عن أرض

الوطن لحماية حكمهم الثوريّ الراهن . وطالما أنهم ما انفكّوا إلى يومنا هذا يسرّحون ضباط الجيش ويرهبون الشعب ، ويفتّتون قواه الوطنية ، ويغذّون النعرات الطائفية ، ويلاحقون المناضلين الأحرار ، ويزجون بالألوف منهم في السجون والمعتقلات ، ويمارسون معهم أبشع وسائل التنكيل والتعذيب » !

وأعلنت « الأهرام » في عددها ٤-٥-١٩٦٨ : « ان برنامج (٣٠ مارس) قد نال موافقة المواطنين وتأييدهم في الاستفتاء الذي جرى يوم ٢-٥-١٩٦٨ بنسبة ٩٩٫٩٨٩ في المائة !..

ومن وصية المرحوم عبد الحكيم عامر : « اننا ورّطنا أنفسنا في حرب مع إسرائيل دون أن نريدها ، ودون أن نأخذ المبادرة أو نهيء الوقت لها .. ولا يكفي ان نقول اننا نتحمل المسؤولية . اننا قادرون على تحمل مسؤولياتنا فقط عندما نشرح للشعب كيف اتخذت المقررات التي أدّت إلى تدمير جيشنا » !

ويقول هيكل في تبرير الهزيـــمة في مقالاته في شهر تشرين الأول ١٩٦٧ :

« الحقيقة الأولى : اننا كنا نواجه عدواً تلقـّى مساعدات غير عادية .

الحقيقة الثانية : ان عدونا تصرف بما حصل عليه من الإمكانيات ببراعة غير عادية .

الحقيقة الثالثة : اننا تصرفنا أمامه ، بقصور غير عادي .

ان الضربة التي فاجأتنا كانت متوقـّعة بالطريقة التي جاءت بها تقريباً وفي الوقت الذي جاءت فيه تقريباً أيضاً .

لكن الفشل في توقـّيها كان مذهلاً !

لقد صعق الجنرال « موردخاي هود » قائد طيران العدو الذي قامر بالعملية على أساس نجاحه في الضربة الأولى .. صعق قبل غيره عندما جاءته نتائجها !

ويقول هيكل في ١٠-١١-١٩٦٧ : « لقد تيقنت الأمة العربية انه ليس بالشعارات تتحقق أماني الشعوب » !

ويقول في ١٧-١١-١٩٦٧ : « ان الذين يمارسون الإرهاب ليسوا أصحاب عقائد مهما ادعوا » .

ويقول في ٣٠-٦-١٩٦٨ : « ان خطأنا الأول هو ان ألفاظنا جميعاً كانت تعبّر في كثير من الأحيان عن أكثر مما نقصده ، وأكثر مما نستطيعه ! »

ويقول في ١٨-٨-١٩٦٨ : « قال لي « خروشوف » أثناء نقاش معه سنة ١٩٦٤ : لماذا تتكلمون كثيراً عن القومية ، ليس هذا عصر الانحصار في الحدود الاقليمية . ان هذا هو عصر العالمية .. ان الصراع الطبقي على المستوى العالمي هو الذي يجمع ويفرّق .. والطبقات العاملة في أوروبا أقرب إليكم من الطبقات الحاكمة العربية » !

ويقول الرئيس الجزائري « هواري بومدين » في ٢٧-١١-١٩٦٨ : « من المؤسف ان هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ لم تحثّ عدداً أكبر من المثقفين والزعماء العرب على التخلص من اللغو الخطابي العقيم » !

ومما قاله الرئيس عبد الناصر في الشيوعية والشيوعيين في خطبه المتعددة في مصر وسوريا اثناء الوحدة ما يلي بالنص الحرفي :

« المؤامرات التي دبرها الشيوعيون ضد بلدنا لم تنجح ، لأنهم لم يجدوا بين ربوع هذه الأرض الطيبة من يبيع وطنه أو يقبل التبعيّة ، أو من يخون بلاده ويقبل أن يكون عميلاً أجنبياً ... لقد آمنوا بالتبعية وآمنوا بالعمالة للأجنبي ليجرّوا بلادهم داخل مناطق النفوذ » .

« الشيوعيون عملاء ، وكلنا نعرف أنهم عملاء ، والشعب العربي يعرف كيف يدافع عن قوميته وكيف يدافع عن ديانته وإيمانه وينبذ الإلحاد ... ونحن في القاهرة أيها الأخوة نعرف ان الشيوعيين عملاء ولم نسمح بقيام حزب شيوعي في مصر ، لأننا نعرف أن الأحزاب الشيوعية لا تعمل بوحي ارادتها ، ولا لمصلحة بلدها ، ولكنها تعمل بوحي خارجي ... ونحن لن نقبل أن يحكمنا العملاء ، لأننا حين آلينا على أنفسنا أن نتخلص من أعوان الاستعمار ، آلينا على أنفسنا كذلك أن ينتهي عهد العملاء » !

« نريد لبلدنا أن يكون وحدة واحدة ليس فيها فئة تعمل مع الرجعية والاستعمار وفئة تعمل مع الشيوعية الحمراء ، والشعب العربي حين كافح من

أجل حريته ومن أجـــل قوميته ، لم يقدم الشهداء ليسلم الوطن العربي إلى الشيوعيين العملاء ، لتسود التبعية مرة أخرى في أرجاء بلادنا !

لقد حاول الشيوعيون بكل وسيلة أن ينفذوا إلى الجيش في مصر ، لكنا كنا على بيّنة من أمرهم ، ولم نكن نستطيع أن نغيّر إيماننا ونؤمن بالألحـــاد والتبعيّة !

ولقد حاول الشيوعيون أن ينفذوا إلى الثورة ، وكنت أحد الناس الذين حاولوا أن يقنعوه ويضموه إلى مدرستهم ومبـــادئهم ولكنني رفضت لسبب بسيط هو أنني لا يمكن أن أؤمن بالإلحاد والتبعيّة ، ورسالة الشيوعية مبنية على الإلحاد والتبعيّة » !

« تحاول الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية تفتيت الشعب العربي وبلبلة أفكار الشعب العربي ... ولكن كل محاولاتهم ذهبت هباء لأن الشعب العربي حينما حارب من أجل الاستقلال كان هدفه الكبير استقلالاً ناجزاً لا مكان فيه للعملاء » !

« نحن العرب ، نحن المسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة من العالم ، نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ونؤمن بالأخوة الانسانية وبالتكافل الاجتماعي ، وبالإيثار القائم على الاختيار لتوثيق الروابط الانسانيـــة ! ونؤمن بأن لكل فرد في الدولة حقاً وعليه واجباً يكافىء هذا الحق ، وان على الدولة لكل فرد فيها واجباً ولها عليه حقاً يكافىء هذا الواجب ، فهي تبعات متبادلة بين الحكام والمحكومين ، ليس فيها قهر ولا إذلال ولا تسلط ولا طبقات قليلة العدد من السادة وطبقة ضخمة من العبيد ... كل مـــا بيننا وبين الشيوعية في مذهب الحكم أو في مذهب الحيـــاة ان الشيوعية دين ... ولنا دين ، ولسنا تاركين ديننا من أجل دين الشيوعية » !

وتقول الخطة السياسية للبعث العراقي الحاكم كما جاء في جريدة « الأنوار » في ٢٧–١١–١٩٦٨ : « ان الاندفاع والحماس في مناهضة الاتجاه القومي والوحدة العربية ، قد أعطيا عملية التعبئة الجماهيرية التي كرّس لها الشيوعيون معظم

طاقاتهم ، طابعاً اقليمياً انفصالياً ، بل مظهراً شعوبياً جامداً دون مبرر » .

ويقول لطفي الخولي في ١٥–١٢–١٩٦٨ : « تتحدث عن المؤسسات الحزبية ، أليست هي الأخرى مهزومة الآن .. ألم تسقط مع من سقط في ٥ حزيران ، بل لعلها قد سقطت قبل ذلك ، بدليل ان ٥ حزيران كان ، ولو انها في المستوى المطلوب لما كان » !

*

وبعد لقد طال هذا الفصل دون إرادتي ، وأنا لو شئت أن أسجل كل مهاترات ومشاحنات ، ومفارقات ومعارضات ، ومعاضلات ومتناقضات ومماحكات وسخافات الحزبيين ذوي الشعارات المدلسة المرتكسة في الوحل ، قبل الكارثة وبعدها ، لسودت بياض الألوف من الصفحات ، وأقسم أن كبدي يتفطر أسى ، وقلبي يقطر دماً ، ونفسي تذوب حسرات ، وأنا أسرد هذه النفايات ... لكنني قصدت أن أقدم للقارىء أمثلة وعينات من نقاش غربان السوء ، مما هيأ للحثالة أن تسود ، وللخيانة أن تقود ، وللعمالة أن تستشري ، وحين يكون هادي الطريق جائراً ضالاً ، ومعتسفاً مغامراً وجاهلاً كاذباً ، فالهزيمة التي أذلت كرامتنا ، قدر حتم يتفق مع طبائع الأشياء ، ويتسق مع منطق التاريخ !

وأنا أستأذن القارىء ، بعد أن أغثيت نفسه بذاك البلاء النازل ، أن أتبعه بنشرة حزبية جاءتني في لندن قبل قليل ، ممن يسمون أنفسهم طليعة الاشتراكيين ، خاصة بالأعضاء فقط — كما قالوا — أسجلها بنصها لما تضمنته من وثائق ووقائع وحادثات ، وأهل مكة أدرى بشعابها منا :

« ولد البعث في فاتح الأربعينيات وفي مرحلة دقيقة من تاريخ أمتنا العربية ، وتاريخ العالم ... ولقد كان من أهم أبعاد تلك المرحلة :

١ — كانت رحى الحرب العالمية الثانية ما تزال تدور بين الحلفاء والمحور ، وكانت ترقبها وتكتوي بنارها شعوب العالم الثالث ومنها شعوب أمتنا العربية ،

التي كانت تعاني آلام الاحتلال الغربي وتحاول أن تستشرف آفـــاق ما بعد انتهاء الحرب كي تحدّد لنفسها مكاناً في إطار عالمها وأوضاعه .

ب — أدى تطور المجتمع العربي منذ فاتح القرن العشرين إلى بروز قوى البورجوازية العربية ، تجارية وصناعية وشاغلة لوظائف الادارة ومحتكرة أو شبه محتكرة ، لفرص التعليم . وقائدة لثورات وطنية ، منها مثلاً ثورة ١٩١٩ ، ومتسببّة هي أيضاً في انتكاسة مثل هذه الثورات حين ركبت موجتها وانحرفت بها عن تحقيق مصالح العمال والفلاحين ، وقود العمل الثوري ، وأصحـــاب المصلحة الأولية فيه .

ج — في إطار هذا الواقع ... واقع الوطن المستعمر المتخلـّف المكتوي بنار الحرب ، كانت تعتمل وتتفاعل ثلاثة تيارات فكرية وسياسية واجتماعية :

١ — التيار الاقليمي :

وكان ينادي بفرعونية مصر ، وفينيقية لبنان ، وبابلية العراق... وتحرسه في الوقت ذاته حدود موهومة رسمت في وزارات المستعمرات ، تفصل نضال المشرق عن المغرب ، وتمهد لزرع كيان الاستعمارية الصهيونية في المنطقة العربية .

٢ — التيار الأممي :

وكانت تطرحه وتجسّمه أحزاب اليسار الماركسي وقواه ، وأحزاب اليمين الرجعي في الوطن العربي — الأولى ترفض وجود حركة قومية عربية ، وترفع شعار أخوة « البروليتاريا » على مستوى العـــالم كله ، والثانية تقول بأممية إسلامية تتجاهل بدورها الرابطة العربية القومية .

٣ — التيار القومي :

وكان يطرح نفسه على استحياء في جزء من الوطن العربي ، وأحياناً بشكل دفع ثوريّ في جزء آخر ... يربط بين وحدة القوة العربيـــة وقوى الوحدة العربية بين تناقض التجزئة وتناقض التخلـّف ... يستنفر في وجدان الجماهير وفي ضميرها ذلك الحسّ العربي القومي ، والانتماء إلى أمة واحدة صانعة حضارة متطلعة إلى حياة أفضل .

ومن هنا كانت الجماهير العربية ، صادقة مع نفسها حين تطلعت إلى التيـار الأصيل ، التيار العربي القومي ، بحيث شكل هذا الوضع موجة تطلع جماهيري في الشام على وجه الخصوص ، تهدف إلى تكريس التيـــار القومي وتحويله إلى حركة سياسية فاعلة في المجتمع العربي .

وقد ركب البعث هذه الموجة ...

ولدت فكرة البعث نتيجة تلقف ميشيل عفلق خرّيج إرساليات التبشير في سوريا . كتاب السياسة العربيـــة المعاصرة « لجورج كيرك » ... وتلقف زميله صلاح البيطار أفكار « زكي الأرسوزي » الذي نزح إلى دمشق إثر سلخ لواء الاسكندرون سنة ١٩٣٩ ، منادياً بأهمية بعث الأمة العربية حتى يمكنها استعادة أراضيها وكرامتها .

وحمل الحزب معه بذور السلبيات التي ما تزال كامنة فيه حتى الآن وهي :

١ — التمزق المستمر إلى أجنحة ، تهدف كل منها إلى تحقيق مصلحة أفراد وتجمّعات شلـّية .

ب — محاولة ستر هذه التمزّقات بشعارات التقدمية والثورية مع تخوين الآخرين وإفراغ كل مضمون ثوري وأخلاقي من فكرهم وسلوكهم ، وذلك تحت شعار : « مَن يزايد أكثر يكسب أكثر » .

ومن هنا انفصل تجمع عفلق والبيطـــار عن الأرسوزي صاحب الفكرة وباعثها في نفوس طلابه ومريديه ، كذلك أبى الأرسوزي نفسه أن يتعاون مع عفلق وزملائه ، متهماً إياهم بالتعـامل مع المخابرات الفرنسية . وتعتبر مـأساة الأرسوزي — كما يقول مطاع الصفدي في كتابه حزب البعث — أول قضيـــة كبرى في نشأة حزب البعث على يد عفلق الذي سرق طـــلائع الأرسوزي وعقيدته الجديدة وساهم في ابعاد هذا المناضل المفكـّر الفذّ عن ساحة العمل الفكري والنضالي .

كان لعدم وجود قيادات نضالية للحزب ، بحيث تتمتع بالقدرة على الرؤية العلمية للواقع العربي ، وتتمتع بالصلابة النضالية إزاء ما يعرض على الطريق من

عقبات ... كان لهذه الحقيقة أثرهـــا في توالي الظواهر السلبية وتراكمها على مستوى البعث ككل ، وبحيث أصبحت حركة منفعلة لا فـــاعلة ... مجرد ردود فعل لتحرّك الآخرين ، رجعيين كانوا أو تقدميين .

وعلى سبيل المثال :

يقوم حسني الزعيم بانقـــلاب في سوريا ظهر مؤخراً أنه كان بوحي من المخابرات الاميركية ، فإذا بالحزب يؤيد الانقلاب اليميني طمعاً في المنـــاصب تحت شعار الحصافة والتكتيك .

يعتقل حسني الزعيم ، ميشيل عفلق ، فيبدأ الهجوم على الوضع الجديـــد تحت شعار الثورية والتقدمية .

ما أن يلمح عفلق ، قائد الحزب وعميده ومفكره ، قضبان السجن حتى ينشر رسالة مشهورة حافلة بالاستجداء إلى حسني الزعيم .

يتحدث الحزب عن انفتاحه على الجماهير ولا يجد بين قواعده سوى فئـات المدرّسين ثم الطلاب الذين يستهويهم الاعجاب بمعلميهم ، وحين تنشأ الحاجة إلى امداد الحزب بقواعد جماهيرية من الفلاحين خارج دمشق ، لا يتورّع الحزب عن التحالف مع أكرم الحوراني حتى يستفيد من قاعدته الفلاحية في منطقة حماه .

ومن ثم تعود ظـــاهرة الانقسام والتجنّح والتشرذم تفرض نفسها بشكل أكثر إلحاحاً حيث توزع الحزب منذ فاتح الخمسينيات إلى جناحين :

١ ــ الجناح العفلقي بأسلوبه الغيبي والخيالي .

٢ ــ الجناح الحوراني بأسلوبه الانتهازي واللاأخلاقي .

وهكذا ظلّ الحزب يحمل طـــابع ازدواج الشخصية كنتيجة لظروف نشأته ، ــ الحرب العربية الباردة ، مالكولم كار ــ

ازدواج الشخصية :

الازدواجية بالنسبة للبعث أمر طبيعي إذ يفتقد القيادة الثورية كما أسلفنا ..

ثم يفتقد نظرية العمل والاستراتيجية الواضحة المحدّدة .

ويؤدّي هذا الحال بالطبع إلى أن تعتمد الشعارات أسلوباً للتفكير، والتبرير منهجاً لمواجهة الواقع ، والخلاف المستمر حول المكاسب الشخصيـة والأطماع الفئوية ، والذي يبدأ من توزيع الاتهامات ويصل إلى التصفية الجسدية طريقاً لحل المشاكل الناشئة عن الفراغ الفكري والتنظيمي .

ولعل هذه الازدواجية التي طبعت البعث بطـــابعها تفسّر ذلك التناقض الظاهر على السطح أمام المراقبين للأحداث سواء في وطننا أو خارجه .

تفسّر مثلاً كيف يرفع البعث شعارات الرفض الثوريّ ثم يطمح للاشتراك في وزارات الانقلابات الرجعية والمغامرات الفرديـــة في سوريا منذ أواخر الأربعينيات حتى منتصف الخمسينيات .

وتفسّر ايضاً كيف يرفع البعث شعار الوحدة العربية ثم يوقع قادته صلاح البيطار وأكرم الحوراني وثيقة الانفصال سنة ١٩٦١ .

وتفسّر أيضاً كيف ينادي البعث بالانفتاح على الجماهير ثم يطلب زعماؤه من قيادة ج.ع.م. في عهد الوحدة إنشاء لجنة سرّية محدودة العدد، يمارس من خلالها البعث التحكـّم في مقاليد الاقليم السوري .

وهي تفسّر حالياً كيف يصل بعث العراق على سبيل المثال إلى حد التطرف المتشنج في رفض العمل السياسي تحت شعار السلام – بالنسبة لقضية عدوان حزيران وشعب فلسطين – ثم لا يطلق رصاصة إلى مواقع العدو .

هذه الظواهر كلها إنما تنبع من ظاهرة ازدواج الشخصية التي ينبّه إليهـــا « مالكولم كار » وهذه بدورها تمثل التناقض الرئيسي بين القول والفعل، والذي ظل يحرّك حركة البعث منذ نشأته حتى اليوم .

فكر البعث :

بدأ البعث في فترة فراغ فكريّ في المجال القومي ، ومع ذلك فيبدو أن

قياداته انشغلت بالتكتيكات السياسية والمناورات الحزبية والتوسّع العددي ، الأمر الذي يجعل ميراث الحزب الفكري ضئيلاً في الكمّ هزيلاً في المستوى ، وتتشكل مصادر الفكر البعثي في التالي :

١ – مجموعة أحاديث أدلى بها عفلق في مناسبات خطابية مختلفة ، تعتمد على الإثارة العاطفية ، والحبكة اللفظية .

٢ – مجموعة مقالات عفلق والبيطار في افتتاحية صحيفة البعث على مدى سنوات .

٣ – بعض المترجمات عن مفكري اليسار في فرنسا ، وشذرات مترجمة عن مفكري حزب العمال البريطاني .

وكانت نتيجة هذا الجدب الفكري :

١ – اصطناع أسلوب التعميم والتفاصح اللفظي ، والاطناب في التعريفات الانشائية الفضفاضة ، دون مضمون يحدّد موقفاً ، فضلاً عن أن يُلزم بموقف .

وعلى سبيل المثال ، من فكر البعث :

في مجال تعريف الأمة العربية :

« الأمة العربية ، هي كلية مطلقة لامتناهية خـــالدة أفعالها ليست أفعالاً تاريخية عادية ، ولكنها معجزات !

خصائص الأمة العربية ، هي خصائص فوق الزمان والمكان وهي التي توجه التاريخ » – من دستور الحزب –.

في مجال أسلوب التفكير البعثي : نريد أن نعرف الذين يدركون بالغريزة أي هواء صافٍ نستنشق ، وفي أي جوّ نقيّ نزيه نحيا دون ان نحتاج للبراهين بالعلم والاثبات والأرقام – من كتاب في سبيل البعث لميشال عفلق – .

ولقد دار فكر البعث حول الشعار المثلّث الذي ما يزال يرفعه حتى الآن : الوحدة ، الحرية ، الاشتراكية .. ونحن لا نجد تصوراً محدّداً في دستور البعث ولا في أقوال قادته وكتاباتهم ، للبنيـــان السياسي للوحدة ولا للمضمون الاشتراكي لها .

وإذا كان الحزب لم يقدّم تعريفاً للأمة وللقومية ، له صفة العلمية ، ولم يرصد تاريخ نضالها حسب المنهج الثوري السليم .. منهج التحليل الطبقي والقومي .. فهو لم يستطع أن يجيب على سؤال : كيف يبدأ النضال العربي بالعمل من أجل الوحدة ؟.. والوحدة مع من وبين من ؟..

قضية الحرية

في المحاضر الموثوقة والمنشورة لمباحثات الوحدة سنة ١٩٦٣، واجه عبدالناصر قادة البعث بهذه الحقيقة حول مفهومهم للحرية والديمقراطية :

« حزب البعث طول الخمس عشرة سنـــة اللي فاتت اد عمره .. لم يعرّف الحرية تعريف واضح .. وقريت كل حاجـــة اللي انتو كاتبينها في الكتب ، دوّرت على تعريف الحرية بحيث ان حد يأخذ عليكو هذا التعريف ويمسكه، ما لقيتوش أبداً ، ما فيش في كل الكتب اللي كتبها عفلق أو اللي كتبها الآخرين من البعث ، ما فيش حاجة أبداً » . ويعود عبد الناصر ليكرر السؤال البسيط والواضح : ما هو تعريفكم بالنسبة للحرية ؟ هل الحرية أحزاب ؟ هل حتفضل أحزاب ، أو يعني ما فيش أحزاب ؟

وفي نفس السياق يستعرض عبد الناصر الإجابات المختلفة والتي تبلغ حدّ التناقض لقادة البعث حول مفهوم الحرية ..

قلتم وقت الانفصال ان الوحدة سنة ١٩٥٨ وحدة دكتاتورية وأنتم عايزين وحدة ديمقراطية .. سمعنا منكم في المناقشة آراء مختلفة غير واضحة !

الأخ صلاح – البيطار – قال : بتبقى فيه الأحزاب اللي لها اتجاه واحد !

والأخ ميشال ، قال : حزب واحد ثم قال : بيبقى فيه تأليف جبهة !

ثم يطرح ميشال عفلق فيلسوف الحزب في جلسة تالية هذا المفهوم : « ممكن أن تكون اشتراكية بدون ديمقراطية » ؟!

ويرد عليه عبد الناصر : بتبقى اشتراكية مزيّفة ، شعار فقط ، اللي كانوا

بيسموها الاشتراكية الوطنية في ألمانيا أيام « هتلر » !

ويعود قـــادة البعث في نفس الجلسة ٢٠ آذار ١٩٦٣ ليدور بينهم وبين عبد الناصر هذا الحوار حول مفهوم الديمقراطية :

صلاح البيطار : الحكم بالشعب سيادة الرئيس . هذا اللي بدنا نصل إليه .

عبد الناصر : من هو الشعب في تعريفك ؟ مين هو الشعب ؟ مين يا أستاذ ميشال !

ميشال عفلق : العامل بالطبع !

عبد الناصر : « ومين ؟ »

عفلق : الشعب العامل ، يعني الفلاح والعامل موجود في الحزب ..

عبد الناصر : بتقول هو ده الشعب وبكره تعمل انتخابات وتقول هو ده حكم الشعب ، ولكن حكم الشعب هو حكم ثلاثين أربعين مثلاً بيقعدوا يتكلموا في أوَض وتقول هو ده حكم الشعب ؟ أبداً .. غلط .. إذا افتكرتو كده ، لأن ذلك معناه عزل الشعب كله واحتكار العمل السياسي لقلّة !

هذا النقص الذي يشير إليه عبد الناصر والذي يكرسه البعثيون إنما ينبع من نظرة غريبة إلى الجماهير .

فهم يرون ان الشعب في كل مكان عاجز عن أن يفهم حق الفهم وبسرعة أيّة فكرة من الفكر ، وان الحزب يمثل مجموع الأمة الذي لا يزال غـــائباً منكراً لحقيقته ناسياً لهويته غير مطلع على حاجياته . نحن سبقناه فنحن نمثّله ! والنظرة المعادية لا توجد وحدها ، إنما تتجسّم في أشخاص يجب أن يبيدوا حق تبيد هي أيضاً — من منشورات حزبية — .

وتابع عبد الناصر تفسيره لمفهوم الحرية والديمقراطية في حزب البعث ، فقال : انه هو المناداة بالديمقراطية الغربية البورجوازية .

وأجاب شبلي العيسمي وصلاح البيطار بأنه منذ نشأة الحزب سنة ١٩٤٣ فانها غير ما هي عليه الآن ، أو فيها تطوير !

وتساءل عبد الناصر بالحاح : أنا ما حستش بهـــذا التطوير ، امتى حصل

وازاي ؟ هل أعلن هذا الكلام مثلاً بوضوح وصراحـة ؟ في أي جريدة ، وفي أي منشور ؟ هل أعلنتوا انكم غيّرتم مفهومكم للديمقراطية ؟ لم يعلن ، بدليل اني أنا ماعرفوش .. إذن فيه غموض .. أنا مثلاً متصوّر ان حزب البعث هو – وجايب معايا دستور حزب البعث – انه بيؤمن بالديمقراطية البورجوازية .. حسب ما كنتوا تنادوا وحسب الشعارات والكتابات .. النهار ده بتقول ان ده اتغير ، طيب ، والناس ، القواعد الشعبية بتاعتك وقواعد النضــال وجذور النضال جموع الشعب ، هل عرفت هذا الكلام ؟

ولم يجد عبد الناصر إجابة ، فعاد هو ليجيب : أبداً .. لا ، بدليل أنا حتى باشوف تعمياتكم وما شفتوش .. ما شفتش هذا التغيير ، وما شفتش هــذا الإيضاح ..

ومرة أخرى عاد قادة البعث إلى حديث الشعارات العمومية ومعالجة قضايا هامة كالحرية والديمقراطية بأسلوب التساهل والعموميات ..

فيقول « شبلي العيسمي » : اما الآن وقد أصبحت القوى الثورية والمنظمات الثورية قـادرة ، وفعلاً وصلت إلى الحكم – يقصد بالقوى والمنظمات ، حزب البعث بالذات لدى وصوله للحكم في العراق وسوريا – فيمكن حينئذ ان يبحث موضوع الحريات هل تعطى لجميع الفئات؟ للقوى الرجعية والرأسمالية ؟ الاتجاه الآن هو ألا تعطى الحريات لأعداء المنظمات الثورية الاشتراكية .. يعني بالتالي أعداء البعث ..

ويعترف « علي صالح السعدي » بعد انفصاله عن البعث العراقي ان كل ما أتى به البعث في محادثات نيسان لم يعدُ مجرد رغبة في الوصول مع الناصرية إلى نقطة شرعية البقاء في الحكم .

وبعد الوحدة والحريــة .. تأتي الاشتراكية ، ولم يخطّ المفهوم البعثي للاشتراكية ، بعد ، الأرضية التي مهدتها شعارات عفلق وترجمات حوارييه !

فالاشتراكية فيما يقول عفلق هي الطريق إلى تحقيــق الذات العربية .. والاشتراكية ممكن أن تنفصل عن الديمقراطية .

ودستور الحزب يقع في تناقض غريب في تصوّره نظـــام الحكم في دولة الوحدة العربية والمفروض انها تحقق شعارات البعث ! فلا نعرف فيه إذا كانت الدولة ملكية أو جمهورية !..

يقول « مالكولم كار » في كتابه « الحرب العربية البـاردة » عن محادثات نيسان السابقة الذكر : « الذي كان يريد عبد الناصر أن يعرفه هو ماذا لدى البعث كي يقوله في مجالات التنظيم الحزبي والحرية والديمقراطية والاشتراكية ، ولقد أجاب عبد الناصر عن هـــذه الأسئلة بنفسه لأن البعث فشل في شرح مفاهيمه ، والسبب هو انه في الحقيقة لم يملك أياً من هذه المفاهيم !

يقول منيف الرزاز في كتابه « التجربة المرّة » : « ان إمكانات تطوير نظرة الحزب قد تجمدت ، وقبعت عند حدّ لا تتجاوزه ، بينما كانت الأحداث تمرّ بالوطن العربي وفيه ،فتغيّر وجهه وتطرح معطيات جديدة لم تكن مطروحة بوضوح عند نشأة الحزب ، وبعد ان كان فكر الحزب هو الذي يقوده ، وهو الذي يعيّن موقفه من الأحداث ، أصبحت الأحداث تسوق الحزب أو تجرّه ! وأصبح الحزب أسير ردود الفعل الصرفة وحلّت الشعارات محل الفهم الفكري العميق .. كلمات قصار ، أصبحت تغني عن كل الفكر الذي وراء الشعارات ، وتلقف الشعار أسهل منالاً من الدراسة الفكرية التي تحتاج إلى جهد » !

ويقول صلاح البيطار أحد مؤسسي الحزب ، يستعرض تجربته المرّة أيضاً مع الحزب : « إن الأخوان الحزبيين قصروا همهم على التأتأة بالألفاظ الثوريـة والشعارات ، وفي أحد الأيام عثروا على سرّ ثمين وهو التأميم ، والحق ان التأميم هو أحد خيوط الاشتراكية ، وليس الاشتراكية ، إذا لم يكن مضمونه تملّك الشعب لا الدولة ، لوسائل الإنتاج ، والأمر انتهى عند هؤلاء الأخوان الحزبيين بمصادرة المصانع والانقضاض على بيوت وسيارات أصحابها وتملكها وحلولهـا كطبقة جديدة ذات امتيازات محل الطبقة الرأسمالية » !

ولذا تحوّل البعث إلى واجهة فضفاضة وموجـــة تركبها فئات الانتهازيين ترفع شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية وذلك دون أن تلتزم بالشعارات

فضلاً عن الالتزام بما تحويه الشعارات من مضمون . ومن هنا وجدت الاتجاهات السياسية والعقائدية المختلفة في البعث مجالاً للتحرّك ما بين ماركسية « جمود الشوفي » واندفاعية « علي صالح السعدي » ويمينية عفلق ، وإصلاحية البيطار ، وميكيافيلية الحوراني ، وأخيراً التفسخ النهائي للحزب إلى جناحين يحكمان كلاً من سوريا والعراق لا يعترف أي منهما بشرعيــة الوجود للجناح الآخر ، وبحيث أسلمت هذه الظواهر كلها إلى أن ظلت عناصر جديدة تنفضّ عن الحزب تدريجياً منها من غلب على أمره كالبيطار ، أو من رفض واقع الحزب المتناقض مع شعاراته كجمال الأتاسي وزهّور ، أو اختلف شخصيـــاً مع باقي الرفاق كالسعدي .. وبحيث لم يبقَ في الحزب سوى مجموعة من صغار الحزبيين تكرس حكماً من الإرهاب المنظم ومن العبث المراهق بقضايا المصير ! فأصبح الواقع الذي يعيشه الحزب هو واقع العزلة الكاملة عن قواعد الجماهير .

والجماهير لا تستطيع أن تنسى تهاوي قيادة البعث أمام حكم الفرديـــة الانقلابية وذلك في رسالة الغفران المشهورة التي وجّهتها قيادة البعث إلى الدكتاتور حسني الزعيم !

والجماهير لا تنسى مواقف الحزب المبدئية من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهي مواقف اتسمت بالذبذبة وأعوزها مبدأ ومنطلق قومي يحكمها ويبلورها :

فمن سلبية إزاء ثورة يوليو (نواة الثورة التحريرية العربيــة المعاصرة) لا تستطيع أن تنفذ إلى أبعادها القومية والتقدمية حتى سنة ١٩٥٤ .

ثم محاولة للوصل مع هـــذه الثورة على مستوى جناحي البعث العفلقي والحوراني وذلك في غمار صراعها الداخلي ، يحدو كلاً منهما هدف تكتيكي فردي : عفلق يحلم بأن يكون هو العقل المفكّر لدولة الوحدة ، وقيـــادة عبد الناصر أداة منفذة قوية .. والحوراني يحلم بأن تسلمه الناصرية مقاليـد الحكم في الإقليم الشمالي .

والجماهير لا تستطيع أن تنسى كيف تنكّر البعث للوحدة ، ثم كان انقلاب البعث ضد الوحدة ذاتها .. أول بنود شعاره العتيد — وتوحّده تماماً مع الصف

الانفصالي الرجعي الانتهازي، وحاول تبرير ذلك بما يسمّيه منطلقات فكرية.. الحوراني يدعو إلى استقلال سوريا، وعفلق يقول : الانفصال شرّ لا بدّ منه .. والبيطار يوقع مع الحوراني وثيقة الانفصال !

والجماهير لا تستطيع أن تنسى ان الانقلاب على الانفصاليين الذي قام به البعث مع الوحديين القوميين لم يكن إلا مناورة جديدة من البعث لعودته إلى الحكم ولو تحت لواء شعار الوحدة .

لقد أصبح واقع حزب البعث اليوم: مسيرات وحناجر وتظاهر في الشوارع وأوراق تسوّد في الصحف والإذاعات تتصدّرها عبارة : يا جماهير شعبنا ويحكمها مفهوم : حزب البعث هو قدر الأمة العربية وقائدها !

أما في قضية المواجهة العربية للصهيونية والأمبريالية، فقد ارتفعت في هذا المجال المزايدات، من البعثيين ولا تزال . ولعل هذا يدفعنا إلى تقصّي الحقيقة حول بعث العراق مثلاً ومدى ما قدّمه وحشده وضحّى به . الأمر الذي قد يسوّغ تلك المزايدات .

أولاً – قيادة بعث العراق، تتكوّن من ١٦ عضواً أغلبهم طلبة لم يكملوا دراستهم، أو مدرّسون في المراحل الابتدائية، ومنهم سائق سيارة متّهم بالتهريب ! هذا فضلاً عن بعض الضباط الحزبيين . وتكرس هذه القيادة نوعاً العصبية الإقليمية الضيّقة، حتى على مستوى العراق، ويكفي ان الآتية أسماؤهم من منطقة « تكريت » :

صدام التكريتي	طالب في سنة ثالثة حقوق
أحمد حسن البكر التكريتي	ضابط سابق
صلاح التكريتي	معلم ابتدائي
حردان التكريتي	ضابط سابق

ثانياً – في يدنا وثائق تثبت ان المخابرات الأميركية والبريطانية كانت وراء انقلاب (١٧) يوليو سنة ١٩٦٨ . وكان همزة الوصل مع المخابرات الأجنبية هو العميل المشهور « لطفي العبيدي »، وكان لطفي العبيدي، على اتصال

مستمر بعدد من البعثيين وفي طليعتهم أحمد حسن البكر ..

ثالثاً – جاء في بيانات الحزب الأولى بعد انقلاب ١٧ يوليو ، اتهام لحكومة عبدالرحمن عارف بعدم القيام بواجباتها إزاء الجبهة الشرقية، ومع ذلك فلم يحدث تطور على الاطلاق في الوجود العسكري العراقي في هذه الجبهة بعد حكم البعث ولا في حجم القوات ، ولا في حركتها وفعاليتها بل على العكس تماماً ، فقد ظل العراق عزوفاً عن حضور مؤتمرات دول المواجهة ، وعلى مستوى مسؤول ، ولم يحضر الرئيس العراقي إلا مؤتمر طرابلس الأخير الذي طرح فيه العراق مشروعاً تحت شعار قومية المعركة وفسّر هذا الشعار على أنه اقتسام للقوات العربية المصرية على جبهة قناة السويس ثم على جبهة الأردن الشرقية ، وتفسّره الجماهير العربية الواعية بأن البعث يدقّ طبول الحرب في الإذاعات .. كي يحارب إلى آخر جندي مصري !!

ولم يقدم بعث العراق إلى المعركة لا دعماً مادياً ولا حشداً عتادياً ولا تعبئة بشرية ترقى لمستوى المسؤولية في المعركة، ولم ينفّذ العراق ما تقرّر من مطارات مطلوب إنشاؤها وبذلك لم يرسل طائرة واحدة إلى الجبهة الشرقية . وظلت أجهزة الاعلام في بعث العراق تتجاهل أخبار المعارك البطولية الدائرة على جبهة قناة السويس طيلة ثلاث سنوات من الصمود والدفاع والردع والهجوم ... ولم نسمع منها إلا بيانات ملتهبة تلوك شعارات الحرب الفورية ، والحرب الشعبية من النهر إلى البحر... يدفع أموال شعبنا في العراق لعناصر تحسب على المقاومة الفلسطينية ولا تملك من رصيد النضال الفدائي سوى بيانات تصدرها وتجسّمها إذاعة البعث في بغداد ! » .

*

وبعد.. تلك هي آراء الثوريين العرب في إخوانهم الثوريين العرب، اقتطفنا لك منها النزر اليسير .. أما آراء هؤلاء جميعاً فيمن يسمونهم الرجعيين ، فحدث ولا حرج ، وخذ ما شئت من نبـــاح وزئير .. واسمع معي أمس ، واليوم ،

وغداً ، ما يملأ عليك دنياك كلها من الردح والسُّبَاب ، وتراشق التهم وتقاذف البلايا التي استنفذت أو كادت جميع مـــا حوته القواميس من سَقَط الكلم ، وهُجْر القول ، تنثال عليك برغمك كسحاب منهمر مع أمواج الأثير ، وتنسيك إسرائيل ومن وراء إسرائيـــل وتشغلك بالهرج والمرج ، والدفاع والهجوم ، والصراخ والعويل ، عن المقدسات المدنّسة والوطن المحتل ، والأهل المشردين .

والظاهرة الخطرة في كل ما أسجـــل وأقتبس ، انك لا تكاد تقع في جملة واحـــدة من جميع ما سقته وأسوقه من هراء ، على ذكر الله أو الدين .. أو الإيمان .. أو الثأر أو الانتقام .. أو الجهاد .. صخب الأقلية الجاحدة الحاقدة يملأ الأرض والسماء قعقعة وصهيلا .. أما الأكثرية المتبلدة المشلولة ، فقد سكنت واستراحت إلى الخَدَرِ والنعاس .. واستغنت عن الجهد المسعد والجهـــاد المشرّف بالصمت المطبق والسكوت المريب ؛ كأن الأمر لا يُعنيها ، وكأنها في نجوة من الخطر المحدق من كل صوب .. همّ القادر أن يزيد رصيده من المتعـــة والمتاع ، وهمّ العاجز أن يعاقر الأوهام والأحلام ، وهمّ الجميع التخلي والتملص وتناسي معركة المصير !

ألم أقل لك انها قضية مقدّسة في أيدٍ نجسة ؟!

ألم أقل لك انه مجتمع الكراهية ؟.. مجتمع الشقـــاق والنفاق ومفاسد الأخلاق !

وأختتم هذا الفصل بإيراد النص الكامل لبيان سرّي أذاعه أحـــد المشائخ العلويين ، يوضح فيـــه ما خفي من مؤامرة تسليم « الجولان » وتنفيذ المخطط الصهيوني بإقامة دويلات طائفية هزيلة حول إسرائيل ليستتبّ الأمر للصهيونية ، وينتفي الأمل نهائياً في الوحدة العربية والتضامن الإسلامي :

وحـــيد العـــين

بيان إلى أبناء الطائفة العلوية

بسم الله الرحمن الرحيم

اخواني في العقيدة أبناء الطائفة النصيرية في كل مكان

في هذه الفترة التي تسير فيها سورية الحبيبة المناضلة المجاهدة بخطى سريعة نحو الموت والفنـــاء .. أبت عليّ كرامتي ووطنيتي وإخلاصي لطائفتي وأمتي العربية أن أقف مكتوف اليدين والألم الممض يهصر قلبي لما آل إليه وضع البلاد التي تتخبط بالفوضى والإستئثار ، والخيانات والسرقات ، وبذر بذور الطائفية الرعناء وكبت الحريات بشكل تأباه العدالة والكرامة الانسانية ، حيث لم يبقَ قانون ولا حق ولا دين ، بل تصرفات صبيانية رعناء يرتكبها صلاح جـديد باسم « حزب البعث » من حيث الظاهر ، وباسم الطائفة النصيرية العلوية المسلمة من حيث الباطن .

لذلك رأيت من واجبي بعد ان لمست تلاعب هذه الطغمة الحقـيرة بمقول السذج من مشايخ وأبناء الطائفة أن أضع النقاط على الحروف مبيناً أوجه الخطر المحدق الذي يهدد كيان الطائفة ويمرغ سمعتها في الأوحال .

وأنا لا أقصد من وراء عملي هذا الطعن في شخصية الطائفة النصيرية المسلمة التي يشرّفني الانتماء إليها ، بل إثبات الوقائع وإظهار الحقائق لتلافي الكارثـة قبل وقوعها ، ولأطمئن على مصير الطائفة بعد ان تتخلص سورية من هـــذه الطغمة الحقيرة السادرة في غيّها ، إذ لا بد أن يأتي اليوم الذي سيطوح الشعب بمن جرّوا للبلاد إلى الخراب والدمار بوحي من الصهيونية والاستعمار .

أخي العلوي ،

أستصرخ ضميرك الحي يا من كنت عبر التاريخ رمزاً للسمو الخالد ومثـــالاً للكفاح المرير لتعلن تنصّلك ممن جعلوا طائفتك مضغة في الأفواه .. وأبرأ إلى

الله من مسؤولية هؤلاء وأعتبرهم مسؤولين مباشرين عما يحدث لإشباع شهواتهم المتعطشة إلى التسلط .

كان لا بد لي من توجيه هذا النداء الحـــار قبل الدخول في صميم الموضوع كواجب لا بد من ادائه ، باعتباري أحد أبناء الطائفة العلوية ، وأنا أتطلع بألم وحزن إلى موقف الطائفة العلوية الحرج حيث راح أعداؤنا يرموننا بعين النقد بالرغم من الفخر والشرف والمجد ومناهضة الاستعمار وحب الحريـة .

تأثير الفرق الغالية في الاسلام على وحـــدة الصف العربي

ليس في مقدور الانسان المدرك والمواطن الصالح الذي ينهد إلى الكمال والمثالية متجرداً جهد الطاقة من التعصب الديني ، متمسكاً بحريـة التفكير ، معتمداً على العقل والمنطق للاهتداء إلى الحق والوصول إلى الحقيقة الخالصة من التعصب إلا ان يطلق كلمة الصدق عالية مجلجلة ليسمعها القاصي والداني .

أخي في العقيدة والوطنية والعروبة ،

لا تعتب عليّ ولا تكيل لي الاتهامات جزافاً إذا كنت صريحـاً معك إلى هذه الدرجة من الصراحة ، لأنني أشعر وأنا أضع بين يديك هذه الحقائق بأنها ستكون مشعلاً ينير لك الطريق ويرشدك إلى سواء السبيل ، وتسهل لك نبذ كل الترهات والسفاسف إذا ما رجعت إلى ضميرك الحي وعقلك السليم بإرادة قوية وعزيمة ثابتة وإيمان مكين بالله الواحـــد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .

أخي في العقيدة ،

تعال معي لنعد قليلاً إلى الوراء .. إلى ذلك اليوم الذي بُعث فيه رسولنا الكريم ونبينا العظيم بالهدى ودين الحق ليخرج للناس بإذن الله إلى صراط العزيز الحميد .

بعثه الله رحمة للعالمين ، لينشر التوحيد في العـــالم كله ، ويصلح العقائد الفاسدة ويدعو الناس إلى المثل الأخلاقية العليا ، والمساواة والحرية ، ومناصرة الفضيلة ، في ضوء العقل والمنطق .

ولقد طالب النبي المختار ﷺ الناس كافة بالإيمان بالله وحـده لا شريك له والإخلاص في عبادتهم ، والتعاون على الـــبرّ والتقوى ، والامتناع عن الإثم والعدوان ، بعد ان أعلن بأن الدين لله .

ولم يعتمد عليه الصلاة والسلام في إداء رسالته إلا على العقل والحجة والتفكير المنطقي السليم ، ولم يكن لديه من المعجزات إلا كتاب الله .

ولما كان العرب قبل ظهور الإسلام متفرّقي الكلمة ، مضطربي الأحوال ، فقد استطاع الرسول العظيم أن يجمع كلمتهم ويوحّد بينهم ، ويزيل الخصومات ويؤلف بين القلوب ، فأصبحوا إخواناً متحابين متعاونين بعد ان كانوا أعداء متقاتلين .

نعم يا أخي في العقيدة، تمكن البشير والنذير والسراج المنير ان يجمع العرب على دين واحد هو توحيد الله ، وعلى رئيس واحد هو رسول الله وقانون واحـد هو كتاب الله .

وبذلك استطاعوا أن يفتحوا العالم ، ويرثوا مجد الفرس والروم في أقـل من قرن .

ولكن العناصر الشعوبية التي دخلت الإسلام واستطاعت أن تتسلل إلى المراكز الدينية الحساسة ، هالهم عندما لمسوا تضامن العرب واتحادهم وما وصلوا إليه من أمجاد فراحوا يبثون روح التفرقة والتنازع ويبذرون بذور الاختلافات باسم الغيرة على الدين والحفاظ عليه .

ومما لا يقبل الشك بأن هؤلاء قد استطاعوا أن يتلاعبوا بعقول بعض السذج من الموتورين والحاقدين والغلاة الذين التفوا حولهم بعوامل الحب والولاء لآل بيت رسول الله ﷺ .

وأول خطوة اتخذت لزلزلة أركان الدين الحنيف هي الخطوة التي ابتدعوا

يا أخي بعد هذا الكفر كفر .. ولا تحمل مسؤولية هذا الإلحاد والكفر للمغرر بهم والمضللين والمخدوعين من أبناء الطائفة بل حمل المسؤولية وكل المسؤولية للمشايخ الذين يتخذون من هذه الصلوات والدعوات وسيلة للارتزاق والعيش في بحبوحة بينما العامة يتضورون جوعاً وحرماناً ويحظر عليهم الاطلاع على ما جاء في الدين وما عليهم إلا الطاعة العمياء .

أخي العلوي .. أخي المسلم ،

عندما تفتحت مداركي على الحياة في أسرة عريقة بالمشيخة وزعامة الدين بدأت أقرأ كل ما تصل إليه يدي من الكتب السرية فأخلو مع نفسي وأنا أقف مشدوهاً أمام الرموز والإشارات الإلحادية التي لا تمت إلى الإسلام بأية صلة وكنت كثيراً ما أناقش والدي في أكثر هذه الأمور فكان يزجرني ويوبخني وأخيراً حظّر عليّ لمس أي كتاب .

وهنا تولت في مخيلتي الشكوك أبحث وأنقّب وأدرس حتى استنرت روحياً وفكرياً فبدأت أحمل لواء المعارضة وأطالب بوجوب غربلة كافة المعتقدات النصيرية العلوية وتشذيبها مما علق بها من أدران لتأتي منسجمة مع الدين الإسلامي الحنيف .

ولكن المشايخ الذين اتخذوا من هذه الأراجيف وسيلة للخداع والنصب وابتزاز الأموال وقفوا سداً منيعاً في وجهي ولكنهم بالرغم من قوة نفوذهم وسيطرتهم على العامة لم يتوصلوا إلى إطفاء شعلة الحق في نفسي التي لا تأخذها في الحق لومة لائم .

موقفي في المؤتمرات والمنظمات النصيرية

هذه الوقائع الخطيرة ، والمؤامرات الحقيرة على الوطن الأم لا بد لي من اطلاع الرأي العام العربي والاسلامي عليها وعلى تفاصيلها وما دار فيها من نقاش

مهما كانت النتائج وذلك لأن الديانات في مفهومي تأمر بقول كلمة الحق وتحض على الاخوة، وفي عرفي من ينهد إلى إيقاع الشقاق بين المسلمين ليس بعربي ولا مسلم.

الأجتماع الاول في القرداحة

في عام ١٩٦٠ تنادى مشايخ النصيرية سراً لعقد اجتماع لهم في قرية القرداحة بحضره كبار الضباط النصيرية وعلى رأسهم كل من محمد عمران ومحمد نبهان وصلاح جديد ، وكان الهدف الرئيسي من هذا الاجتماع التداول والاتفاق على كيفية انخراط الضباط النصيريين في صفوف حزب البعث لاستغلاله وجعله سلماً للوصول إلى الحكم . وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات السرية التالية :

١ ـ منح محمد عمران رتبة «البابية» وتكليفه بالتخطيط للمنظمات العسكرية وكيفية توزيعها على المنظمات الوطنية لاستغلالها والتستر بها .

٢ ـ الموافقة على بقاء عمران في صفوف الوحدويين من ناحية الظاهر .

٣ ـ التغرير بالضباط الدروز والاسماعيلية للتعاون معهم .

٤ ـ منح عزت جديد رتبة « نقيب » في المذهب .

٥ ـ الموافقة على إحلال « ابراهيم ماخوص » محل والده في رتبته الدينية .

٦ ـ تكليف المشايخ لدعوة أبناء الطائفة للتضامن والتعاون وتشجيعهم للانخراط في الجيش .

هذه هي قرارات المؤتمر النصيري الأول الذي مهّد للمؤتمر الثاني الذي عقد في حمص بعد ١٨ تموز سنة ١٩٦٣ لدراسة النتائج المتأتية عن الدور الذي لعبه محمد نبهان في حوادث ١٨ تموز وأدى إلى تسريح أكثر من ٤٠٠ ضابط من أنصار جمال عبد الناصر

الاجتماع الثاني في حمص

ومن البديهي ان يضم الاجتماع الثاني عدداً أكبر من المشايخ بالاضافة إلى كل من الضباط الآتية أسماؤهم : عزت جديد ، محمد عمران ، وإبراهيم ماخوص .

وفي نهاية الاجتماع اتخذت القرارات التالية :

١ - ترفيع محمد نبهان إلى رتبة « نجيب » تقديراً لدوره الفعّال في ١٨ تموز .

٢ - منح محمد عمران الوشاح البابي الأقدس وتكليفه بمتابعة نشاطه في حقل الناصريين .

٣ - إعادة النظر بالتخطيط الموضوع بشأن انضمام المزيد من أبناء الطائفة المثقفين إلى حزب البعث والدخول باسم الحزب في الكليات العسكرية ومؤسسات الجيش .

٤ - التخطيط البعيد لتأسيس الدولة النصيرية وجعل عاصمتها حمص .

٥ - تكليف صلاح جديد بقيادة وتوجيه العناصر النصيرية في الجيش ومنحه أرفع رتبة عسكرية « مقدم » .

٦ - مواصلة نزوح النصيرية من كافة قرى الريف إلى المدن وخاصة إلى حمص واللاذقية وطرطوس .

٧ - منح عزت جديد وعلي حماد رتبة « المختص » .

٨ - السعي لاستئصال العناصر الدرزية والاسماعيلية الموجودين في صفوف الجيش والعمل على إحلال العناصر النصيرية محلهم .

٩ - تسليم القيادة المدنية السياسية إلى «إبراهيم ماخوص» وإعداده ليكون رئيساً لوزراء الدولة النصيرية المنشودة .

ووافق الجميع على هذه القرارات التي قدّمها الشيخ علي ضحية بإيعاز من « الباب» محمد عمران ، ولكنني استهجنت استغلال الدين والطائفة من أجل أمور دنيوية بحتة وحذّرت المؤتمرين من مغبّة هذا العمل اللاوطني وذكرت لهم بأن العرب والمسلمين سيتألبون عليهم في كل مكان ، ونوّهت لهم بأنهم مهما أوتوا من قوة لن يستطيعوا الصمود في وجه الشعوب عندما يعلنون صراحة قيام الدولة النصيرية المنشودة . اما منح الرتب الدينية المقدسة لأشخاص لا علاقة لهم بالدين فمخالف للأصول والأحكام ولن أوافق عليه مطلقاً ، وأفهمت المشايخ بأنهم إذا كانوا يرغبون في الحفاظ على الطائفة يجب ان يكونوا أوفياء لبلادهم فيعملوا لإبعاد الدين والطائفة عن سياسة الاستغلال والتآمر . وبالرغم من هذا الموقف فقد أقرت المقترحات وانتخبوا وفداً يضم ثلاثة مشايخ هم : الشيخ علي ضحية ، والشيخ أحمد سليمان الأحمد، والشيخ سليمان العلي لنقل قرارات الاجتماع وليقدموا التهاني لأصحاب الرتب الجديدة .

وفي اليوم التالي لوصول الوفد إلى دمشق استدعاني جديد إلى دمشق حيث تقابلنا في بيت العميد علي حماد وجرى نقاش حاد كشفت فيه كل شيء .

وبالفعل اقتنع العميد حماد بوجهات نظري وقال ان مجرد التفكير الآن بإعلان الدولة « النصيرية » سيقلب الدنيا على الطائفة ، لذلك أرى حرصاً على كيان الطائفة بأن يستمر الوضع كما هو ظاهراً الحكم بعثي عربي ، وباطناً نصيري علوي . مع ضرورة الاهتمام بالمراكز الحيوية في الجيش وكافة مرافق الدولة وعدم إسنادها إلا لمن يكون منا .

أخي العربي المسلم في كل مكان ،

ان الصراع الذي يدور اليوم من خلف الستار في سوريا لتأسيس دولة نصيرية فيها يهمك ويهم كل عربي ومسلم ، وحتى يهم البسطاء الكادحين من أبناء الطائفة النصيرية الذين لا يزالون كما كانوا في فقرهم وعوزهم وجهالتهم ، تتاجر بهم هذه الطبقة المستغلة من الضباط المتآمرين والمشايخ الرجميين النفعيين .

وبصراحة أقول لقد استطاعت هذه الطغمة ان تصوّر للسذج من أبناء الطائفة بأن أوضاعهم ستتحسن عندما يتحقق حلمهم المنشود . بدون ان يدور بخلدهم بأن النتائج ستكون خطيرة وخطيرة جداً ..

فيا أخي الكادح ..

عد إلى ضميرك النقي الطاهر وفكّر بمصيرك ومصير عائلتك إذا تألب عليك الرأي العام العربي والإسلامي من كل حدب وصوب ..

وتنحَّ عن هذه الفئة الضالة المضلة .

وأنت يا أخي العربي المسلم ،

ارحم البسطاء المغرين من أبناء الطائفة فلا تحقد عليهم عندما تحين ساعة الصفر وتعال معي لنقرأ سوية هذه النبوءة التي يستغلها المشايخ ويخطط لها العسكريون من أبناء الطائفة وكان أولى نتائج هذا التخطيط تسليم منطقة القنيطرة والجهة الجنوبية كمرحلة أولية تمهيداً لالتقاء الأعورين وتحقيق النبوءة .

عندما يلتقي الأعوران

هذه النبوءة الخطيرة جداً التي أرويها ليست أسطورة خرافية يا أخي في العروبة والإسلام كما انها نص رمزي وإشارة باطنية موجودة في كتاب الاسوس من كتبنا التأويلية وإليك النص الحرفي : عندما يبلغ المريخ إلى مرتبة الأوتاد الأربعة ويكون بهرام في الطالع يظهر من الجنوب وحيد العين الذي يكون مجتمعاً به حدث الميم وقدم الدال عندما يصبح بهرام في الوتد بمقدار عشر درجات يكون وارد الوقت وحيد العين قد ظهرت أعلامه الخضراء من الشرق راكباً الميمون وبيمينه ذو الفقار المسنون فيطهر البلاد ويقضي على الفساد . وينصب الخيام على العاصي ، وينهي الناس عن المعاصي ويطعم الجائع ، وعندما يصل بهرام إلى الغارب في تلك السنة يكون صاحب حدث الميم وقدم الدال قد وصلت راياته إلى دمشق واتجهت جيوشه نحو الشمال لتلتقي مع جيوش وارد

الوقت وحيد العين فتتلألأ الأنوار القدسية وتظهر الأظلة والأشباح والايتام من خلف القباب لتؤدي الطاعة إلى وارد الوقت ، سيدنا وحيد العين ويدوم العز في رؤوس العوالي ، وترفرف الأعلام فوق الجبال ، مدة سبعين عاماً بالتقريب تكون كلمة وارد الوقت واحد العين هي السائدة يخدمه وحيد العين صاحب حدث الميم وقدم الدال والله أعلم ..

هذا النص الخطير موجود في كتاب الاسوس صفحة ٢١٣ والمشايخ الآن يطبقون هذه الاشارات ويفكون رموزها بشكل يخدم الصهيونية خدمة عظيمة للغاية ، ولا شك ان الأيادي الصهيونية وراء هذه الحكاية من أساسها والمشايخ يطبقون هذه النبوءة في الوقت الحاضر كما يلي :

ان السيد أبو شعيب الذي كان وحيد العين أي أعور ، سيحتجب عن طريق التناسخ ويظهر من الجنوب ، فيحتل دمشق ويتجه نحو الشمال ليؤدي الطاعة إلى وارد الوقت وحيد العين ، أعور ، وعندما يلتقي الأعوران سيدوم حكمهما مدة ٧٠ عاماً .

« وأبو شعيب يفسرونه مشايخنا اليوم هو موشى دايان ـــ حدث الميم وقدم الدال » .

ولهذا السبب تنازل المقدم جديد عن جنوب سورية لوحيد العين حدث الميم وقدم الدال تسهيلاً لالتقاء الأعورين على نهر العاصي . حيث سيدوم ملكهما ٧٠ سنة . لأن النصوص المتعلقة بقيام دولة العلويين مرهون بقيامها سيطرة وحيد العين على دمشق وحق نهر العاصي .. وبعد هذه السيطرة يكون الوقت لإقامة الدولة العلوية وظهور أبو شعيب .

أخي العربي المسلم ،

هذا واقع ، واني أقول مرة أخرى اني أتحدى المنظمة العلوية وما أتيت بهذا البيان إلا لأظهر للعالم العربي والاسلامي ان دمشق ستسلم إلى إسرائيل ان بقي صلاح جديد وزبانيته وما عليك إلا ان تتضامن مع رفيقك في جهاد مقدس لاستئصال شأفة هذه العصابة الخائنة التي تسعى لتحقيق هذه النبوءة

وقد سبق تسليم دمشق تسليم جنوبها دون حرب فعلية بل بكلام صدر عن مذيع مريض لا يعرف شيئاً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشيخ عبد الرحمن خ .

جبلة في ٢٥ ذو القعدة ١٣٨٨ هجرية

ـ ٥ ـ

بعد الكارثة: بقي المضمون وتغير صوت المذيع

أراد الله لي أن أشهد معارك انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة وانتخابات مجلس العموم في بريطانيا ، فرأيت الأجهزة الديمقراطية تمارس نشاطها في جوّ من التناغم والتناسق ، وشعار الجميع : مصلحة الوطن قبل كل شيء ..

ولم أسمع مرة واحدة ، حزباً يتّهم حزباً بالخيانة .. وزعيماً يَسِمُ زعيماً بالعمالة .. ويحزن المرء حقاً حين يُقيس الحرية في أسمى صورها عند القوم بالعبودية في أحط دركاتها عندنا .. حين يزن الحركات السياسية في أعلى مدارجها، بالتخبّطات السياسية في أبشع منحدراتها ! حين يحلو له أن يقيّم أخلاقيات الساسة ، بلاأخلاقيّات الساسة ، حين يقارن الفوضى بالنظام .

لماذا ؟ ونحن الذين أرسينا في الدنيا ، مفاهيم الحرية والديمقراطية !؟

لأن في القوم بقيّة من وازع أخلاقية الدين .. وفي قومنا بقايا من وصمات الجاهلية الأولى والهمجية البعيدة عن ينابيعها الروحية !

لقد اختار الله لرسالته الدينية ، الأمة العربية ، فرفعها من أشقى الأمم إلى

أمةٍ وَسطٍ هي خيرُ أمة أخرجت للنـــاس .. فانساحت في الدنيا وأعطت البشرية مبادىء مضيئة لا يخبو إشراقها على الزمن مهما اعتورها من ظلم أعدائها وجهل أبنائها ..

وحين عادت تلك الأمة إلى جاهليتها الأولى سمتاً وخلقاً وأعمالاً..وتنكرت لقيمها ومثلها ودينها .. أركسها الله في الضلالة وعادت سيرتهـا الأولى أشقى الأمم على الإطلاق ..

كانت قبائل وشعوباً وأقواماً ، فأصبحت بالإسلام أمة ذات رسالة خالدة ، تهتدي بوازع الدين ، لا بنزعات المنحرفين من أتباع الشياطين !

ولا خير في أمة بلا دين .. وكيف يكون شرف بلا دين ، ويكون خلق بلا دين .. ويكون جهاد بلا دين ؟

الأمة التي لا ماضي لها، لا يمكن أن يكون لها مستقبل ، مهما علا الصخب، وضجّ ضجيج الحزبيات والسلبيات والشعارات ..

وأشدّ بلاء أصيبت به أمتنا هو عزلها عن دينها ودفعها في متاهات الضياع، ليسهل افتراسها ، حين تقف في مواجهة قدرها عارية من وازع الشرف، وحافز الإيمان.. فلا تدري ماذا يراد بها؟.. ولا تدري كيف تتقي البلاء .. ولا تعرف كيف تدفع عن نفسها مكاره الكوارث من الداخل والخارج ، قد قطع بينهـا وبين حضارتها ، وتراثها الفكري والروحي ، فتقاذفتها الايديولوجيات الدخيلة الغريبة من كل جانب تسدّ عليها منافذ الأفق ، فالتاثت المسيرة ، وتعثر الخطو، وضاعت الهوية الذاتية ، واتسعت مسافة الخلف ، بـين قائد وجندي ، بـين حاكم ومحكوم .. فالجيوش لا تُعدّ لقتال العدو بل لحمايـة الحكم والحكام .. وطاقاتنا تهدر في المعارك الدونكيشوتية..وأموالنا تبذل في المواخير والحانات! معاركنا الحقيقية هي معاركنا مع الأخوة والأشقاء .. نصطرع والعدو يفتك بنا ويحارب والدنيا تهزأ منا .. نخون الأمانة ونخفر الذمة ونتناسى الواجب ونتعامى عن الخطر ... فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء .. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة .. الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ،

منقطع النظـــير هو « أبو شعيب بن نصير البصري النميري » الذي عكف على دراسة المبادىء والأسس لكافة الفرق الشيعية المتطرفة فصهرها جميعها في بوتقة واحدة وصاغ منها المعتقدات النصيرية السرية التي لا يزال حتى يومنا هذا القسم الأكبر من المشايخ السذج يطبقونها وينطلقون منها في وعظهم وإرشادهم ، ولقد جعل « أبو شعيب » أو سيدنا (وحيد العين) قدّس الله سره المحور الرئيسي التي تدور عليه العقيدة إطلاق صفة الألوهية على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وتسميته « بأمير النحل » حيث شبّه المـــؤمنين بالنحل وهو أميرهم ، كما منح نفسه لقب الباب الذي يحل محل « أمير النحل » ويمثله .

ثم جاء بعده الشيخ الجنبلاني ، والجلي ، والزاهري ، وجبين المذهب الشيخ علي الصوري ، والخصيبي ، فأوجـــدوا المراتب والحجب والأظلة والقباب ، والنقبا والنجبا الخ .. ودعوا إلى عبادة الشمس والقمر والحلول أي حـلول « الألوهية » في « أمير النحل » وبابه سلمان الفارسي ، وسلمان خلف المقداد ، والمقداد خلف الناس لذلك فهو ربّ الناس ، وأوجدوا الاجتماعات السريـــة والقداسات والصلوات التي نذكر بعضاً منها لنرى إلى أي مدى تنسجم مع الدين الإسلامي الحنيف .

مقتطفات من صلاة التربية : « بسم الله الرحمن الرحيم . قد فاز وأفلح من أمسى وأصبح بمعنوية مولاي علي أمير المؤمنين الانزع الاصلع والاجلح ابتديت بأول إجابتي بالاقرار لقدس معنويته مولاي « أمير النحـــل » علي حيدره أبي تراب منه استفتح وفيه أحيا وأنجي وفيه أفوز وفيه أستغني وفيـه أختم وهو ربي ورب آبائي الأولين ورب الآخرين ورب الخلائق أجمعين ! وأقول كما قال « وحيد العين » سيدي « أبو شعيب » محمد بن نصير إلى يحيى بن معين السامري قال : « إذا دهت بك داهية في الحياة ونزلت بك نازلة في الممات فقل يا مولاي يا علي، بك استعنت وعليك توكلت يا دليل الأدلة ... ونقول كما قال شيخنـــا وسيدنا « أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي » : شرف الله العلي مقامه ونزه الله شخصه ..

وها هي فقرات من صلاة « الجلية » :

اللهم إني أسألك يا مولاي يا علي يا نور الأنوار يا رب الأستار يا عزيز يا غفار يا واحد يا قهّار يا حيدر يا كرار يا خالق الليل والنهار يا من تتوّجت بالأنوار يا منزل الكتاب يا مظهر الحجب ، يا من تجليت بنورك العجيب ... وتراءيت لخلقك بنور ذاتك وتجليت لهم بنور مقامك ، يا من تسميت بالعلوية واحتجبت بالمحمدية ، واستويت بالسلسلة .. ان تجيرنا واخواننا المؤمنين من سائر الفتن ما ظهر منا وما بطن حتى نذكر الوالي ابن الوالي أبي الحسين « محمد بن علي الجلي » عليه وعلى اخوانه الرضا والرحمة سر الشيخ التقي واخوانه .. يا مولاي يا أمير النحل يا علي .

ـ مقتطفات من صلاة « الفتح » : قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبّح بحمد ربك واستغفره انه كان توّاباً آمنت وصدقت وبالحقيقة نطقت ونطق لساني ، وأقرت جوارحي بشهادة أن لا إله إلا مولاي علي أمير المؤمنين فتح لنا فتحاً مبيناً وثبّتنا على الحق إلى صراط مستقيم وأشهد ان مولاي أمير المؤمنين اخترع السيد (محمد) من نور ذاته وغايته متجلياً منه كالفتق من الرتق وكالحركة من السكون وكشعاع الشمس من الشمس.. وأشهد ان السيد محمد خلف السيد سلمان بأمر باريه وغايته ومبديه ومخترعه وخالقه .. وجعل باب وسبب أسبابه وغايته طلابه لا يدخل إليه إلا منه وأشهد ان السيد سلمان اختص لنفسه الخمسة الايتام الكرام الذين ما ضمهم ضم وسماهم وكناهم وجعلهم رؤساء العلم والإيمان أولهم وأعلاهم يتيم دين الله الأكبر والمسك الأزفر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر الألف أول سيدنا المقداد وأبو الذر وعبد الله بن رواحة طريق الهدى للندمان و .. يا أمير النحل يا علي يا عظيم .

أخي المسلم في كل مكان ،

هذا غيض من فيض من الإلحاد والغلو والحلولية حشد في كل ما يمت بصلة إلى المعتقدات النصيرية السرية ، رأينا ان نضعها أمامك لتقول كلمتك فيها ، فهل

ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل .. استزلّهم الشيطان يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خـــير .. فتقطّعوا أمرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون ...

لقد سقت لك في الفصل السابق رأي البعث في الناصرية .. ورأي القوميين في الشيوعيين.. بل رأي البعث في البعث.. ورأي الاشتراكيين في الاشتراكيين.. ولم أحبب أن أكثر أو أبعد ، وأنا لو أردت أن أسجل لتاريخ المنطقة منـذ مطلع العقد الخامس إلى اليوم، وأن أدوّن للصراعات الايديولوجية والتناقضات الحزبية ووخم السباب ، وقذر الشتائم ، ومستنقعات الروح والحقد والتشفي والكراهية ، لملأت مجلدات .. بعض القليل يُغني فكيف بالكثير !!

وإسرائيل ، قائمة فينا ، تسجل كل حركة وتدوّن كل نأمة ، لتصفعنا في كل حادث وحديث ، بالتواءاتنا وتشنّجاتنا ومخازينا ، ولا يزيد ما نقوله على إيراد النصوص والوثائق من خطب القادة والساسة والأحزاب .. التي تثبت حـــين تجمعها في سياق انهم في نظر بعضهم البعض ، خونة ، جهـلة ، عملاء ، أذناب استعمار إلى آخر الاسطوانة التي ورثناها عن « أحمد سعيد » ، فبقي المضمون وتغيّر صوت المذيع.. وظلت الحال هي الحال في مجتمع الكراهية والضلال ..

سبب اللعنة.. سبب الكوارث والمآسي والنكبات: خواء فكري وجدب روحي ، مع ضباب الرؤية ، وتعدّد الولاءات والانتماءات ! يتوارى المؤمن لكي لا يثلم دينه ..

ويختفي كرام القوم ليسلم شرفهم ، فلا يبقى في الــدفة غير الصبية والصعاليك !

قد امتلأت القلوب ضغناً .. وتخمت النفوس حقداً ، وعشّش في الصدور الصَّغار .

ليس مثلنا أحد في ظلم ذوي القربى والاستخذاء للطاغوت !
ليس مثلنا شيء في تبرير الهزائم وافتعال الانتصارات !
نكذب على أنفسنا ونظل نكذب ، حتى نصدق الأكاذيب !

ونقيم الدنيا ونقعدها ، ونحن في مطرحنا لم نبرحه ، نحارب طواحين الهواء!
نناقش ونجادل في الصين ، لنتخلّى عن فلسطين ..
ونناضل كلاماً ، وخطباً لا جداً وجهاداً ..

لم تعرف الدنيا مفكرين كمفكرينا ، يغيّرون ولاءاتهم وانتماءاتهم بل يغيّرون عقولهم كما يغيّرون ثيابهم وأحذيتهم . يغيّرون كل شيء دون أن يغيّروا ما في نفوسهم ، من مقت وحقد وتفاهة .. ندور على « فترينات الدنيا» و « دكاكين » العواصم « نستأجر « أفكاراً » و « نشحذ » مبادىء ، ونعود ، بعد أن فقدنا أصالتنا وعطّلنا عقولنا ، لا نتقن غير صناعة الهدم والتخريب .. هدم تراث الأمة وتخريب مقوماتها ، وأفضل ما يطمح إليه أفضلنا ، ثمالة كأس يصطبها لنفسه الملوك..أو عظمة معروقة يلعقها،أو التمسّح بأعتاب القادرين.. وتسويغ العمالة تحت ستار التفصّح والتشدّق ، والتهجّم على الآخرين.. ونجلس في مقاهي الفراغ ، نلوك شعارات ونمضغ كفراً .. ونبيع فسقاً وإلحاداً !!

ويتصدر الفارغون ، يفخرون بالانتماء إلى « كاسترو وجيفارا » ويخجلون من الانتماء إلى خالد وعمر وصلاح الدين ! يحاربون في كل جبهة خلا جبهة الكرامة ، ويخوضون كل معركة خلا معركة المصير !

الحكم في مفهومنا تحكّم والرياسات سمسرة وتجارات ..

نكون خارج السلطة وطنيين أحراراً وأبطالاً بسيوف ورماح ، ونكون داخل السلطة قطّاع طرق وعصابات لصوص .. والوطن والمواطنون عندنا مطيّة متعة ووسيلة ارتزاق وانتفاع !!

لقد خمّت بنا الدنيا ، أفضل من أفضلنا جيفة لا تخدع الناس ولا تكذب !
مجتمع مريض موبوء ، لأنه مجتمع الحقد واللؤم والكراهية !..
نقول بإصلاح الفساد ، ونفعل ما يغضب الربّ !
ندّعي العدالة ، ونحتضن الظلم والظالمين !
نزعم الإخلاص ، ونطأ الإخلاص والمخلصين !
نقاسي نزعات الفناء .. وعندنا أسباب الشفاء !

اكسير حياتنا الإيمان ، ونحن نفرّ من الإيمان ..

إننا نملك كل شيء.. كل القوى الضرورية.. كل الطاقات البشرية والمادية.. كل أسباب المنعة ، والعزة ، والكرامة .. لكننا نعتقد ، شموخ القيـادة ، وأريحيّة الإرادة وحافز الدين ..

كل مساعينا فاشلة ، ما بقيت قلوبنا شتى !

كل آمالنا باطلة ، ما دامت نفوسنا لا تنضح إلا الصّغار !

كل جهدنا خائب ، إذا لم نع معنى : حيّ على الجهاد ..

وكيف نعي ، ومؤتمراتنا « سيرك » ، واجتماعات إفك وقراراتنا بهتان !

نلتقي على موعد .. ونفترق على وعيد ..

ثقيلة عن الخير أرجلنا .. سريعة بنا إلى الشرّ !

نتنادى للجدّ ، ونحن نضمر الهزل .. نجتمع على أدب الحق ومنهاجه ، ثم ينصرف كل لطيته لا يلوي على شيء .

نقاشنا مِرَاء .. ومنطقنا إنكار !

جامعتنا العربية .. « هادمة اللذات ومفرّقة الجماعات ! »

مسكينة جامعتنا ! هل هي إلا صورة لدولنا ومجتمعاتنا ومؤسساتنا !؟

هل يصدّق القارىء اننا اجتمعنا يوماً في اللجنة السياسية ، بعد هزيمـة الذلّ ، لنضع خطة ، ونرسم طريقاً .. وجلسنا نستر خذلاننا ببعض قراراتنا المترهّلة الفضفاضة .. فأضاع « أهل بيزنطة » أربع ساعات يتصايحون حول صياغة القرار ! ويتجادلون في أحرف العطـف .. والجر .. وإثبات فواصل الكلم هنا وهناك .. والعدو يدقّ الأبواب ويدكّ الحصون !؟

أنا لست هنـا في معرض الاستنباط والاستنتاج لإيراد البيّنة وتوكيد الدلالة .. لكنني أودّ ان أعرّف القارىء بواحد من اجتماعات اللجنة السياسية ، ليرى كيف تعمل قياداتنا ، وكيف تنشط مؤسساتنا ..

اجتمع وزراء الخارجية العرب في أوائـل شهر أيلول سنة ١٩٦٨ لبحث الموضوع الرئيسي في جدول الأعمال ، وهو عرض الموقف العربي ، في مواجهة

العدوان الإسرائيلي .. وخرجوا بقرار ملخصه : ان مجلس الجامعة العربية عرض الموقف العربي ، وأجرى تقييماً شاملاً ومفصلاً لحقائق الموقف وجوانبه ، وأكّد إيمانه بأن التعاون العربي الشامل هو الضمان الأكبر لانتصار الأمة العربية وتحقيق أمانيها ، ولذا قرر وزراء الخارجية تأمين الصمود على الجبهة الأردنية ودعمه ، وأن تبادر الحكومات العربية إلى الاتصال بالحكومة الأردنية للمساهمة الفورية في تعزيز هذه الجبهة وتقوية دفاعها حسبما يقتضيه الموقف وفي أقصى ما تستطيع ان تقدّمه كل دولة .. وأكّد الوزراء استمرار دعم الكفاح المسلح وأشادوا بالكفاح البطولي الذي يخوضه الشعب الفلسطيني .. وقرّر وزراء الخارجية استمرار السيد عبد الخالق حسونة في منصبه كأمين عام الجامعة مدة سنة أخرى ، تقديراً لخدماته الطيبة .. الخ ..

وقال وزير خارجية الأردن — رئيس الدورة — بعد انتهاء أعمال المؤتمر : ان على الدول العربية أن تسوّي خلافاتها إذا أرادت أن تقيم جبهة متماسكة قوية في مواجهة الخطر الإسرائيلي ، وتفرض الإرادة العربية !!

ومن يقرأ هذه المقررات اليوم ، يحسب انها وضعت لأمة أخرى في معركة مصيرها !

أين التقييم الشامل ؟ أين التعاون العربي ؟ أين الجبهة المتماسكة ؟ أين تعزيز الجبهة الأردنية بجيشها ومناضليها .

قرّرنا شيئاً ، وفعلنا عكسه .. انفرطت الجبهة الشرقية .. وتخلفت الدول المليئة عن دعم الأردن .. بل عملت جاهدة للتملّص من مسؤولياتها ، بطرح جميع متناقضاتها وخلافاتها في الساحة الأردنية ، تعين المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ، بتأريث الضغائن والأحقاد .. ووضع الأخ في مواجهة أخيه ، وتشويه العمل الفدائي من داخله ، فتلاحقت الكوارث وتتابعت المصائب وانحرفت القضية من معركة مصير إلى معركة تقويض الأردن .. الأردن الذي يراد له اليوم أن يكون كبش الفداء ... و « الشاطر » اليوم من ينهد ، ليسدد نصاله إلى الفريسة المثخنة بجراحها ، التي تلقت وتتلقى طعنات الأهل والأحبة منذ عقدين من الزمن ، دون ذنب جنته ، لينهار الأردن ، فتنهار القضية برمتها ..

وهل تكون قضية إذا لم يكن الأردن ؟.. ويتسابق اليوم الأخوة والأشقاء ، يتيهون علينا ويدلـّون ويمنـّون ، يمنعون رفدهم ، ثم يتفضـّلون .. ثم يمنعون ، ويظهرون الاشفاق ، ويضمرون التشفـّي ، والإهانة والإذلال ، كالذي ينفق ماله رِئاءَ الناس ! وكأنما القضية لعبة هينة وتسلية حمقاء .. لا قضية مصير أغبر يحسبون جهلاً أنهم في نجوة منه !

وأعود إلى سياق الحديث ..

نقرأ اليوم قرارات اللجنة السياسية تلك ، فنجد اننا خلال السنتين اللتين تلتا وضعها قد بذلنا كل جهد لتحطيمها وتدميرها وإلغائها عدا قرار واحد من تلك المقررات الهازلة .. نفذناه وحققناه ووفينا به هو قرار تمديد خدمة السيد حسونة .. وكفى الله المؤمنين القتال .. وماذا يريد العرب منا غير ذلك ؟ أليس هو الصمود الذي عنيناه ، والتعاون الذي نشدناه ، والدعم الذي كذبنا به على الله والناس ؟

ولكي تكتمل صورة المأساة ، أحب أن يعلم القارىء ان ذلك المؤتمر لم يقف عند هذا السخف ، بل شهد مسرحية جديدة من الخلافات العربية المضحكة المبكية .

فقد أعلن مندوب إحدى الشقيقات !! في بيان طويل ، ان حكومته ترى ان الجامعة العربية ليست منصة حرة ، بل هي جهاز تابع لإحدى الدول العربية ، وان على الدول العربية التي قررت خوض الحرب ضد إسرائيل عام ١٩٦٧ أن تتحمل وحدها مسؤولية ذلك القرار ، وان قرار مجلس الأمن يحقق لإسرائيل مكاسب لم تكن تحلم بها .. وان حكومته لا توافق على مقررات مؤتمر الخرطوم ..

وتوّج المندوب اعتراضاته المسهبة بإعلان انسحابه من الاجتماع ما لم تقلع حكومة مصر عن كل ادعاء لتوحيد الدول العربية ، وان أبلغ تعبير في رأيه عن هذا التحوّل يتمثـّل في تغيير اسم « الجمهورية العربية المتحدة » !!..

هكذا وحق السماء !

الله أكبر .. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه :

الدعوة للوحدة ، ضرّ ، واختيار الدول لأسمائها مظنة ارتياب !.. ونحن « شكليون » هكذا برأنا الله لا نهتم إلا بالقشور ..

الإسلام عندنا عيب وتخلّف ورجعية

والوحدة تهديد للكيانات الهزيلة التعيسة

والحرية حرية الحاكمين

والاشتراكية .. نهب أموال الناس ،

والفداء ، انحراف ولهاث وراء الشعارات !

والديمقراطية ، تزييف لإرادة الشعب ، وضحك على « الذقون » وواجهات مهترئة تخفي وراءها دكتاتوريات مطلقة ، ببزّة مشير ، أو رداء أمير ، أو عباءة شيخ القبيلة !..

ثم ماذا ؟.. ماذا بقي لنا لنصدّ بـه الغزو الفكري الاستعماري ، والغزو العسكري الصهيوني ؟..

ألم أقل لك : اننا نواجه أكبر تحدٍّ واجهته أمتنا وحضارتنا وعقيدتنا ، ونقف إزاء ذلك ممزقين، مشلولين هازلين ، مسرعي الخطى إلى مهاوي الفناء!!

ولو ان قومي أنطقتني رماحهم نطقتُ ولكنّ الرماح أجَرّتِ

لقد حسب المفكرون المؤمنون ان النكبة سترد الأمة إلى ذاتها وتراثها .. إلى أصولها الروحية وينابيعها الحضارية ، لكن الظن خاب وطرحت الكارثة مثار نقع جديد ، بعث الفتن النائمة وأغرقنا عوداً على بدء في دوامة المساومات والمزايدات ..

فيها فكرة الامامة وانها حق مفروض على الأمة الإسلامية من عند الباري عز وجلّ ، ولقد أعطوها صفات قدسية روحانية لا تمت إلى الإسلام بأية صلة . وقالوا انها حق مكتسب لآ ل بيت الرسول جاءتهم من عند الله . وان الشمس تستحق التقديس أثناء شروقها ومغيبها .

ومع مرور الزمن تطوّرت هذه الفكرة فوضع لها أصول وأحكام وشروط أوصلت الامام إلى مرتبة الألوهية . والشمس إلى العبادة .

والخطوة الثانية التي اتخذت في هـــذا المجال كانت إيجاد التأويل الباطني والقول بالباطن والظاهر وذلك لتقويض دعائم الدين واستئصال شأفته ،وما عتم بعد ظهور هذه الأفكار ان تفرّق المسلمون أصحـــاب الدين الواحد إلى فرق ومذاهب شتى متناحِرة متنابذة يلعن بعضهم بعضاً ويكفر أحدهم الآخر ، مما أدّى بالتالي إلى إزهاق الملايين من النفوس البريئة على مذبح النعرات الدينية .

أخي في العقيدة ،

أراك بعد كل هذا وقد أصبحت في غاية الشوق إلى معرفة بعض الحقائق عن مذهبك وعقيدتك الباطنية لتعرف إلى أي مدى تنسجم مع الدين الإسلامي ولتتأكد بنفسك الخيرة نوعية الأمور الدخيلة عليه .

هلمّ معي لندرس سوية بعض النصوص الخطية التي زرعها في كتبنا الدينية السرية من يسمونهم الحجج والأبواب والنجبا والنقبا أمثال :

المفضل الجعفي ، وميمون القداح ، وأبو شعيب النميري ، وأبو الخطاب ، وغيرهما .

لنرى إلى أي حدّ تنسجم مع الإسلام وإلى أي مدى تخدم الصهيونية .

كيف أسس المذهب النصيري

تاريخ الباطنية في الإسلام يرمز من طرف خفي إلى أولئك الغلاة أصحاب البدع الذين تبرأ منهم الامام جعفر الصادق عليه السلام على رؤوس الاشهاد

قبل وفاته عندما شعر بخطر الأفكار التي راحوا يبشرون بها على الإسلام ووحدة الصف الإسلامي .

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام استطاع هؤلاء ان يتلاعبوا في صفوف الشيعة ففرّقوا شملها وجعلوها فرقاً وأحزاباً يتزعم كل منهم إحداها ويضع لها الأسس والمبادىء التي تتفق مع ميوله والغاية التي ينهد إليها والهادفة إلى تقويض دعائم الدين ومن هؤلاء :

١ ــ ميمون القداح الديصاني اليهودي الفارسي مؤسس الفرقة الميمونة وواضع المبادىء القرمطية الهدّامة .

٢ ــ المفضل الجعفي أصل كل رواية باطنية ومؤسس الفرقة المفضلة الغالية .

٣ ــ أبو الخطاب المجوسي الذي يمت بصلة القربى لأحد الكهان اليهود في البصرة ، ولما شعر الامام الصادق عليه السلام بأنه استطاع ان يغوي ولده إسماعيل بن جعفر تبرأ منه ونزع ولاية العهد عن ولده إسماعيل .

وبالرغم من كل هذا تمكن من إيجاد الفرقة الخطابية ، وساهم بوضع مبادىء الاسماعيلية والقرامطة .

٤ ــ محمد بن سنان خازن علم الباطن ومؤسس الفرقة السنانية .

أخي العلوي في كل مكان ،

لا تتسرع في الحكم قبل أن تنتهي من مطالعة كل الحقائق التي سأسردها عليك لتعرف موطن الداء ومن هم أصل البلاء .

اما أنا فأقول لك بأن أصل الغلو والزندقة والتطرف هؤلاء الأربعة مجتمعين لأنهم كما يشتم من تاريخهم الأسود اعتنقوا الاسلام وانتحلوا الولاء لآل بيت رسول الله للتغطية ، وليتمكنوا من تنفيذ المخطط اليهودي الهادف إلى تحطيم الدين الاسلامي .. هؤلاء هم الذين وضعوا الأسس والمبادىء العقائدية الباطنية الغالية وظلت الفرق التي نوّهنا عنها آنفاً تعمل بموجبها حتى عام ٢٦٠ للهجرة حيث أعلنت غيبة الامام الثاني عشر محمد بن حسن العسكري عليه السلام عندها ظهر من أحفاد هؤلاء شيخ آخر «وحيد العين» يتمتع بذكاء خارق ودهاء

- ٦ -

أبعاد المؤامرة على الفكر والخلق والتراث

في مجتمع الكراهية ، يصبح الحوار إنكاراً مطلقاً ، لا مقارعة رأيٍ برأي ومعارضة حجة بحجة .. وليست المعارضة كالإنكار ، فيما يقول « الجاحظ » .. المعارضة كالموازنة والمكايلة ، فمتى قوبلتَ بأخبار في وزن أخبارك وبخرجها ومجيئها فتلك هي المعارضة .. فاما الإنكار فليس بحجة كما ان الإقرار ليس بحجة .. إنما الحجة في المجيء الذي لا يمكن في الباطل مثله .. لقد أصبح الحوار في المجتمع العربي إنكاراً كله ، وذلك هو الجهل بعينه .. ولذا تعمّ البلبلة التي نراها ، وتسود الفوضى التي نقاسيها .. وأسوأ ما ينضح به مجتمعنا ، احتجاج متنازعين في حديث لا يحسنان منه شيئاً ..

نقاشنا كنقاش « أبي لقمان الممرور » الذي سألوه عن الجزء الذي لا يتجزأ فيما يدور بين علماء الكلام .. فقال الجزء الذي لا يتجزّأ هو علي بن أبي طالب ، فقيل له : أليس في الأرض جزء لا يتجزّأ غيره ؟ قال : بلى حمزة جزءٌ لا يتجزأ وجعفر جزءٌ لا يتجزأ . قيل له : فما تقول في أبي بكر ، قال : أبو بكر

يتجزّأ .. قيل له : فما تقول في عثمان ؟ قال : يتجزّأ مرتين ، والزبير يتجزّأ مرتين .. ومعاوية يتجزّأ مرات .. قالوا: لقد فكّرنا في تأويل قول أبي لقمان صاحب عليّ بن أبي طالب حين جعل الأنام أجزاء تتجزّأ ولا تتجزّأ ، إلى أي شيء ذهب فلم نقع عليـــه إلا أن يكون : ان أبا لقمان كان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزّأ هاله ذلك وكبر في صدره ، وتوهم انه البـاب الأكبر من علم الفلسفة ، وان الشيء إذا عظم خطره سمّوه بالجزء الذي لا يتجزأ ! »

ألست معي يا أخي ان معظم المتصدّرين للافتاء بيننا هم من طـــراز أبي لقمان !؟!

وأنا أقدم هذه « الفذلكة » بين يدي هذا الفصل مدخلاً لنقاش موضوعيّ بنّاء ، بوثائق صحيحة وبيّنات ساطعة ، ونصوص مستقاة من منابعها ، بحروفها حتى تبلغ الحجّة مبلغها وينتهي الحوار منتهاه ، فان تبيّن لك الحق ، وإلا فأنت على أمرك !!

*

قلت في كتابي « المؤامرة ومعركة المصير » ان القضية الفلسطينية هي ظاهرة من ظواهر الحرب الصليبية ضد الحضارة الإسلامية .. فقد تآمر الشرق والغرب ، مع الصهيونية العالمية ، لإقامة نظام دخيـل في منطقة الشرق الأوسط .. وفي قلب العالمين العربي والإسلامي يمزّق وحدة شعوبها ، باجتثاث حضارتها ، وهدم عقيدتها ، وردم تراثها .

حاولوا ذلك بالغزو العسكري ففشلوا ، وحاولوه بالمدّ الامبريالي ، ففشلوا ، ويحاولونه اليوم بالغزو الفكري من الخارج والتدمير الخلقي من الداخل ، وقد نجحوا أو كادوا ، وحجتهم ان الحضارات حين تتلاقى ، تتصارع ولا تتعايش ، وان لا بدّ لبقـــاء الحضارة الغربية من تدمير الحضارة الإسلامية ، ومحوها من الوجود . وان الخطر الأكبر على حضارتهم التي دبّت فيهـــا عوامل الانحلال والانهيار ، هو من جبهة الشعوب العربية والإسلامية في الشرق الأوسط والشمال

الافريقي .. ومن انبعاث إسلامي جديد !

وفيما يأتي من القول ، تسجيل وثائقي ناصع الدلالة ، لأبعـــاد المؤامرة ، ووسائلها ومراميها .. وإليك أسوق الحديث :

١ ـ يقول « يوجين روستو » المستشار الأول للبيت الأبيض خلال البرهة التي تكامل فيها توطيد دعائم دويلة إسرائيل : « لكي يغـــدو بإمكاننا تفهم الوضع في الشرق الأوسط ، يجب أن ندرك ان المشكلة فيه هي مشكلة صراع بين حضارتين : الحضارة الغربية ، والحضارة الإسلامية ، لا مشكلة قيـــام إسرائيل !؟ وان العداء الذي تضمره المنطقة للغرب ، قد تجاوز حدود إقامة دولة غريبة في قلب العالم العربي ، ولا يمكن فهمه وتفسيره إلا على أساس الخلاف المستمر بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية .

لكأنما هدف « روستو » الصهيوني ، من هذا المنطق التقريري الوقح أن يثبت ان عداء العرب لإسرائيل هو قضية ثانوية وسبب طارىء ، وان الأصل هو الجفوة الباقية بين الحضارة الإسلامية التي يمثلها العرب والحضارة الغربية التي تمثّلها إسرائيل ! وكأنه يريد أن يقول ان سبب النزاع ، ليس لأن إسرائيل جرثومة دخيلة قد اغتصبت أرضاً وشرّدت أصحابها.. ليس لأنها حركة عنصرية فاشيستية عدوانية توسعية !! ليس لأن قيامها هو جريمة بشعة ضـــد الشرائع والأخلاق والأعراف الدولية .. ولطخة عار في جبين الانسانية كلها .. ليس ذلك كذلك في نظر السيد « روستو » ، بل هو ان إسرائيل تمثل الحضارة الغربية في مناخ يناصب تلك الحضارة العداء .. وكأنه يريد ان يقول : ان لا لقاء بين شرق وغرب ، لأنهما يمثلان حضارتين متناقضتين وان تلاقح الحضارات وتفاعلها أمر مستحيل ، فلا بد من أن تطغى حضارة على حضارة وتبتلعهـــا وتقتلعها من أساسها وتقضي عليها قضاء مبرماً ليستتب السلام !!

بهذا المنطق الأبله ، صنع « روستو » واخوان له ، فلسفة السياسة الأميركية في الشرق الأوسط خلال عقدين من السنين !

٢ ـ في سنة ١٩٠٧ عقد في بريطانيا مؤتمر أوروبي ضخم ضم النخبـة من

السياسيين والمفكرين ، برئاسة وزير خارجية انكلترا الذي قال في خطاب الافتتاح : « ان الحضارة الأوروبية مهدّدة بالانحلال والفناء ، وواجبنا أن نبحث في هذا المؤتمر الوسائل الفعّالة التي تحول دون انهيار تلك الحضارة ... وبعد أشهر من الدرس والبحث والحوار ، توصّل المؤتمرون إلى خطة تقضي بتكريس الجهد لمنع أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ، لأن ذلك يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوروبا ، وان الوسيلة لذلك هي إنشاء قومية غربية معادية ، شرق قناة السويس .. ونتيجة لذلك الحلف الصليبي المتآمر ، أرست الدول الأوروبية أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية ، ثم أقطعتها فلسطين لتصبح أداة تمزيق وتفتيت لشعوب المنطقة العربية المسلمة !!

٣ — في سنة ١٩٢٠ ، عقد في باكو مؤتمر شيوعي صهيوني كبير دعا إليه الزعيم السوفياتي الصهيوني « راديك » وترأس حفل انعقاده « تروتسكي » وزير حربية روسيا حينذاك .. وانتهى إلى مقررات واضحة لا َلبْسَ فيها ، تهدف إلى محاربة رسوخ العقيدة الدينية في طباع العرب لكي لا يقووا على الوقوف في وجه المدّ الامبريالي ، والشيوعية الدولية ، والصهيونية العالمية .. وهكذا كان!

ولم يغفل المسلمون حينذاك عما دُبّر لهم وقـُدّر ، فقد تنادى علماؤهم إلى ندوة سياسية دينية عقدت في « طبرق » سنة ١٩٢١ بحثوا فيها أمور دينهم ودنياهم ، وأجمعوا أمرهم على مواجهة التحديات المصيرية ، بسلاح العقيدة .. ثم هجم وباء الاستعمار وهجم معه الغزو الفكري ، يزيّن لنا التخلّي عن ديننا ، وطمس معالمه ، وتقويض أركانه ، تحت ستار « التحضّر » و « التمدّن » .. حتى كان ما كان !!

٤ — كشف النقاب في لندن أخيراً عن تقرير رفعه « لورنس » صديق العرب (!) إلى الحكومة البريطانية سنة ١٩١٧ يقول فيه بالحرف : « علينا أن ندفع العرب لانتزاع حقوقهم من تركيا بالقوة، لأننا بهذا نستطيع أن نقضي على خطر الإسلام بأن نجعله يعلن الحرب على نفسه فنمزّقه من الداخل ... إذ ينتهي الأمر بقيام خليفة في تركيا وخليفة في العالم العربي ، ويخوض الخليفتان

حرباً دينية ، فيتمّ لنا القضاء نهائياً على خطر الدين الإسلامي !

٥ – أصدر الكاتبان البريطانيان «فيليب نايتلس»،ولولن سمبسون»في أواخر سنة ١٩٦٩ كتاباً بعنوان « الوقائع السرية في حياة لورنس العرب » تضمن وثائق مذهلة لم تنشر من قبل عن المخططات الاستعمارية الصهيونية الصليبية لتفتيت وحدة المسلمين وتشتيت شملهم وتقويض حضارتهم ، التي حفزت الاستعمار البريطاني آخر الأمر للتلويح بقيام جامعة الدول العربية ، مع عرفانهم بمحاورها وانقساماتها ، ليقطعوا الطريق على كل أمل في لقاء إسلامي جديد !!

ان ما ذكرناه ونذكره يشير إلى هدف واحد ، هو التخوّف من وحدة أقطار الشرق الأوسط ، والشمال الافريقي ، وهو أول وأعظم اهتمامات الساسة والمفكرين الغربيين ، ولذا يحاولون جاهدين تدمير الحضارة العربية الإسلامية لأنها السلك الوحيد الذي يجمع حلقات الشعوب في تلك المنطقة ، ويؤلف بين قلوبها ، وينير آفاق مستقبلها ..

لقد كان آخر عمل سياسي « لتشرشل » كما جاء في مذكرات « مكميلان » هو رسالة وجّهها إلى الرئيس ايزنهاور ، بعد عدوان السويس ، يقول فيها :

« لم يبقَ فيّ الكثير لأستطيع أن أقوم بأي عمل فيما بقي لي في هذا العالم ، وليست لديّ رغبة في إقحام نفسي في المشكلة الضاغطة القائمة اليوم ، لكنني أعتقد جازماً ان محور أميركا – بريطانيا هو الآن ، أكثر جدوى منه في أي وقت مضى ، منذ الحرب ، وأشد ضرورة . ولقد عملنا كلانا لإيصاله إلى المستوى الذي قام عليه .. ومهما يكن من أمر النقاش المحتدم هنا وفي الولايات المتحدة حول سلوك السيد « إيدن » في حرب السويس ، فان من الجنون أن نترك أحداث الشرق الأوسط تمزّق شملنا ، وتؤثر على الموقف الحيوي الذي تمليه علينا حضارتنا .

ويبدو ان ما تراكم من سوء التفاهم ، والفشل على جانبي الأطلسي ، قد لبّد الغيوم وفتح أبواب الأمل لروسيا لركوب العاصفة !

يجب أن يترك للمؤرخين ، تقدير الخطأ والصواب فيما وقع خلال السنة

الماضية ، حينما سادت عوامل الضغينة والحقـــد ، وأدى ذلك إلى اضطراب موقف أصدقائنا لعدم وضوح الرؤية إلى المستقبل . ويبدو ان الاتحاد السوفياتي يحاول التغلغل في ذلك الفراغ الخطير ، وأنت تقدّر معي ان كل نصر يحققه ناصر ، سيكون نصراً أعظم لهم . ان بقاء كل ما نؤمن به رهين بجمع شملنـا لإحباط أهدافهم ، وإذا نحن لم نعمل يداً واحدة ، فانني لست أبالغ حين أقول: اننا يجب ان نتوقع خضوع الشرق الأوسط وشواطىء أفريقيـا الشمالية تحت سيطرة الروس ، ووقوع أوروبا الغربية آخر الأمر ، تحت رحمتهم .. وإذا نحن فشلنا في اجتياز هذا المنعطف المخيف بسرعة وجرأة وإيجابية ، فاننا لن نكون جديرين بالقيادة التي اؤتمنا عليها .. انني أوجّه إليكم هذه الرسالة لأنني أعرف ما يعتمل في صدرك ، ولأنك الوحيد الذي يملك توجيـه الأحداث في المنظمة الدولية وفي العالم الحر .. لنؤكد للعالم ان الضرورات القومية لا يمكن ان تختفي في ضباب الخلافات الصغيرة ..

ان مسؤوليتك عظيمة حقاً .. وليس من أحد هو أكثر إيماناً بقدرتك على تحملها وأكثر أملاً في جدارتك بها من صديقك القديم — ونستون تشرشل » !!

٦ — يقول الأستاذ « اميل الغوري » : « عندما فشلت الجمعيات التبشيرية في فلسطين في محاولتها فصم عرى الوحـــدة الإسلامية — المسيحية بين عرب فلسطين قررت أن تسبغ على خطتها صفة دولية عالمية ، فدعت إلى عقد مؤتمر ديني مسيحي عالمي في القدس في نيسان سنة ١٩٣٥ ، أطلقت عليه اسم المؤتمر العالمي التبشيري مما أثار ثائـــرة العرب ، مسلمين ومسيحيين ، وسار الشيوخ والرهبان جنباً إلى جنب في التظاهرات الاحتجاجية .

وكانت هذه الجمعيات من العناصر المنحرفة عن الدين المسيحي التي نشأت في أحضان البروتستانتية في الولايات المتحـــدة ، بتأثير الحركة الصهيونية لنشر الفوضى والبلبلة ، وإضعاف معنويات المسيحيين العرب وصرفهم عن المساهمة عن المساهمة في الحركة الوطنية ، بل معارضتها .

ومن تلك الجمعيات : « شهود يهوه والسبتيّون ، والمعمدانيون ، وجماعة

كنيسة الله » ، ومعظم معتقداتهم على صلة وثيقة بالحركة الصهيونية ، فهم ينهالون طعناً في مقومات النصرانية ، ويجعلون الإسلام في مستوى الديانات الشرقية الوثنية ، وينادون بقيام مملكة إسرائيل ، ويزعمون ان الشعب اليهودي قد أزيل عنه غضب الله وانه سيعود إلى فلسطين ليملكها مع أنبيائه الذين سيبعثون فيخضع لهم العالم كله ، ولذا فهم يؤمنون بأن الحركة الصهيونية ، هي حركة إلهية وان « هرتسل » هو رسول الله ومبارك منه تعالى .

وقد قرر المؤتمر العالمي السالف الذكر ، إقناع العرب عامة بعدم جدوى مقاومتهم للحكم البريطاني والخطط الصهيونية لأنها إرادة الله . فتعاونت تلك الجمعيات التبشيرية مع دوائر الاستخبارات البريطانية ، ومع الدائرة السياسية للوكالة اليهودية ، وعندما نشأت أزمة « البراق » سنة ١٩٢٩ ، هبّت تؤيد وجهة النظر اليهودية ، وحقوقهم المزعومة في ساحة الحرم الشريف ، وأفلحت الحركة بعض الوقت في تأريث نار العداوة بين المسلمين والمسيحيين العرب ، بشراء بعض ذوي النفوس المريضة من الطائفتين ، فوقعت مصادمات دموية ، وكانت ذروة الأحداث اغتيال المرحوم « ميشال متري » سكرتير جمعية العمال العرب ، وأحد رجال الحركة الوطنية البارزين ، وكاد ذلك ان يؤدي إلى إضرام نار الفتنة لولا ان تداركها المخلصون فحسموا الشر قبل ان يستفحل واجتثوا الفساد من أساسه ، وسلمت الوحدة الوطنية » .

٧ — يقرر « برنار لويس » في كتابه « الغرب والشرق الأوسط » : « عندما تتصارع حضارتان ، يجب أن تسيطر إحداهما وتندثر الأخرى » ! ويقول : « تأثير الغرب في الشرق الأوسط جاء بتغييرات مشكوك في قيمتها .. أولاها : الانحلال السياسي ،فلم يكن هناك خلاف على مشروعية الحكم إبّان الامبراطورية الإسلامية ، إذ كان السلطان هو وارث الخلافة التي تضم جميع مسلمي العالم ، وبصورة خاصة مسلمي الشرق الأوسط وشمال افريقيا ، وبضياع الشرعية ، أضاع أهل الشرق هويتهم الواحدة ، وصاحب نسف وانهيار النظام السياسي ، انحلالٌ اجتماعي وثقافي مواز له » .

ويقول : « ان النظام الجمهوري يعني في الشرق الأوسط دولة لا يحكمها ملك ، ولا صلة لاصطلاح « الجمهورية » بالطريقة التي وصل بها رئيس الدولة إلى منصب الرئاسة ، ولا بالطريقة التي يخرج بها منها ، ولا علاقة لكلمة « جمهورية» بنظام حكم تمثيليّ نيابيّ ولا بديمقراطية ليبرالية » .

ويقول : « الشيء الوحيد الواضح في الحركات السياسية في الشرق الأوسط ان جميع الحركات الكبرى التي هزته في القرن والنصف الأخير ، كانت حركات إسلامية أصيلة في تمثيلها لمطامح أهل المنطقة ، فالليبرالية والفاشيستية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلهـــا أوروبية الأصل مهما أقلمها وعدّلها أتباعها في الشرق الأوسط ، والمنظمات الاسلامية هي الوحيدة التي تنبع من تراب المنطقة ، وتعبّر عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة » !

٨ ـ قال مستر « جلادستون » رئيس الوزارة البريطانية في عهد الملكة فيكتوريا ، في مجلس العموم ، وهو يرفع بيده القرآن : « ما دام هذا الكتاب في أيدي المصريين فلن يقرّ لنا قرار في تلك الديار » وعلى هذا الأساس ، أرسى الاستعمار البريطاني سياسة تعليمية في مصر لا تدرّس شيئاً من حقيقة الإسلام خلا انه أوهام وغيبيات ، وطقوس صوفية ، وإذكار وزار .. وشبهات تفنن في وضعها المستشرقون ..

٩ ـ قال اللورد « اللنبي » وهو يدخل بيت المقدس سنة ١٩١٧ : « الآن انتهت الحروب الصليبية » !

وهتف الجنرال « غورو » على قبر صلاح الـدين حينما دخل دمشق : « قم يا صلاح الدين لقد عدنا » !!

١٠ ـ من ينسى موقف الدول الأوروبية في محاولاتها المتلاحقة التي لا تفتر ولا تكلّ لتدمير معالم الحضارة الاسلامية في نيجيريا ، وتنزانيا ، وغينيـا ، وأرتيريا ، وجنوب السودان ، وفي كل بلد أكثريته الساحقة مسلمة .. ونستمع الآن إلى أصداء ضجة كبرى في «الكونغرس الأميركي» لأن الحكومة الأميركية قد أنفقت سراً مبلغ ١٦٥ مليون دولار على تدريب القوات الحبشية التي تقاتل

مجاهدي « أرتيريا » المسلمين ! وهو مبلغ يزيــد على ثلثي جميع المساعدات العسكرية الأميركية المخصصة للدول الافريقية ، لتصرف كلها في حرب الاسلام والمسلمين !!

١١ – أدلى قنصل إسرائيل في نيو دلهي «ياكوف موريس» بحديث في مؤتمر صحفي عقده في « شانديغار» بالهند ، قبل بضعة أشهر قال فيه : « ان إسرائيل زوّدت الهند بمدافع ثقيلة أثناء حربها مع الباكستان سنة ١٩٦٥». وبعض الدول العربية التقدمية لم تستحِ ان تقف في تلك الحرب مع باطـــل الهند ضد حق الباكستان في كشمير ، لأن الباكستان ، دولة مسلمة تلتزم في قضيتنا المقدسة موقفاً شريفاً ينبع من دينها،ويفضل موقف جميع الدول العربية دون استثناء.. ولأننا نحذر الوقوف مع حق اخواننا في العقيــدة ، تحاشياً لمظنّة الاتهام بالرجعية والتخلّف !!

١٢ – نشرت « الدايلي تلغراف » في عددها ٢٨–٨–١٩٧٠ مقالاً بعنوان: طريق الإسلام لحو الديمقراطية ، حول الانتخابات الباكستانية الأخيرة ، جهد كاتبه خرقاً وتفاهة ، أن يثبت ان « الإسلام ضد كل تقدم اجتماعي ولذا لا يصلح أساساً للدستور الباكستاني الجديد » ..

لا شيء يرهبهم كالإسلام .. مجرد ذكر الاسلام يصيب القوم بالرعدة والهلع!

١٣ – كاتب صهيوني بريطاني يصف الاسلام في « التايمز » بتاريخ ١٤–٣–١٩٧٠ بأنه دين بدائي ، وان هناك عقيدة شائعة بين المسلمين ، ان الله سيلد في المستقبل لرجل ، ولذا يلبس الرجال سراويل فضفاضة يسمونها « مصيدة الله God Catcher » وتكتب التايمز مقالاً آخر غداة إقصاء سلطان عُمان ، تقول فيه : « ان الأوضاع الاجتماعية والسياسية في عُمان كانت بالغة السوء والتخلف لأنها ظلت على ما كانت عليه زمن النبي » .

عفوك يا رسول الله .. ذلك إفكهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذباً !

١٤ — قال « كاسترو » [1] للسفير الاسرائيلي الجديد في « كوبا » كما ورد في جريدة « جراما » ومجلة « كوبا سوشياليستا » الكوبيتين : « ان حركات الفداء الفلسطيني ستفشل لأنها ضعيفـــة عقائدياً .. ونصح الدكتور كاسترو السفير الاسرائيلي بأن تحول إسرائيل بكل قوة دون اتخاذ حركات الفداء طابعـــاً إسلامياً دينياً ، لأن ذلك يجعلها شعلة تستقطب حماس ملايين المسلمين ، ويجذب إلى المعركة جماعـات ودولاً إسلامية تجعل من المستحيل الابقاء على الكيان الاسرائيلي ، وانه يحسن بإسرائيل ان تسعى في نهاية المطاف ، لتقوم حولها أنظمة اشتراكية ثورية ، تلهي حركات التحرر الشعبية عن اللعب بنار العقائد الدينية ، وتنشغل هذه الحركات بمهام التحرر الاشتراكي ، وبذا يتمّ التعـايش السلمي بين الاشتراكية العربية والاشتراكية الاسرائيلية » ..

وقد كفينا نحن بأيدينا ، كاسترو وإسرائيل ذلك الجهد والعناء ، فهـذه بعض منظماتنا الفدائية ، تستحي من كلمة « جهاد » لأنها أي الكلمة ، ملتصقة بالعقيدة .. وهم يحاربون العقيدة أكثر مما يحاربون إسرائيل !.. بل ان بعضها يستحي من الانتماء إلى بطولاتنا وأمجادنا التاريخية ، حتى ان «مجموعة ليلى خالد» تسمي نفسها بمجموعة « جيفـــارا » لأن أسماء محمد وخالد وصلاح الدين ، أسماء سلفية ، تشير إلى التخلّف والرجعية .. تشير إلى الإسلام .. عيب !!

وهذه بطلة المجموعة ، تقول « جهاراً نهاراً على رؤوس الاشهاد » في إحدى الصحف اللبنانية قبل أسابيع : انها تنكر وجود الله ، وانها أكبر من هـــذه السخافات لأنها « ماركسية » .. صفقوا للبطلة الملحدة !!

وهذه — قبلها — الشاعرة فدوى طوقان تعلن في صحيفة إسرائيلية ، هذه المرة ، بجهل طفولي ، وغرور مراهق : انها أيضاً تنكر وجود الله ، فتقول لها الكاتبة الاسرائيلية : « لهذا بنينا وهدمتم .. غلبنا وانهزمتم !.. »

١٥ — يمارس الرئيس « نايريري » في « تنزانيـا » حكماً في « تنجانيقا »

---

١ — عمر حليق .

يخالف حكمه في « زنجبيار » فقد وصفت مجلة « الايكونوميست » في عددها ١٤ تاريخ ٢٠-١١-١٩٧٠ حكم « نايريري » في زنجبيار المسلمة بأنه أسوأ حكم في العالم ، وانه يختلف عن أسلوب حكمه في « تنجانيقا » المسيحية ، برغم انتماء القطرين لحكومة واحدة ونظام واحد .. فهو إذ يحكم هذه وفقاً لمثله العليـــا كمسيحي وكاشتراكي .. يحكم تلك بواسطة صنيعته وعميله « عبيد نكرومي » المسلم (١) حكماً لا يمتّ إلى الشرف والأخلاق بصلة ، ويتظاهر في الوقت نفسه بالنقمة على التمييز العنصري والديني ويقطع عـــلاقاته الديبلوماسية بروديسيا وجنوب أفريقيا لهذا السبب !!

قال « ايرل برغر » في كتابه «العهد والسيف»: « الشعور المناوىء لإسرائيل تقوم به في البلاد العربية المناصر التي يسمونها رجعية ، وعندما كان المجاهدون من الاخوان المسلمين سنة ١٩٥١ يقضون مضاجع إسرائيل، وقف « بن غوريون» في الكنيست وقال : اصبروا فلن يكون هناك سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين ، ان الشرط الأساسي للسلام ، هو أن يقوم في البــلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدمية متحررة من التقاليد » ..

وقال المؤرخ « جورج لينشوفسكي » في كتابه « الشرق الأوسط في المحيط الدولي » : « هنـاك شواهد كثيرة أقنعت إسرائيل ، ان تحول الدول العربية إلى مجتمعات يسارية ، هو الحل الوحيـــد لانصراف أوتوماتيكي عن المواقف المعادئية إزاء الصهيونية العالمية » .

١٧ – يقول « جي موليه » رئيس وزراء فرنسا السابق : « ان الحركة الإسلامية التي تنمو وتمتدّ في أفريقيا، تهدّد الامبراطورية الفرنسية في المغرب.. ويعترف الكاتب الفرنسي « فرانسيس جانسون » : « ان الاحتـلال الفرنسي للجزائر كان منذ البدء يحمل طابع الحروب الصليبية : التبشير والاستعمار » .

ويقول « ألان مورهيد » مؤلف كتابي « النيل الأبيض ، والنيل الأزرق »: « ان احتلال الانـكليز لمصر سنة ١٨٨١ كان لمواجهة مؤامرة إسلامية خطيرة ، وتيّار محمدي متعصّب » !!

حين نتعصّب نحن لديننا نكون متآمرين ، أما حين يتعصّبون هم ضد ديننا ، فذلك هو المنطق الحتمي للتاريخ !!!

*

لم يقتصر الأمر على الغزو التدميري لحضارتنا وتراثنا الفكري ومقوماتنا الروحية من الخارج ، بل صحب ذلك البلاء صراع تدميري من الداخل ، كان الكثير من قادتنا ومفكرينا ، أدواته ودعاته ، عملاء مأجورين في المؤامرة الشؤم التي تهدف إلى سلخ المواطن عن عقيدته ودينه ، فيقف أعزل عارياً ، صفر اليدين ، أمام الأحداث المصيرية ، ويصبح فريسة سهلة أمام الهجوم الخيف وينتهي به الأمر إلى ضياع محقق بين عقائديات اليمين واليسار .. لا يدري كيف يكون ولاؤه ، ولمن يكون انتماؤه !؟..

هجرنا ديننا في الصراع الديني .. ورفضنا حضارتنا في النزاع الحضاريّ .. كفلول المرتزقة ، لا تؤمن بقيمة ولا تلوي على خير .. لا يستثيرها هتك الحرائر ، واستلاب الأوطان .. ولا يستفزّها لبوس الخزي والعار ..

والعدو ، من ناحيته ، ماضٍ في التجمع والاقتحام .. يُعِدّ العدة .. ثم يشنّ الغارة .. يستكين ثم ينقضّ .. يتقدّم ونتراجع .. يتوسّع ، ونتقلّص .. يزهو علينا ويستهين بنا .. ولو كنا رجالاً ، ما زها ولا استهان !!

يقول الله لنا : « وأما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » .. وتحف بنا الخيانة ، فلا ننبذ على سواء .. بل ننتبذ مكاناً قصياً . « وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين » ذلك لأنهم يستحبّون الحياة الدنيا على الآخرة فيخسرون الدنيا والآخرة جميعاً ..

لكن المؤمنين لا يقنطون من رحمة ربهم ، لأنهم يؤمنون بقوله تعالى : « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتُفسِدُنّ في الأرض مرتين ولَتَعلُنّ علواً كبيراً » .. وحين يبلغ الكتاب أجله .. ويعود المسلمون إلى دينهم ، ويحاربون ذياداً عن مقدّساتهم .. يصبح علوّ إسرائيل أثراً بعد عين ..

وإلى هؤلاء نسوق نحن الحديث ..

وإذا جمح بنا الاستطراد ، فلأن المصدور إذا لم ينفث جَوِيَ !!

وكيف يغضي المؤمن ، ويغضّ من طرفه ، ويخافت من صوته ، ويطامن من خطوِهِ !؟

كيف .. كيف .. ونحن نرى الشرف يُنحـــر .. والمروءة تذبح والنخوة كالعنقاء ، نسمع بها ولا نراها !!؟

لقد تكاثرت علينا النصال ، فلا ندري كيف نتّقيها !؟

من سمع ، قبلنا ، بأمة تعادي العقل وتتآمر ضد نفسها مع أعدائها ؟ حتى لقد بلغ من هواننا أن نغدو سِلعةً ، تجّارها أبناؤها !!

لقد اعتلى المنابر ُقبَيلَ الكارثة وفي أعقابها ، كتاب ، وأدباء وشعراء ومفكرون يدعون إلى الانحلال الخلقي والاباحية ..

وبلغ السّفَهُ بهم ان يفلسفوا أسباب الهزيمة ، « باحتقـــان الجسد العربي بالشهوة ، واختلاله بالتشنّجات والعقد ، والالتواءات ، لتمسكه بأوثان التقاليد ، والمبادىء الخلقية والدينية .. تلك المفاهيم التي أصبحت أوثاناً لا بد لتحرير الجسد العربي ، من البصق عليها ، وركلها بالأقدام — هذا أسلوبهم ! — ويتساءل شاعرهم الذي يقذفنا بمخازيه في « الوست هول » في الجامعة الأميركية ببيروت .. تحت ستار حرية الرأي والتفكير ، يتساءل : هل هذا وقت الحديث عن الحبّ والجنس ، ونحن غارقون في المأساة حتى الرُكب ، ويجيب نفسه : « نعم ! هذا هو الوقت الذي يحاول فيه الانسان العربي أن يغيّر ويتغيّر .. انه وقت الانقضاض على كل شيء .. على كل قيمة خلقية » .

ولو صدق لقال : ننقضّ نحن على القيم الخلقية ، ونترك لإسرائيل حريـــة الانقضاض على بلادنا وأموالنا وأعراضنا !!

ويكتب كاتبهم في ملحق « النهار » اللبنانية تحت عنوان : « امرأة بلادي للوجد والعشق والجنس » : « لنتحدث عن حرية المرأة .. دعوني أعترف لكم فوراً ، ان حرية المرأة ليس لها غير معنى واحد : انه المعنى الجنسي .. المرأة

في نظري ، هي مصبّ الأشواق والشهوات هي مخلوقة غرامية لا معنى لهـــا خارج الوجد والعشق والجنس .. إن أقوى ما يحرك الانسان ، ما يحرك الرجل هو المرأة ، هو اننا نشتهيها .. أنا أؤمن بامرأة تعشق من أول نظرة .. وإذا ارتفعت دون حريتها حواجز الأخلاق والتقاليد والعادات ، تنظر إلى هـــذه الحواجز بابتسامة احتقار ، وتتخطـّاها ، أو تحطم الحواجز من غير تفكير !

أنا لا أؤمن إلا بامرأة تشتهي ، وتحب ، لأنها عندئذ تذكـّر الرجل أن الحب أحسن من الحرب !.. ما هي حرية المرأة ؟ حريتها الحقيقية هي حرية العلاقة مع الجنس الآخر .. أو حتى مع بنات جنسها أو مع الجنسين معاً ... والرجل ما هو دوره ؟ عليه أن يحرّض المرأة على الحرية .. انني أطلب لامرأة بلادي الحق بأن تصادف رجلاً فجأة ، فإذا اشتهته حققت شهوتها !..

انني أطلب لامرأة بلادي كسر طوق الاضطهاد العائلي والدين والأخلاق.. حريتها في أن تكون حرة بلا حدود .. حرة في إقامة علاقة جنسية ، قبل الزواج !.. حرة في تغيير حبيبها متى ضجرت منه .. حرة في التصرف بجسدها دون قيد ولا شرط » ..

لكأنما ودّ هذا الوغد،أن تصبح جميع نساء بلاده«مومسات»! يذكر لنا ان الحب أحسن من الحرب .. ان اشتهاء المرأة أفضل من معركة الثأر .. يريدنا كالبهائم ينزو بعضنا على بعض في الطريق العام !

وقد حزنت والله يوم قيل لي ان بعض رجال الجيش الأردني قد وجدوا في مخلـّفات بعض المنظمات الفدائية الماركسية بعمان ، أثنـــاء حوادث أيلول : حشيش ، ومخدرات وفتيات ، وصوراً عارية وأشرطة وأفلاماً داعرة ، وبعض منشورات تحضّ على تفريغ توتـّر الجسد من الشهوة وعلى غسل «ثوري» للأدمغة والأخـــلاق .. وفي تاريخنا العربي سابقة في مذاهب الباطنية والاسماعيلية والحشاشين .. حشاشين حقاً وفعلاً لا قولاً !

ومما يجري هذا المجرى، ما كتبه المدعو « عادل فيـّاض » في ملحق «النهار» ٢٢-٩-١٩٦٨ : « المواطن العربي كذّاب وأناني وأزعر ! ومصاب بالكبت

الجنسي ، وغير متحرر ومعقـد ، كذلك الفتاة العربية ، جهازها العصبي بدون تربية (هكذا) انني أرفض أن أكون عربياً .. لست عربياً .. أنا حرّ .. اوه العرب « معسونا » انهم لا يستريحون إلا إذا « تحررنا » من الــدين والأخلاق » !!

وأبلغ من هذا وأعمق في الدلالة على أهداف المؤامرة قول المدعو جوزيف روفائيل في ملحق « النهار » بتاريخ ٧-٣-١٩٧١ :

« نحن نؤمن ان الخطر العربي هو أشد بكثير علينـا من الخطر الصهيوني . فالعرب أشقاؤنا يريدون أن يبتلعونا حسداً منا ومن ازدهارنا وانتعاشنا .. العرب يريدون ان يصوروا لنا ان اليهــود هم أعداؤنا ولا يفرقون بين مسلم ومسيحي .. العرب يريدون ان يهدموا كياننا بتخويفنا من اليهود الذين نعتبرهم نواة المسيحية الأولى وبناة المــدنية الأولى في العالم . نحن لا نخاف اليهود والصهيونية ، بل نخاف العرب الفاغرين أشداقهم لابتلاعنا » .

والغريب في الأمر ليس وجود أفراد قلة يعتنقون مثل هذا السخف ، بل الغريب نشر هذا الكلام المشبوه في مثل هذه الفترة المرحلية من معركة مصيرنا ، في جريدة عربية في بلد عربي !!

وفي أحد اجتماعات المؤتمر القومي في القاهرة وقف أحد الأعضاء يطالب ببثّ روح الإيمان في القوات المسلحــة ، كما تفعل إسرائيل .. فثارت ثائرة الكتّاب الثوريين على هذا الإفك ، وهذه الرجعية !

ونهد كاتب ثوري ، يكتب في إحدى الصحف اللبنانية : « ان في أفكار هذا العضو ، رائحة من أفكار الاخوان المسلمين السياسية ، لأن الدولة الدينية والجيش الديني ، لا يمكن ان يوضعا موضع التطبيق ، والشعوب العربية الشديدة الإيمان ، لا يقلّل من إيمانها أن تبني دولة عصرية علمانيــة ، وجيشاً عصرياً علمانياً » . كأنما بثّ روح الإيمان والجهاد في القوات المسلحة يتنافى مع إنشاء جيش عصري على أسس العلم ، والتكنولوجي ، ولست أدري ماذا يعني الكاتب بكلمة « علماني » إلا أن يكون هدفه التخلّي نهائيــاً عن الايمان والمقومات

الروحية.. ولم يستطع الكاتب بعد مقدماته السخيفة التي ساقها إلا أن يقول : « ها هي إسرائيل دولة دينية ولها جيش ديني ، ومع ذلك فهي أسوأ دولة في العالم من ناحية بعدها عن الحق ، وقيامها على العدوان » . وتناسى الكاتب ان كون إسرائيل دولة دينية ، لم يمنعها من أن تبني جيشاً عصرياً علمانياً يهزم جيوش بضع عشرة دولة عربية ، ثلاث مرات ، في جيل واحد تميس !! لأنها لم تكن جيوشاً عقائدية علمية عصرية .. بل كانت « قطعاناً » ضائعة قد خُلِّيَ بينها وبين حوافز النخوة والعقيدة !

ويقول الدكتور نديم البيطار : « لبناء الانسان العربي الجديد ، يجب أن نمسح ماضيه الحضاري الإنساني ، مسحاً كاملاً ، ونبدأ من جديد على أساس علمي » .

ويقول الدكتور جمال حمدان : « ان الإسلام لا يصلح أن يكون أساساً لمجتمع سياسي ، وان القومية العربية موضوع مركّب ، الإسلام عنصر فيه » . وشكراً لك يا جمال ، يا حمدان ، لقد اعترفت على الأقل بأن الإسلام عنصر من مركبات القومية العربية ..

لكننا نسأل : ما هي القومية العربية ؟ لو أردنا الحق لعكسنا فلسفة الكاتب وقلنا ان الإسلام موضوع مركب ، القومية العربية عنصر فيه .. كما ان جمهوريات روسيا السوفياتية موضوع مركب ، القوميات المختلفة عناصر فيه ..

ولقد كان العرب قبل الاسلام .. أقواماً وقبائل وشعوباً وعشائر ممزّقة لا يجمعها جامع ، تنتجع مواقع الكلأ ، ومساقط الماء فلا تعترف بوطن واحد ، ولا بقومية جامعة — وفق مفهومنا الآن — ولا تحرص على أرض ، حتى جاء الاسلام ، فأبرز قوى وطاقات الأمة العربية وجلا مقوّماتها وجعل لها وجوداً.. ثم اتسعت رقعة الاسلام فذابت فيه القوميات والعنصريات ، وأشتات المذاهب والعقائد والنحل ، فأصبح الاسلام هو القومية الكبرى ، والشعوب الاسلامية ومنها العربية مركّبات وركائز ذلك الإطار الرحيب ..

والشكل الوحيد لمفهومنا عن القومية العربية ، أن تكون مميّزة بخصائصها

التي برأها الله في الوعاء الشامل .. ولبنة متينة في البناء الكبير .. وتكون الوحدة العربية خطوة على درب الوحدة الاسلامية ..

ولم نجد في أيّ نصّ ديني أو تاريخي ما يشير إلى مفهوم القومية العربية قبل الاسلام .. والدولة التي صنعت الحضارة الخالدة ، وانساحت في نصف الدنيا هي الدولة الاسلامية ، لا الدولة العربية .. وما حققه المسلمون بفضل دينهم في عقدين من الزمان هو معجزة التاريخ إلى آخر الدهر ، وحين تخلّى العرب عن دينهم ، تخلّت عنهم قدرتهم وإرادتهم وإيمانهم ، فغرقوا في الجهالة وتاهوا في الظلام ..

وحين يقوم بيننا اليوم نفر من الأقليات الدينية والعنصرية ليطعنوا الاسلام تحت شعار القومية العربية والعلمانيـــة ، ويبنوا أمجادهم الهزيلة على أنقاضه ، نبصق على عقولهم ونصرخ في وجوههم : لن يكون والله ما تريدون وفينا نفسٌ ونبضُ عرْقٍ !

ونعود إلى الحديث :

* جاء في جريدة « النهار » العدد ٣-١٢-١٩٧٠ : « ان مؤلفاً مسرحياً مصرياً اسمه « بكر الشرقاوي » ألـّف مسرحية ، بعنوان « أصل الحكاية » عرضت في مسارح القاهرة سنة ١٩٦٧- سنة الهزيمة !

يقول المؤلف : « ان الجديد الذي تضمنته هـــذه المسرحية الميتافيزيقية التاريخية الواقعية ، انها أول مسرحية عربية بطلها الله » !..

ويقول : انه استمد مسرحيته من وثيقة فرعونية مهملة في المتحف المصري ، تقول بأن الانسان خلق قبل الله !!

وجاء في نفس الصفحة من « النهار » : ان الأحزاب الدينية في إسرائيل قد هاجمت بشدة في مجلس النواب ، مسرحية لاأخلاقية داعرة ، خطرة على التربية القومية !!

* وعلى أثر نمو منظمة « فتح » بعد معركة الذلّ ، هرع الكتـّاب الثوريون من كل حدب وصوب ، يزعمون انهم يؤرخون للظاهرة المباركة وأبعادها وأهميتها

النضالية ، واستقطابها جماهير الأمة العربية .. لكن همهم في الحقيقة كان متجهاً إلى نبش الماضي للتأكد من علاقة « ياسر عرفات » بحركة الاخوان المسلمين ، وانتماء المنظمة إلى فكرة الجهاد الدينية .. ومن هذا المدخل ، بدأ الغمز واللمز والتشكيك ، وكأنما الجهاد حكر للثوريين وكأن أعمال « فتح » البطولية حينذاك ، حتى لو حرّرت الوطن السليب ، هي مظنة ارتياب ، لانتمائها إلى الدين ، وإلى العقيدة ، وإلى الإيمان !! إذ ليس في « الثورية » مكان للاسلام .. وتفريغ الجندي من حوافزه الروحية .. من أمضى أسلحته ، هو الذي يحقق النصر !!.. أجل هو الذي حقّق النصر ، لكن لإسرائيل !!

* روى لي صديق باكستاني في لندن انه كان يتصدّى للدعايات الصهيونية المضلّلة في حديقة « هايد بارك » ، وانه استمع مرة إلى داعية صهيوني يعتلي منصّة ، ويزعم للألوف الذين تجمهروا حوله ، ان القدس هي عاصمة إسرائيل الأزلية ! وان مكان العرب الطبيعي هو الصحراء .. وفي مكة عاصمة نبيّهم محمد ، وان الحضارة الاسلامية التي يفاخرون بها تلفظ أنفاسها الأخيرة !.. فهزّته الحمية الدينية ، فاعتلى منصّة مجاورة ، ومضى يزأر بتفنيد كذب الداعية اليهودي ، ويؤكد للمستمعين الذين تحلّقوا حوله ، ان القضية الفلسطينية هي قضية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وان القدس هي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين لستمائة مليون مسلم ، لن يتخلوا عنها وفيهم حياة ، لأن المدينة المقدسة هي جزء من ديننا ، ومن تاريخنا ومن حضارتنا !.. ويمضي يهدر كالسيل بحرارة وإيمان ، فيجيئه شابان عربيان ، أمسك عن ذكر اسميهما ، يزجرانه ، ويعطّلان تدفّق وجدانه ، ويهمسان في أذنه : على رسلك يا هذا.. أنت مشكور على حماسك الديني ، لكن قضيتنا ليست قضية دينية ، بل هي قضية قومية، لا شأن للدين بها ، وتخصيص القدس بالحديث ، انحراف عن جوهر القضية ، لأن القدس إنما هي جزء من أرضنا المحتلة لا تختلف عن حيفا ، ويافا ، وتل أبيب !!

قال لي الصديق الباكستاني ، وشفتاه ترتجفان : لم أشعر والله بمثل الهوان

الذي شعرت به يومي ذاك .. وصرخت في وجه الشقيّين : يا ويحكما ، بـل يا عاركما ، ! ان كون أرضكم المحتلة عربية ، لا ينفي عنها صبغتها الاسلامية .. وهي قضيتي كمسلم ، شئتم أم أبيتم .. وأنا لو أردت أن أمتدح الحركات التحررية في العالم لما وجدت عندكم ما يجذبني إليكم ، وكفاكم عاراً ان الدويلة المسخ قد هزمتكم وأنتم أربع عشرة دولة ، ومائة مليون من الخليج إلى المحيط .. ثم تتأبون علينا ان « نفزع » لكم ونهب للجهاد معكم في سبيل ديننا المشترك وعقيدتنا الواحدة.. ولولا هذا الرباط المقدس، لخجلنا أن نتحدث عن خيبتكم، ولفضلنا ان نتحدّث عن بطولات « الفيات كونج » !

ولم يمضِ قليل وقت ، حتى ثبت ان الشابين عميلان للجمعيات الصهيونية في لندن تستأجرهما للتشويش على كل جهد صادق في نصرة القضية المقدسة ..

واستطرد الأخ الباكستاني يقول : « كنت قبل ان أتجه إلى « هايد بارك »، ذلك الصباح ، قد سعدت أيما سعادة بالاطلاع على مقررات المؤتمر الاسلامي العتيد الذي عقد في الرباط من ٢٢، ٢٥-٩-١٩٦٩ التي تنصّ على ان الجهاد لاستنقاذ الأماكن المقدسة في فلسطين من براثن الاحتلال الصهيوني هو أمانة في عنق ستمائة مليون مسلم .. وتأكدت مما قاله الشابان، ان غرض المؤامرة هو سلخ القضية الفلسطينية عن نطاقها الديني ، وتقليصها في حدودها المشبوهة لتسهل تصفيتها بطمس معالمها المقدسة لدى المسلمين !

* وهذا شاب باكستاني آخر ، هو السيد «طارق ممتاز » يكتب إليّ يقول: « أخي في الاسلام . السلام عليكم . بالأمس دعا إمام المركز الثقافي الاسلامي بلندن ، إلى مساعدة المناضلين لتحرير القدس الشريف وفلسطين ..

ان مفهومنا لهذه الدعوة الخيّرة ، انه حين يتبرّع المسلمون للدفاع عن المقدسات التي هي جزء من دينهم ، فان واجب المناضلين العرب ان يعلنوا الجهاد في سبيل الله وتحت راية الاسلام.. لكن المؤسف حقاً اننا حين أخذنا في الآونة الأخيرة بدافع نخوتنا الدينية تتابع نضال اخواننا الفدائيين ، وجدنا زعماءهم يعلنون في كل مناسبة انهم يقاتلون تحت راية « لينين » وماوتسي تونغ ،

وجيفارا ، لا تحت راية محمد وعلي وخالد وصلاح الدين.. ويعلنون انهم يشنون حرباً عربية لإنقاذ القدس العربية وفلسطين العربية .. بينما نؤمن نحن المسلمين ، انها معركة الاسلام قبل ان تكون معركة القومية العربية ! وعندما يقاتل المسلم ونصب عينيه الاستشهاد في سبيل الله ، فان صلابته وصموده ينبعان من إيمانه لا من أجل راتب يتقاضاه ، أو شهرة يقتنصها ، أو مجد يبتغيه .. أو من أجل قطعة أرض يستردّها ..

لقد أثبت التاريخ الاسلامي انه حين قاتل المسلمون متحدين، في الله ، ومحمد اهتدوا وغلبوا .. وكان هذا الشعار دائماً عنوان الوحدة .. وعنوان النصر .

أرجو ان تنقلوا عنا إلى اخواننا في الجبهة ، وإلى الحكومات العربيـــة في خطوط الدفاع انهم حين تكون حربهم جهاداً في سبيل الله وتحت راية محمد ، فعندئذ .. عندئذ فقط ، يهب جميع المسلمين لدعمهم بالأمـــوال والأرواح ... نسأل الله الهداية » ..

* وقال لي شاب باكستاني آخر كان يصدر صحيفة أسبوعيـــة في لندن بعنوان : « Arab Chronicle » ثم حين تخلّى العرب عن مساعدته اضطر إلى تغيير اسمها إلى : « Arab And Muslim Cbronicle » رجـــاة انتشارها في المجتمعات الاسلامية الكثيرة في بريطانيا : وتوّجها بهلال أخضر ، فجاءه ذات صباح وفد من اتحاد الطلاب العرب ، يلومونه على وضع تلك الشارة ، لأن ذلك يرمز إلى الاسلام .. والاسلام تأخّر ورجعية .. وربط الحركة العربية بالحضارة الاسلامية ، يدمّر انتماءاتنا العقائدية الجديدة !.. بل لأن خروجنا على أصولنا الحضارية ومبادئنا الدينية يمهد الطريق للغزو الفكري الاستعماري الرأسمالي ، الماركسي ، ويفقدنا أمضى أسلحتنا أمام الغزو العسكري الديني الاسرائيلي !!

وكان اتحاد الطلبة العرب في تظاهراتهم ، بلندن ، في المناسبات الوطنية ، يمنعون الطلاب المسلمين عن مشاركتهم ويفضـــلون عليهم فتيات مراهقات ، منحرفات قد كشفن صدورهن ونحورهن وسيقانهن ! لأنهم تعلموا ان تكون حركاتهم ، ثورية علمانية تتنكـّر للاسلام والمسلمين !!

* استشرت في لبنان مؤخراً، دعوة مشبوهة تدعو إلى تدريس اللغة العامية وآدابها ، واستبدالها باللغة العربية الفصحى ، وقد حاول الاستعمار البريطاني ذلك في مصر، مطلع هذا القرن كما حاوله الاستعمار الفرنسي قبل ذلك في الشمال الافريقي ، وخاب سعيهما ، فذهب الاستعمار ، وبقي القرآن وسيبقى إلى آخر الزمان !

وحجتهم الظاهرة في ذلك ان اللغة العربية الفصحى ، قد استنفذت أغراضها .. فهي اليوم لغة ميتة كاللغة اللاتينية ، ولم تعد تصلح للدور الحضاري الحالي .. وان اللغة الفصحى ، لغة القرآن ، لم تكن هي اللغة الأصل قبل الجاهلية ، بل هي قد نشأت قبل الاسلام بقليل ، وأصبحت وحدها لغة التعارف الحضاري في العالم الاسلامي ..

اما حجتهم الباطنية ، فهي طمس معالم التراث الاسلامي ، وتدمير لغة القرآن ، وتمزيق شمل الشعوب العربية ، إذ ان اللغة العربية الفصحى قد بقيت متماسكة حية ببقاء القرآن .. والقضاء عليها هو قضاء على القرآن .. وعلى كل أمل في الوحدة العربية واللقاء الاسلامي !.. بغية ان يؤدي ذلك إلى عزلة لبنانية في وجه مدّ عربي جديد في إطار القومية العربية أو الحضارة الاسلامية، وبذا « يتحيّد » الكيان اللبناني المسيحي موازياً للكيان الاسرائيلي اليهودي في قلب المنطقة العربية الاسلامية ، وتكون قوة إسرائيل ظهيراً لبقاء الكيان اللبناني ..

غير ان الدعاة لهذه الفكرة — التي هي في الأصل صورة من صور المؤامرة لإنشاء كيانات فسيفسائية هزيلة حول إسرائيل ، على أسس عنصرية دينية — هم قلة ضئيلة لا يُعتدّ بها لحسن الحظ في المجتمع اللبناني الأصيل .. حتى ان معظم الأساتذة في المدارس التابعة للآباء اليسوعيين يشدّدون — في توصياتهم التي رفعوها مؤخراً إلى وزير التربية اللبناني — « على ضرورة الاهتمام بتعريب البرامج لإغناء اللغة العربية ، وإعادة النظر في البرامج التعليمية في جميع المراحل ، وربطها بالواقع الراهن باعتبار لبنان بلداً عربياً .. وذا رسالة خاصة » !

* بتاريخ ٢٤-١-١٩٦٥ دخلت « الدبابات » لأول مرة في تاريخ دمشق ، مسجد بني أميـــة ، تفتك بالمصلين ، فاستشهد منهم مائتان ، وأغلق الجامع أياماً ، لإزالة ما علق بأستاره ومحرابه من دماء المسلمين ..

وفي ذلك اليوم ، قال مذيع دمشق : « اننا لن نسمح لمن كانوا يعيشون في هذه البلاد ، قبل ألف وأربعمائة سنة ، أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة وأن يضعوا لنا أسس حياة نعيشها في هذا العصر » !..

ودعا « ميشال عفلق » في كتابه « في سبيـــل البعث » إلى التحرّر من كل العقائد الدينية القديمة ، غير انه نصح أن يتم هذا التحرّر بالطرق الخفية ، خشية استفزاز الجماهير المتدينة ، فقال في الصفحتين ١٣٤ ، ١٣٥ من كتابه المذكور : « ان جمهور شعبنا ما زال متأخراً ، وما زال خاضعاً لمؤثرات رجـال الدين ، ولو اننا ذهبنـــا إلى الشعب نطعن بالدين ونتبجّح بالكفر ، ونتحدّى شعور الشعب فيما يعتبره هو مقدساً وثميناً .. نكون بدون فائدة ، وبدون أي مقابل قد أغلقنا أبواب الشعب في وجه الدعوة ». ألا لعنة الله على كل دعوة تعتبر الدين غير مقدس ، وغير ثمين !!

ولذا وجدنا في العواصم العربية التي كانت مشاعل الحضارة الإسلاميـــة ومنارات الحق والإيمان ، من ينكر وجود الله ، بصفاقة متناهية لا تدبير معها، ويعلن في الصحف الرسمية ، قبل معركة الذل بأيام : ان الله فكرة محجّرة يجب أن تحفظ في المتاحف ..

ثم يتساءلون : لماذا هُزمنا !.. ولماذا َغلبت إسرائيل !؟..

وقد أثلج صدري والله ، وملأني ثقة بالمستقبل ، ان أشهد على شاشة التلفزة يوم الجمعة ٨-١-١٩٧١ ، « حافظ أسد » يؤدي الصـــلاة الجامعة في مسجد حلب « سيف الدولة » والإمـام يخاطبه : « لقد أعدنا عسرنا يسراً وأعدت خوفنا أمناً ، وأعدت الإيمان إلى النفوس الضالـّة ، وردمت الهوة بين الحاكمين والمحكومين ..

وكأني بالإمام يريد ان يقول : ان الحكم في سوريا كان قبل الحركة الأخيرة

عسراً وخوفاً ، وضلالاً و كفراً !

وأقسم ان لدمشق في قلبي نوطةً وفي نفسي علوقاً وعسى أن تعيدها الانتفاضة إلى سابق مسيرتها التاريخية ، طليعة طلائع الخير ..

* في أعقاب أحداث أيلول في الأردن ، أسرت القوات السورية الغازية ! النقيب « جميل زمِقنَا : مدير مخابرات اربد ، وعندما اقتيد ليحققوا معه في درعا بتاريخ ٢٢–٩–١٩٧٠ ، بادره النقيب « حسن الحوري » مدير مخابرات درعا بشتم « آل البيت » ! قيل له: ألا تستثني الرسول الكريم.. فأجاب بهدوء « محمد في رأس القائمة » !

* في مجزرة « كركوك » بالعراق في عهد المجنون « قاسم » ، هاجم الشيوعيون منزل رجل مسنّ مؤمن اسمه الحاج قادر ، فتشفّع عندهم بالقرآن الكريم يحمله في يديه، فمزقوا القرآن وداسوه بأقدامهم وأطلقوا على الشيخ النار فخرّ مضرّجاً بدمه وعلى لسانه قولة لا إله إلا الله !

وتشفع آخر عندهم بمحمد ، فقتلوه وهم يقولون : ان محمد اليوم في إجازة .

وقال أحد قادة المنظمات في عمان يخطب في جمهرة من سكان مخيم الوحدات: « لو امتدت يد الله إلينا لقطعناها » ! أعوذ بالله مما يأفكون !!

* دخلت يوماً – في أعقاب الكارثة – مكتب أحد أفراد بطانة السوء – لهفي على قادتنا من عصبة الفساد وبطانة السوء – ! فلقيت المطران نعمة السمعان ، يناقش الشاب ، في الدين .. هذا ينكر وجود الله ، بحجة ان التقدم الحضاري ألغى فكرة الألوهية التي استنفذت أغراضها،وذاك يلومه على إلحاده، خاصة وهو يتحدث في ديوان ابن بنت الرسول .. وعار ان يلحد ويكفر ، بكل ما في الغرور من صفاقة ووقاحة ، وفي الغرفة المجاورة سليل الدوحة المطهرة الذي تتميّز زعامته العربية الاسلامية ، بانتمائه إلى عشيرة النبوّة!

فعجبت للمفارقة الكئيبة الخابية ، وحزنت لتعاسة هذا الجيل المنحلّ !! ثم بطل عجبي حين استذكرت ان هذا المريض،قد تخرّج في الجامعات الأميركية حيث يتولّى رهط معروف من الأساتذة الصهاينة تدمير عقول الطلبة ، خاصة

العرب منهم ، تحت ستار حرية الفكر ، بمعاول الفساد والإلحاد ، فيعود إلينا أبناؤنا مهيّئين لإنكار هويتهم الروحية وانتماءاتهم الدينية ، مكرّسين للعمالة ، حتى إذا وصل أحـــدهم ، بالأساليب التي يتقنونها من زلفى ونفاق وصَغَار ، يتاجرون بكراماتهم ، ويساومون على أعراضهم .. سعوا في الأرض إفساداً وإلحاداً، « إنْ في صدورهم كِبْرٌ ما هم ببالغيه! وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه » .

وقد كَبُرَ عندي أن يقول الغرّ ما قال سَفَهاً بغير علم .. وهالني أن يدور الزمن دورة ، فإذا به والسفهاء من أمثاله ، يتصدّرون ويفتون في مصائر العباد والبلاد ، ويعيثون في الأرض كالوباء ، ويطفون على السطح كالجيفـــة النتنة .. فهمست لنفسي بقوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودّوا ما عنتّم ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر » ..

وشاءت إرادة الله أن أقضي سنة السبعين في « لندن » فعرفت من الشجون ما تقذى به العيـــون .. ومن العيوب ما تأسى له القلوب .. واطلعت على النشاطات والاتصالات المريبة التي يقوم بها ذلك الآبق ، ورفاق له من طرازه ، من إلحادٍ يسوق إلى عمالة .. وفسادٍ ينتهي إلى مكائد تدبّر بليلٍ .. إلى صفقات أسلحة ، تعقد في المواخير و « علب » الدعارة ..

ومن كان بلا دين ، ضاق بالشرف ، وثقلت عليـــه المروءة وهانت عنده نفسه ، وسهل عليه أن يكون أيّ شيء ، وكل شيء !

* لجأ الثوريون – هكذا يسمون أنفسهم – في أحد الأقطار العربية ، عند وضع دستور حكمهم الأسود ، إلى تغيير « اليمين » الدستوري ، فقد كان القسم في الدساتير السابقة : « أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصاً لدستور البلاد مدافعاً عنه » أما في الدستور الجديد ، فقد حذف اسم الجلالة واستعيض عنه بكلمة « الشرف » ..

لأن ذكر اسم الله عيب وتخلّف ورجعية ..

لكن ! كيف تُرى يكون شرف بلا دين ؟؟

تلك القصص التي سقتها لك ، وأنا أزعم لك انني قد كتبتها بدموعي ، إنما تمثل نقطة من بحر ، ورملة في شاطىء ، مما نكيد به لأنفسنا ، حين تخلّينا عن حوافز ديننا وبواعث حضارتنا ، وشرف تراثنا ، وأخلاقية مبادئنا وتقاليدنا .

فماذا ترى ، يصنع أعداؤنا ، قياساً على أنفسنا ..

* في ١٥–١٠–١٩٦٨ رفض وزير داخلية العدو قبول طلب مواطن يهودي إسرائيلي بتسجيل طفله الوليد ، بهوية قومية لادينية ، فرفض الوزير بحجة انه لا يمكن فصل القومية اليهودية عن الدين اليهودي !!

أما نحن فقد غدت مهمتنا أن نتحمّل كل سبب ، ونفتعل كل مبرر لفصل القومية العربية عن الدين الاسلامي !!

* تقول ابنة « موشى دايان » في كتابها بعد الكارثة بعنوان : « جندي من إسرائيل » : « الطقوس الدينية المتّبعة في الجيش الإسرائيلي أيام السبت هي ان تقدم للجنود في يومهم المقدس ، أطعمة معلّبة ، وقد خولفت هذه القاعدة يوم السبت ٣–٦–١٩٦٧ ، قبل الحرب بيومين ، فقدم للجنود طعام مطهوّ .. وحين رفض الجند أكله حرصاً على أوامر دينهم ، أصدر الحاخام الأكبر فتوى دينية بجواز أكل الطعام المطبوخ يوم السبت حين يكون الجيش في حالة استنفار !

الجندي الإسرائيلي لا يخالف أمراً واحداً من أوامر دينه مهما تكن الظروف إلا بفتوى شرعية .. والجندي العربي ضاع في حُمّى الشعارات فتخلّى عن أوامر ربه ، ولم يبقَ له دين !

ومع ذلك يقول المتصدرون للفتاوى الثورية عندنا : ان الجندي العربي قد هزم لأنه لم يكن اشتراكياً بالقدر الكافي ، أي بقيت في نفسه بعض الرواسب الدينية !! وقالوا – قطع الله ألسنتهم – ان الضباط المصريين قد هزموا لأنهم لا يمثلون طبقة « البروليتاريا » بل هم يمثلون البورجوازية الصغيرة ! إلى آخر هذا الهذيان المقرف !

* استمعت إلى مقابلة إذاعية مع جندي إسرائيلي في جبهة السويس صيف عام ١٩٦٩ . يقول له المذيع : أنت شاب يهودي في العشرين من عمرك ، وقد قدمت إلى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة ،من «كاليفورنيا» حيث كنت تقيم مع أهلك في نعيم مقيم ، فما الذي دفعك من حياتك الوادعة وظلك الظليل ، لتجيء إلينا فتتطوّع في جيش الدفاع الإسرائيلي في هذا الحريق الذي يكتم الأنفاس ويجثم على الصدور ، لا تدري متى يأتيك أجلك . فيجيب الشاب اليهودي الأميركي القادم الذي انتزع نفسه من لذائذ كاليفورنيا المتاحة ليضعها في البلاء المحدق على ضفة القناة : لقد حفزني ديني ، ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدسة ، لأحقق رسالة أنبياء إسرائيل ، والسعادة التي أحسّها في الدفاع عن معتقداتي الدينية ، لا تعدلها سعادة في الدنيا بما رحبت » !

هكذا يفهمون، ويلبون حافز الدين ، اما نحن فنتسابق إلى الكفر ونتفاخر بإنكار الله ..

لقد سفهنا أنفسنا فأذلـّنا الشيطان فجعلنا نكالاً لما بين يدينا وما خلفنا .

« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ..

ونحن نجادل المؤمنين ، ولا نجادل الذين يختانون أنفسهم .. ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير .. وإذا تولـّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل .. وإذا قيل له : اتـّقِ الله ، أخذته العزّة بالإثم فحسبه جهنم وبئس المهاد .. بل حسبه عار الكفر وذل الهزيمة .. ولا يبدل الله ما بقوم حتى يبدّلوا ما في نفوسهم ! صدق الله العظيم !

* استمعت إلى « غولدا مائير » تقول : « لا ننكر اننا نعتز بصداقة أميركا لنا ووقوفها معنا ، لكن أميركا ، وكل دولة أخرى إنما توجهها مصالحها . اما أساس قوتنا الوحيد فهو ارتباط كل يهودي في الدنيا بنا ارتباط العقيدة » ..

* سمعت في راديو إسرائيل بتاريخ ١٦-٢-١٩٧١ ، مقتطفات من محاضرة « لبن غوريون » يقول فيها : « ان اليهودي يختلف عن الآخرين في انه قد يكون ملحداً ، لكنه يظل مع ذلك يهودياً » !..

المسلم الملحد لا يبقى مسلماً ، والمسيحي الملحد لا يبقى مسيحيا اما اليهودي الملحد ، فهو يهودي مهما جادل وكابر .. ذلك لأن اليهودية هي دين وقومية ممزوجان معاً ، ووجهان لظاهرة واحدة لا يمكن فصلها وتجزيئهما ... ودلالة ذلك أوضح ما تكون في المجتمع الأميركي ، الذي ذابت فيه كل القوميات المهاجرة باستثناء القومية اليهودية » ..

- ٧ -

تجّار العقائد يحاربون في كل جبهة إلا في إسرائيل

مهما أسهبتُ وأطنبت في الدلالة على انهيار الشخصية العربية وتمزق المجتمع العربي ، وتخاذل الدول العربية ، وتشرذم المنظمات الفدائيـــة .. لا أراني مستطيعاً أن أفيَ الموضوع حقه من التصوّر والإيضاح ، لأن في يدي الكثير الكثير .. أحتار ما آخذ وما أدع .. ولذا أقتطف القليل الذي يقدم البرهان ، ويلقي مزيداً من النور ، على الواقع البغيض !

وأنا لست متشائماً ، ولا ينبغي أن أكون .. ذلك انني امرؤ مسلم لا يقنط من رحمة ربه.. وذلك انني لا أقول ما أقول تشفياً أو تفصّحاً.. بل هو صرخة التفجّع ، وصيحة النذير ، أطلقها ، أدلّ على الداء بيد ، وفي اليــد الأخرى الدواء .. مع إيماني بأن فضل المجاهد ، لا يقاس بما يبدو على صفحته من تجهّم الملامح ولا بما يتشدق به من كلام .. بل يقاس بصدقه المنبثق من إيمانه ، ولذا أفضل الهمس على الصميق ، وأجادل بالمنطق والمحبة .. في زمن قذر اعتاص

فيه المنطق على الناس ، وأصبحت حجة أحلاس المنابر داحضة ، لأنهم ألـدّ الخصام ..

المجتمع العربي ، هو مجتمع الكراهية ، مجتمع الفوضوية والعدمية ، وأنتم كما تكونون يولّى عليكم !

مجتمع كراهية وأحقاد يقابله ويعادله حكم يقوم على القمع بدل الاقناع ، على الجهل بدل العلم .. على الفساد بدل الصلاح ، على الكفر بدل الإيمان !

وإذا كان لا بد لكل نظام يستحق البقاء من حد أدنى من الشرف ، وحدّ أدنى من الخلق ، وحدّ أدنى من الصدق ، فأنت يا أخي تطلب المستحيل !

ليس في تاريخ الإنسانية كلها أمة كأمتنا ، تنصر الكذب ، وتدعم الفساد ، وتؤيد الإلحاد !

ليس في التاريخ أمة تصطرع فيها كل ايديولوجيات الدنيا منذ أفلاطون وسقراط إلى اليوم ، ما عدا ايديولوجية تراثها وحضارتها !

أمة قد فقدت هويتها وضيّعت شخصيتها .

يشتم بعضها بعضاً ، ويكره بعضها بعضاً ، ويجور بعضها على بعض !

أمة تقتتل جيوشها ، ويحترب أبناؤها على بُعد عشرين ميلاً من عدو مصيرها الذي أذل الجيوش والأهل جميعاً ، وداس أقداسهم ، وهتك أعراضهم ، وهدم منازلهم على الصحب والأحباب !

حكومات وأنظمة ومنظمات تستأسد على الصديق والقريب ، وتستخذي للعدو والغريب .. يضيع حقها فتحتكم إلى عـدوها ، وتستجدي عطف من أهانوها ومرّغوا كرامتها في التراب .. والكل إلا من رحم الله وبقيت فيه بقية من دين ، يتلهّون بآلامنا ويتاجرون بمآسينا ويتآمرون على مصيرنا !

دستور مجتمع الكراهية ، التنكـّر للقيم الخلقية ، ومجانبة أوامر الدين !

الأصل ، مخالفة القانون في العمل والتصرّف .. والقاعدة معارضة النظام العام ، والتخلـّي عن مفاهيم العدالة والأمانة ..

اتقنا شيئاً واحداً .. هو « ميكيافيلية » السلوك !

إذا درّت نياقك فاحتلبها .. ولا بأس في أن ترتدي كل يوم ثوباً وتجري كما تهبّ الريح ..

وما أكثر ما تُمدح النزاهة ، ولكنها مع ذلك ترتعد من البرد !

قد عُنّفَ القاتلُ بالحق ، وأبعِدَ القائمُ بالقِسْط !

من أبطأ به عمله ، أشرع به نفاقه !

من قعد به صدقه ، ركض به كذبه !

حتى تحوّل المجتمع إلى « درنات » وشظايا وخلايا وفرديات مشقّقة ، ممزقة ، مقطّعة الأرحام والأوصال ..

*

اسمعوا يا ناس .. اتقوا الله يا عالم : الداء بيّن والدواء بيّن والجبن خديعة طبع لئيم !

لقد تكوّنت للأمة العربية عبر القرون ، أخلاقيات وصفات ، نابعة من أصولها الحضارية ، وركائزها الروحية .

وقد آن لنا أن نعي ان روح المقاومة ، وسلاح الثأر ، وعُدّة الانتقام هو الإسلام .. وان كل ما عداه من العقائد والمبادىء والشعارات ، التي دوّخونا بها ، وفرضوها علينا لم تثمر إلا الخزي ولم تنجب إلا عملاء وانهزاميين !

لقد كان هدف المؤامرة الصهيونية الأمبريالية منذ مطلع هذا القرن بتر الصلة بين المواطن وحضارته ، وسلخه عن ماضيه وتراثه ودينه ليصبح كريشة ضالة ضائعة بين الأعاصير ، ورافق هذا الضياع الغزو الفكري ، وهجوم الشعارات ، تفتّت تلاحم المجتمع ، وتذوّب صرح التكافل ، وتمزّق وحدة الصف ..

استبدلنا بالمبادىء المساوىء وبالإيمان الشك ، وبالوحدة التشرذم وبالشعور بالمسؤولية التخلّي والتواكل والاستهتار .. وبالإخلاص للأرض والعقيدة ، إخلاصاً لأنظمة فاجرة وقادة مرورين ! وتحوّل الصراع مع العدو إلى صراعات

بيننا ، فحول كل عقيدة صبّوها في عقولنا يدور صراعٌ مخيف ، تسقط له الضحايا ، ويضيع معه الجهد وتنزف فيه الدماء !

نحارب حول كل شيء ، ومن أجل كل شيء ، عدا الجهاد في سبيل الله لتحرير المقدسات !

نلوك شعارات.. ونمضغ أوهاماً.. ونجترّ باطلاً، ثم نخلد إلى اليأس القاتل.. نستميض عن القدرة على مقارعة عدونا ، بالقدرة على مقارعة بعضنا !

هممنا مقهورة ، وعزائمنا مبتورة.. وسيوفنا مفلولة ، وأيدينا مغلولة! ذلك اننا فقدنا دوافع الدين ، وأضعنا حوافز الإيمان !

الحاكمون ، أنما وجدوا في الدنيا من أجل حرية الإنسان وكرامة المواطن وحقوقه .. لكنهم وجدوا فينا ، إلا القليل القليل ، للقمع والظلم والإذلال ، ان لم أقل النهب والسلب والفساد !

والمحكومون دمّرتهم الكراهية ، ومزّقتهم الشعارات ، فأصيبوا بالفزع والشلل ، والهروب !

وفقد الجميع القدرة على النفاذ من خلال الكارثة لإنقاذ المجتمع من التعفّن والاهتراء !

حتى الألفاظ فقدت معانيها.. والقيم خَبَا ألقها ، وهزلت دلالتها لكثرة ما نلوكها وندعيها ، دون أن نعيها أو نعنيها ، حتى سامها كل مفلس ! نتغنى بالخلق ولا خلق ، نتفاخر بالشرف ولا شرف ، نتظاهر بالإخلاص ولا إخلاص!

جهدنا ضائع وسعينا خائب ، بين ضلال قادة، وفساد ساسة وتردّي الراعي والقطيع !

نقول : نهاية الصهيونية قدرٌ محتّم ، والمغامرة الصهيونية جنون مصيره الفشل ، ونحن لا أنتم ، نؤمن حقاً بما تقولون ، لأننا نؤمن بقوله تعالى : « وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا .. وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله » .. نحن نؤمن بقول ربنا ، وهدي نبيّنا ، ويمضي بنا الإيمان إلى الجهاد ، إلى الثأر ، حتى

الظفر أو الاستشهاد !

أما أنتم ويحكم ، ماذا تقولون ؟ وماذا تفعلون !.. كلكم متفائلون مطمئنون مرتاحون .. لما حققتموه ، دون أن تحققوا شيئاً ، يجتمع « السيرك » وينفضّ ، والكل باطل الأباطيل .. تهزؤون بأنفسكم وتضحكون على شعوبكم .. يعانق بعضكم بعضاً وفي يد كل منكم خنجر مسموم !

كلكم تمضغون شعار « الأمة بخير ! » وهي لم تعرف الخير منذ عرفتكم .

الأمة بخير .. لكن ليس حين نثأر لشرفها المهين ، بل طالما بقيت سياطكم تلهب الظهور .. وطالما اكتظّت جيوبكم بالسحت ، وتضخمت أرصدتكم في « البنوك » !!

الغزاة المتآمرون يدركون ان حربهم موجّهة في عنفها وشراستها ، ضد الحضارة الإسلامية ، لتفريغ المواطن العربي من تراثه وإيمانه ، فيقاتل خوفاً من سياط السادة ، لا إيماناً بالأرض ، ولا حباً في الاستشهاد .. إذ ان الإسلام هو الخطر الأكبر الذي يمحق الغزاة والمتآمرين ..

عرفوا ذلك وجهلناه ، بل تجاهلناه ، وسقنا ناساً إلى تجاهله وإنكاره !

عرفوه منذ معارك ١٩٤٨ حينما وقفوا وجهاً لوجه أمام المؤمنين فعرفوا من يقاتل عن دينه ، ومن يقاتل عن دنيـــاه .. وكانت تلك المعركة علامة ترمز لمعارك المستقبل ..

اهتدت إسرائيل إلى ضرورة تحطيم الروح المعنوية ، وتدمير المبـــادىء الروحية ، وتقويض حافز الإيمان في نفس الجندي العربي !

اهتدوا هم ، وضللنا نحن ، فأعفينا إسرائيل من الجهـد وقمنا نحن بالمهمة خير قيام !

علا صخب الايديولوجيات فانصرفنا عن الجبهة القومية الدينية التي يذوب عندها كل خلاف ، إلى التستّر بالشعارات لنُعفي أنفسنا بالمعارك الجانبيـــة داخل الأرض العربية ، عن معركتنا المصيرية مع العدو .. وانحصر جهدنا في تحويل الحقد على الصهيونية إلى حقد على الإسلام ! وما هم بضارّين به من أحدٍ

سوى أنفسهم !!

يا قوم .. اسمعوا ! كم نناديكم ولا تسمعون !؟

ان رفض شعار قومية الجبهة ودينية المعركة ، والتنكّر لحافز الإيمان ، معناه رفض الحرب ضد إسرائيل !

لكن من قال : انكم جادّون !؟

هل يكون جاداً من يحرم جيش بلاده من الكفاءات ليستعيض عنها بالعقائديين الذين – كما يقول الكاتب الإسلامي محمد جلال كشك – يجيدون ضرب شعوبهم بقدر ما يجيدون الفرار أمام الأعداء ؟؟

بعض دولنا ترشو جيوشها من دم الشعب وعلى حساب المعركة لا لتحمي الحدود ، بل لتحمي النظام والحكّام !

وبعضها ترشو جيوشها حتى تأمن مغبّة مغريات الوثوب والاستيلاء على السلطة باسم الثورية والتقدمية ، وما يتبع ذلك من احتلال الإذاعات وإصدار البلاغات !!

من قال انكم جادّون ، وقد مزقتكم الشعارات ، وفرقتكم المهاترات ونخرت شملكم الاتهامات !

من يقرأ عنكم ويستمع إليكم ، يراكم جميعاً ، في معترك الرّدح والسّباب ، خونة عملاء ، كذّابين منافقين ، جبناء !

يتآمرون علينا ، فنقدم لهم السلاح ، ونهيء لهم المناخ ، ونكشف لهم عن مقاتلنا ، لتتكسّر النصال على النصال !

ولماذا يتآمرون ، وقد كفيناهم مؤونة الطلب ، وأعفيناهم من جهد النصب ، وصنعنا بأنفسنا أكثر مما فكّروا وقدّروا وأرادوا !

حتى الوطنية أصبحت سمسرة وتجارة ، بوزن وحساب !

فأنت وطني على قدر ما يعلو هتافك في ركب « الأفاقين » ! وأنت خائن على قدر اعتصامك بدينك وإيمانك بنبيّك !

يا قوم ! ألا تسمعون ! ألا تستحون ؟

ان الوحدة القومية في إطار الدين ، هي الخلاص ، وكل ما عداها سراب وقبض هواء !

حينما قال المغفور له الرئيس جمال عبد الناصر ، بعد الكارثة : « حينما نتكلم عن الوطنية العربية ، أو القومية العربية ، يجب أن ننسى في هذه المرحلة مفاهيم أخرى كثيرة .. الوطني اليميني ، كالوطني اليساري ، لأن إسرائيل حينما احتلت الضفة الغربية للأردن لم تفرّق بين الوطني اليميني والوطني اليساري » .. لم يعجب هذا المنطق اخواننا اليساريين الذين يريدون أن يحتكروا وحدهم شرف الوطنية .. اما نحن فمفهومنا الذي نقيس به الناس ، ان شرف الوطنية هو جزء لا يتجزّأ من شرف الإيمان !

ونحن نسأل اخواننا الثوريين : كيف ترى يستطيعون أن يحموا وطن اشتراكيتهم ؟ وإذا بقيت الصهيونية ، ما قيمة كل صراع اجتماعي بغير أرض ، وغير وطن ومواطنين ؟.. أي معنى لثوريتهم إذا كان الوطن الذي سيمارسون ثوريتهم فيه عرضة للاحتلال في كل آن ؟ لقد سمعنا من يقول : انهم سيبنون الاشتراكية في الصحراء .. وفي مجتمعات اللاجئين ثم يقومون بعد ان يستريحوا بزحف التحرير ! هل هذا كلام عقلاء بالله ؟

قد لا يكون كلام عقلاء.. لكنه من المؤكد كلام متآمرين هدفهم الأساسي ، ليس الثأر من إسرائيل ، بل طعن الإسلام وتدمير أصولنا الحضارية ، لنفقد مقوّمات صمودنا الحقيقية ، وحوافز معركتنا الدينية !

فلا تعجب يا أخي ، حين تجد بعض تجار العقائد في مجتمع الكراهية يحاربون في كل جبهة إلا في إسرائيل .. ويثورون ضد كل شيء إلا ضد الاحتلال .. وينادون بتحرير الأرض العربية من المسلمين ، لا تحرير الأرض العربية من الغزاة المجرمين ، وإذا كان لا بد لهم من الصخب ومن الحركة المريبة ، وكانوا عاجزين عن الصمود عند الحدود ، نقلوا المعركة إلى العواصم والشوارع في الأرض العربية لا في إسرائيل ؟

يا قوم .. يا نائمون الا تفيقون ؟

ان من الخيانة القومية ، احتدام الصراع حول خلافات عقائدية ، والاعصار الصهيوني يعصف بالوجود العربي كله فلا تبقى « ايديولوجية » ولا تبقى سفسطة ومتحذلقون !

تتغنون بالحرية وأنتم سَدَنة السجون وكهوف التعذيب !

تتغنون بالوحدة والاشتراكية ، وأنتم لا وحدويون ولا اشتراكيون !

وما من قضية قومية تاجر بها الدخلاء والعملاء وباعوا واشتروا كالقضية الفلسطينية ، فهي قميص عثمان في الصراع من أجل السلطة والتسلّط ، وهي الثغرة التي ينسلّ إلينا عبرها الغزو الفكري تحت شعار الثورية وحرب التحرير .. وهي النافذة التي يثب إلينا منها الاستعمار الجديد ، ليعيدنا إلى مناطق الاستغلال والتبعية والنفوذ .. وهي تسلية هينة لمن يسترون عمالتهم بمحاولة دمجها فيما يسمونه قضايا التحرير في العالم .. فينزلون بها من قضية مقدسة هي جزء من ديننا وعقيدتنا وسرّ بقائنا إلى سلعة في الحرب الباردة بين العملاقين .. وإلى قضية صغيرة من قضايا الشيوعية الدولية ، لا تختلف عن قضية « فيتنام وكمبوديا ، وبرلين » حتى ليجرؤ بعض المتطفلين على قدسية قضيتنا ، أن يتضدر بنزوة مغرور ، وصفاقة ممرور ، ليبرهن لك ان رفض الشعب التشيكي للاحتلال السوفياتي هو مخطط صهيوني ، وان ضرب تلك الحركة التحريرية وإجهاضها في مهدها ، يخدم القضية الفلسطينية !! وهم ، بهذه الثرثرة الساقطة ، فوق استهتارهم الوقح بآلام الشعوب ومصائبها ، يقدمون الحجة ، لمن يقولون ان إسرائيل حينما تتوسع وتمتد ، إنما تخدم قضية الحضارة الانسانية بنشر أفكار التحرر في قلب معالم العربي المتخلف الرجعي !

ان الربط بين قضيتنا المقدسة ، وبين ما يسمى بقضايا التحرر في العالم[1] يجعلنا « أزلاماً » في حرب المصالح الدولية نتقيّد بتعاليم الوطن الأم ، لصيانة مكاسب ذلك الوطن الدولية . وذكريات التاريخ الحديث ما تزال حية في

---

١ - عمر حليق ، ومحمد جلال كشك .

الأذهان ، فلقد عارض الشيوعيون الفرنسيون الحرب ضد النازية التي احتلت بلادهم لأن « هتلر » عقد معاهدة عدم اعتداء مع « ستالين » كما كانت الأحزاب الشيوعية العربية في صف الاستعمار والصهيونية سنة ١٩٤٨ .

ان قضيتنا هي قضية أرض .. والأرض ليست عندهم بذات أهمية لأنها لا تزيد على قطعة عقار .. المهم في نظر الثوريين هو حماية الأنظمة الثورية ، وقاعدة الثورة الرئيسية !

كل ما يعرض قائدة الثورة للتخلخل فهو الخطر الحقيقي .. اما ضياع « العقارات » العربية الإسلامية ، في القدس ، موطن الاسراء والمعراج ومولد السيد المسيح ، فهي لا تختلف عندهم عن ضياع أية عقارات أخرى في أي مكان من العالم .

أما مفاهيم الشرف الوطني والحق القومي والتراث الديني ، فيمضغها الحالمون من مدمني « أفيون الشعوب » !

هذه أميركا ، تلقي ، حقيرة قذرة ، بكل ثقلها في دعم باطل إسرائيل ، اعتداء على الحق ، واجتراء على كل مبادىء الشرف والأخلاق والأعراف الدولية .. فلماذا لا تجود صديقتنا روسيا ، التي نعتز حقاً بموقفها العادل منا ، بغير العون المقطر في حدود توفير القدرة على حماية « قواعد الثورة » ، ولا بأس بعد ذلك من أن تظل إسرائيل تسرح وتمرح ، وتبني وتشيد ، في أرضنا المحتلة ، ونبقى نحن في عجزنا وذلنا ، نجتر أساطير « العقلانية الثورية » !

وتكثر نصائحهم إلينا تدعونا إلى التعقل والتبصر والصبر ..

فتقرأ في بيان الشيوعيين العرب الصادر في أوائل شهر تموز سنة ١٩٦٨ :

« ان حرب التحرير الشعبية ، وحركة الفداء الفلسطيني ، هو اتجاه عاطفي مغامر تدعو إليه عناصر وطنية من البورجوازية الصغيرة ، ضاع أفق الرؤية الواضحة للمستقبل أمام عينها ، نظراً لعدم تسلحها بالنظرة العلمية للتطور الاجتماعي !!

ان جماعة حرب التحرير الشعبية ، أو حركات الفداء ، خصوصاً حركة

« فتح » مخطئة جداً في عزل القضيــة الفلسطينية عن حركة التحرر الوطني ، بحجة استقلالية الحركة الفلسطينية ورفض الوصاية عليها.. فالقضية الفلسطينية وان كانت تهمّ عرب فلسطين بالدرجة الأولى ، فهي أيضاً تهم جميع الشعوب العربية التقدمية — التقدمية فقط ! — وهي جزء من النضال العام ضد الأمبريالية والصهيونية » .

وأهداف هذا البيان الخفيّة ، هي احتواء حركات الفــداء الفلسطيني وفي مقدمتها حركة « فتح » وتحويل مجرى العمل الفدائي من قضية ثأر قومي وديني إلى قضية ثورية يسارية ، تهمّ حركة « الفهود السود » في أمــيركا ، بالمنطق الثوري ، أكثر مما تهمّ السعودية والأردن والكويت ولبنان والمغرب وتونس لأنها غير تقدمية ! لتصبح سلعة دوليـــة ، تتطوح في متاهات ايديولوجيات « ماوتسي تونغ ، وجيفـــارا ، وجياب .. » بل حق ، « كوهين بانديت » وننسى في « دهاليزها » اننا طلاب ثأر نجاهد من أجل مقدساتنا التي دنـّست وأرضنا التي ديست ، وأهلنا المشردين !!

وقد تنبّه السيد « ياسر عرفات» لهذه الأهداف ، فقال في حديث له نشرته مجلة « الصيــــاد » بتاريخ ٢٣ — ١ — ١٩٦٩ : « يطلبون منا ان نحدّد هويتنا الفكرية .. ماذا يقصدون بالهوية الفكرية ؟ أن أخرج على الناس ببيان أعلن فيه إيماني بالماركسية؟ هل هذا هو المطلوب مني في هذه المرحلة؟ الكل يسأل عن المضمون الاجتماعي لحركتنا .. هل هذا أوان تحديد مضمون اجتماعي ؟ ألسنا بعد في مرحلة تحرر وطني ؟ كيف يراد مني أن أحرم طبقات كثيرة من شعب فلسطين من المشاركة في النضال لتحريرها ؟ الكل يسأل هل نحن من اليمين أم من اليسار واخواننا القوميون العرب يتهموننا باليمينية واننا سنخون قضيــة الكفاح المسلح حتماً نظراً لتكويننا الطبقي .. لكن ما معنى اليمين واليسار في كفاحي لتحرير وطني .. انني أريد هذا الوطن ولو حرّره لي الأبالسة ! وكفلسطيني لست أملك من الوقت ما أنفقه في النقاش والمفاضلة بين اليسار واليمين ! وهل صراعنا مع إسرائيل ناشىء عن كون نظام الحكم فيها عسكرياً

وفاشياً فقط ، وهل إذا وصل أهل اليسار إلى السلطة فيها انحلت الأزمة .. ان الحديث عن المضمون الاجتماعي لحركة المقاومة في الوقت الراهن إنما يصدر عن يسار تبشيري .. وينم عن طفولة يسارية ..

نحن في مرحلة تحرر وطني ، وفي مثل هـذه يجب ان تجمّد الخلافات المذهبية التي تصبح بالفعل نوعاً من الترف الفكري ، حتى تحسم القضية بالتحرير ، وبعدها نفعل ما نشاء » !!

حتى حسنين هيكل لا يعجبه كلام ياسر عرفات، فهو يحث على ربط القضية الفلسطينية بالثورة العالمية .. إذ ان حرب حزيران تعتبر نصراً ثورياً – هكذا والله ! – وخطوة كبيرة إلى الأمام لأنها استطاعت أن تخلق لأول مرة صلة نضالية عملية وفعّالة بين الثورة العربية ، وتيار الثورة العالمية ..

وبهذا المنطق، يجب على الثوريين العرب تقييم قضية فلسطين في إطار الثورة العالمية .. يقول هيكل في عدد « الأهرام » ٢٥–٨–١٩٦٧ : « ان على العرب أن يفهموا انهم لا يستطيعون أن يطالبوا الاتحاد السوفياتي ، وهو قائد الثورة العالمية بأكثر مما يطيق ، وأوسع ما تسمح به الظروف المحيطة به أو المؤثرة عليه .. إلا إذا أرادوا ان يحوّلوا صداقاتهم إلى نوع من الاستغلال » ..

انتهى كلام هيكل .. ويبدأ كلامنا لنسأل باحترام :

وما فائدة الصداقة إذا لم تنجدنا وقت الضيق ؟..

وهل ينطبق منطق هيكل على أميركا وإسرائيل ؟!

وهل نجد ، في إسرائيل كاتباً واحداً ينصح قومه بأن لا يستغلوا صداقتهم لأميركا ليحصلوا منها على أعظم قوة ضاربة يدمّرون بها الوجود العربي !

وهل يجب عليّ اعتبار قضيتي المقدسة كالقضية الفيتنامية ، وأنتظر ما تمليه عليّ مقتضيات الثورة العالمية ، وفق مصالح قيادتها الدولية !؟

لماذا تغدق أميركا على إسرائيل السلاح بغير حساب لتكون سيدة المنطقة وربة الأجواء ، ولا تعطينا صديقتنا ما يساعدنا على استرجاع ما فقدناه في حرب الأيام الستة .. ولا أقول معركة التحرير !

اننا نعتزّ بصداقة روسيا .. سمعاً وطاعة !! ولكن لماذا ُيقتّر ُ لنا ، ويُغدق ُ على عدونا ؟

لماذا ؟.. لماذا ؟ تستطيع ان ترسم ألف لماذا ؟ دون ان تجد لديهم جواباً شافياً ..

والجواب عندنا ، صريح بسيط .. الجواب : مجتمع الكراهية ! روسيا لا تعطي « مجاناً » إكراماً لسواد عيوننا !

وفي صراع المصالح الدولية ، إذا لم تكن ذئباً داستك الأرجل !

ولو أفاقت الدول العربية من غفلتها وعادت إلى ينابيعها الروحية، ووضعت طاقاتها المادية والبشرية كلها في خدمة المعركة .. لما احتجنا إلى الاستجداء ، بل لوجدنا السلاح متاحاً من كل مصدر وفي كل مكان ! ولحصلنا منه على ما نريد ..

لكن مجتمع الكراهية ، غير جادّ ، كما قلت لك ، في معركة المصير ، فلماذا نبرر تقاعسنا وتخاذلنا ، بإلقاء اللوم على الآخرين ونحن وحدنا الملومون !!

يا أهلي واخواني .. اسمعوا وعوا ، لقد آن لكم ان تسمعوا وتعوا !

ان رفع أي شعار غير شعار التحرير .. وان التفكير بأي شيء خلا معركة الثأر ، هو خيانة ومجازفة وتفريط !

ونحن لو عقلنا لعرفنا ان واجبنا الديني القومي الأزلي .. هو أن ننهد لمعركة ثأرنا .. معركة مصيرنا ، بوحدة وطنية قومية دينية ، لا موضع فيها للخلافات عقائدية وصراعات ايديولوجية ، وشعارات متشنّجة ملتوية .. وبعد ان يكتب لنا النصر ان شاء الله نلتفت إلى « فيتنام » وقضايا التحرر وحركات اليسار !!..

- ٨ -

عبث قادة وفساد ساسة وهرطقة مفكّرين

نحن ضحايا الانسلاخ من تراثنا ! ضحايا القلق والتبدّد !

ينسحب مجتمع الكراهية على كل شيء .. ويتسلل الحقد والضياع إلى كل جانب فتتعطّل الفعاليات ، وتنشلّ النشاطات ، ويتوارى الصدق وتفسد الرؤية ويعمّ البلاء ! والسبب في ذلك كما قلت ، قيمة واحدة أضعناها ، فضاعت ثقتنا بأنفسنا ، وثقتنا بحاضرنا ومستقبلنا .. أضعنا الإيمان ، فاضطربت المسيرة وعميت البصيرة .. وحبطت أعمالنا وفقدنا سبل النجاة !

حتى الجامعات ، ودور التعليم والتثقيف ، فشلت في إداء رسالتها واعتراها ما اعترى غيرها من فراغ وضياع ..

أعطيك مثلاً واحداً : في فرنسا مثلاً ، كل فرنسا ثلاثة آلاف محامٍ وفي « بيروت » وحدها مثلاً ما يزيد على ألف محام ..

يهجم طلابنا على السهل الميسور ، فتقذف جامعاتنا السوق كل سنة بعشرات الألوف من الأدباء والمحامين والصحفيين ، وعدد ضئيل من العلماء .. فتعمّ

البطالة ، ويكثر انصاف المتعلمين الذين لا يجدون مجالاً لبضاعتهم في غير صراع الايديولوجيات ، وصخب الشوارع وثرثرات المقاهي ، ولا يجد العلماء متسعاً لهم في مناخ البلبلة والانهيار ، فتهاجر النخبة وتبقى الحثالة ..

هجرة المثقفين والمفكرين والعلماء المختصين من البـــلاد العربية في العقدين الماضيين،هي ظاهرة بالغة الخطورة، لم نسمع أحد يناقشها ويعالجها.. وإسرائيل في الجانب الآخر ، ترقى سلم الحضارة التقنية والتكنولوجية إلى أعلى درجاتها ، وتجذب المتعلمين والمفكـّرين إلى الهجرة إليها ، ويلتئم فيها كل صباح مؤتمر للعلم والعلماء يخططون للغد ويرسمون آفاق المستقبل .. فتتقدم بقـدر ما نتأخر ، وتنشط بقدر ما نركد ، وتبني بقدر ما ندمّر .

يدخل طالبنا المعهد أو الجامعة ، فيتلقـّى بدل العـلم مبادىء وشعارات وتملأ « السوق » أجيال ؛ الوطنية عندها زعيق ونعيق وهتافات ومسيرات .. أجيال لا تشعر بالمسؤولية ، وإذا شعرت بها لا تستطيع ممارستها .. أجيــال تكره ولا تحبّ ، وتضعف أمام المغريات ..

ويذهب طالبنا إلى الجامعات الأميركية والأوروبية .. الشرقية والغربيـة وهو خاوي الوفاض ، بادي الأنقاض ، فتتلقـّفه التيارات المذهبية ، الغريبة على مفاهيمنا، ويُصنع عقله على الوجه الذي تريده المؤامرة ، فيعود إلينا بلا دين .. بلا إيمان، مغسول الدماغ ملوّث العاطفة خير ما يستطيعه، قصة مملوءة بالسخف والعنف يرويها أبله !

ويكفي أن تعلم – يا أخي – ان الأكثرية الساحقة من الأساتذة الجامعيين في الولايات المتحدة ، الذين أنشأوا الدراسات الشرقيـــة وتولوا تدريسها هم يهود صهيونيون يتلقى عليهم طلابنا الأدب العربي ، والتاريخ العربي ، والحضـارة الإسلاميـــة ، وناهيك بما يزيّفون ويحرّفون ، فتعود العقول متخمة بالزيغ والضلال ، تتنكـّر لتراثها ، وتلهث وراء الشعارات المنخوبة المجلوبة المصنوعة في أروقة الصهيونية والاستعمار !

يقول محمود أمين العالم في مقال له عن الحرية الأكاديمية بأخبار اليوم بتاريخ

١٦-٣-١٩٦٨ : « يجب على الجامعات أن توفّق بين حرية البحث والالتزام الجماعي .. يجب ان تحقق حرية سياسية تستطيع تدعيم وتطوير المضمون الاجتماعي لثورتنا » ..

هكذا يفهمون الحرية ويريدون للجامعات التي تخرّج لنا قياداتنا القادمة أن تعتنق مفهوم الحرية مع الالتزام .. حريـــة سياسية لحملة حجّة الاشتراكية والماضين على منهاجها .. اما الآخرون فلا حرية لهم ولا يحزنون !

هرطقة مفكرين غسلت أدمغتهم في « دهاليز » الصهيونية ، تحت ستار حرية البحث مع الالتزام الجماعي !.. ولست أدري والله كيف تكون حرية أكاديمية مع التزام عقائدي مسبق ، وسيف مصلت من النظام !! إلا ان تكون الحرية هي حرية « الثوري » وحده في قول « الحقيقة » ! لأن الحقيقة في نظرهم قد قيلت فلا ينبغي ان تناقش .. وواجب المفكرين ان يحفظوها عن ظهر قلب كما قيلت لهم ويكرروها في كافة المناسبات !!

المؤامرة ضد حضارتنا ، محبوكة بمهارة مخيفة وحذق لئيم ..

ونحن ، ما نحن ! لم تعرف الدنيا في قديمها وحديثها ، أمة تخدع أبناءها ، وتكذب على نفسها ، وتتآمر على قضاياها ، كما نفعل اليوم !

عبث قادة ، إلى فساد ساسة .. إلى هرطقة مفكرين !

و « يزيد الطين بلّة » بطانات سوء ، وألسنة ضلال ، تحفّ بالقادة ، كما تدور بمعصم سوار ، فتزيّن لهم المغامرة والانحراف !

وتتوارد على الخاطر ، وأنا أخطّ هذه الأحرف ذكريات وذكريات ..

قلت للزعيم العربي العظيم المرحوم جمال عبد الناصر ، وأنا أجلس إلى يمينه على مائدة الغداء ، بعيد توقيع اتفاقيـــة الدفاع المشترك في ٢٩-٥-١٩٦٧ : يا سيادة الرئيس الجليل : لم أكُ في حياتي قط ، أسعد مني اليوم وأنا أرى قادتنا العظام يستبدلون بالخصام الوئام ، وبالتمزق التوحّد ، وبالكراهية المحبـــة ، ويخطّون عهود الشرف لمعركتنا الواحدة مع الأعداء لكنني كمواطن عربي ،

أسأل ونحن مقبلون على قرار خطير: لقد سمعت الرئيس « جونسون » يقول للملك حسين في البيت الأبيض قبل بضع سنين : ان أسطولهم السادس في البحر الأبيض هو للمحافظة على التوازن السياسي في المنطقة وردع دولها أن يعتدي بعضها على بعض .. ومفهومي لهذه المقولة ان الولايات المتحدة لن تسمح للعرب بالاعتداء على إسرائيل في حدودها الحالية ، وسمعت القـادة العرب في مؤتمر القمة بالدار البيضاء آخر سنة ١٩٦٥ يقولون : ان خطتنا العسكرية إذا صفت النيات تحتاج إلى بضع سنين لتصل إلى مستوى الردع، لا إلى مستوى الهجوم.. وخلال البرهة التي تلت ذلك المؤتمر ، لم تصف النفوس العربية من أدرانها مع الأسف الشديد ، ولم يتحقق مفهوم التضامن كما ننشد وتنشدون ، وتعطل الجهد العربي ، ونامت القيادة الموحّدة .. وسمعتكم قبل أشهر تناقشون السوريين ، في معرض تحويل المياه العربية ، فتقولون : ان التفكير في أية معركة شاملة مع العدو اليوم هو بمثابة انتحار !

فكيف نغامر اليوم بكرامة أمتنـا ومستقبل أجيالها ، ونحن لم نكمل استعدادنا من جهة ، ونعـلم من جهة أخرى ان الأسطول السادس ، في البحر المتوسط حاضر كل لحظة ليحسم الموقف لمصلحة إسرائيل ...

فأجابني الرئيس وعلى شفتيه طيف ابتسامة مبتسرة .. وعيناه النافذتان تحملقان في المدى البعيد : « ان التقارير التي وصلتنا من قيـاداتنا العسكرية تشير كلها إلى أن طاقاتنا القتالية تفوق ما عند العدوّ ، وان الكفة راجحـة لمصلحتنا ان شاء الله .. كما ان اتصالات رجالنا بالمسؤولين السوفيات أكّدت لنا انهم سيهبّون لنجدتنا فيما لو تدخلت الولايات المتحدة.. ونعتقد انه يستحيل انسياق العملاقين في مواجهة عسكرية قد تنقلب إلى ذريّة ، من أجلنا أو من أجل إسرائيل ! »

ثم كان ما كان ، وتكشفت خيانات القيادات العسكرية وأجهزة المخابرات ، وبطانات السوء التي غرّرت بالرئيس في مغامرة ، اضطر عليها قبل أن يحين حينها ويستوي أجلها ! ولم تحتج إسرائيل إلى تدخّل أميركي مباشر .. كانت

المعركة فرصة العمر ، وفرحة الدهر ، فأعدّت لهـا عدّتها الكاملة ، وزوّدها أصدقاؤها بكل ما تحتاج إليه ، وملأت الجو والأرض بالمتطوعين المدرّبين ، وبالمرتزقة والمؤجّرين .. وذهبنا نواجهها دون أن نستطيع مدى خمسة عشر عاماً ملأناها صراخاً وزعيقاً ، أن نُعِدّ مائتي طيار ، يحمون أرضنا وأجواءنا من المفاجأة المذهلة التي قرّرت مصير ذلّنا في الساعات الأولى من صباح الاثنين المشؤوم في ٥-٦-١٩٦٧ ، وسمعنا بعـد ذلك من يحمد الله على ان تحطّمت الطائرات وسلم الطيارون .. الحمد لله على بلاء الله !

ولست أشك في ان الصدمة النفسية التي عاناها الرئيس الكبير الذي غرّرت به تعاسة القادة ، وخيانة البطانة ، قد عجلت بوفاته ، أفضل ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً ..

وباختفائه ، انهدم « عمود » البيت ، وأخشى ما يخشاه المخلصون اليوم أن يتحوّل الجهد العربي من المستوى القومي إلى المستوى الوطني فينشغل كل قطر بأوضاعه وقضاياه ، عن القدر المشترك ومعركة المصير ، ويستسهل كل بلد التملص من المسؤولية القومية ، مسؤولية الجهاد والثأر ، ونتقوقع في نطاقاتنا وكياناتنا دولاً فسيفسائية واهنة إزاء إسرائيل الكبرى ذات الحول والطول والصولجان !

ومن الذكريات المبكية المضحكة عن بطانات السوء وألسنـة الضلال : في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين .. يوم سخط الله وغضبه ، الخامس من حزيران ، وكانت طائرات العدو قد أكملت مهمتها في الجبهة الجنوبية ، وانفلتت تحطم ما تبقى في الجبهة الشرقية .. وأنا أسميها « جبهة » تجوّزاً فلقد كانت في واقع الحال ، جبهات وجبهات !! في تلك اللحظات المفجعة ، سمعت المذيع الأردني يعلن : لقد بلغ مجموع ما حطّمه نسورنا للأعـداء ، خمسين طائرة مقاتلة !.. لقد كانوا نسوراً حقاً لكنها مقصوصة الجناح ، قد بخلت عليها أمتها بما يحملها إلى أجواء المجد .. فاتصلت لتوّي بمدير الاذاعة ، أسأله عن هـذا التزوير في الظرف الرهيب .. فأجاب ببساطة وهدوء : لقد أسقط أحمد سعيد للآن مائتي طائرة للعدو ، فلا أقل من أن نسقط نحن خمسين !! هكذا والله !

ومن الذكريات الحزينة : اننا حـــين بلغتنا نذر الحرب ، أعدّ كل وزير ومسؤول رداءه العسكري ، لنعيش مع جنودنا في مناخ المعركة ، وفي حسباننا أخذاً بمنطق السيد حسنين هيكل أنها ستكون حرب استنزاف طويلة الأجل..

ثم أصبحنا من الغداة لنرى الحرب قد انتهت ، وبقيت ملابسنا العسكرية معلـّقة في المشاجب ، تستحق أن تتصدر متاحف التاريخ !

ومن تلك الذكريات : انني حين أصدرت كتابي « المؤامرة ومعركة المصير » وكشفت فيه خطوط المؤامرة الغربية الشرقية الصهيونيـة .. وأوضحت دور أميركا وروسيا ، بالذات ، في الغزو الفكري ، لتدمـير ديننا وحضارتنا من الداخل .. بلغني ان بعض السفهاء يتمطـّون في مجالسهم الداعرة ، لينثروا التهم كيف اتفق وكيفما يشاء لهم صَغَـارهم .. عملاء أميركا يقولون انني قسوت على الغرب ، وعملاء روسيا يقولون : انني قسوت على الشرق ، وفات صعاليـــك الأندية ، انني أكتب ما أكتب ابتغاء وجه الله ! وحين يصبحون مؤمنـين ، يفهمون كيف يكتب المؤمنون ..

أقول للسفهاء:أنا امرؤ مسلم يمنعني شرف ديني أن أنتمي إلى يمين أو يسار.. وان أبحث عن هويتي عند أعداء قومي وملـّتي .. أعادي أميركا لأنها عـدوة حضارتي وقضيتي .. وأحترم الموقف الروسي لأنه موقف حـق ، لكن ديني يزجرني عن التعبّد للشيوعية..أما صعاليك الشعارات«الغوغائيون»«الديماغوغيون» الذين يتحدثون عن العمالة وهم عملاء ، فنقول لهم : انتموا لدينكم وأمتكم أولاً ثم تعالوا نتناقش ونتجادل فنجعل لعنة الله على الفاجرين !

لقد أدركنا زمن ، أصبح شرف المرء وبالاً عليه ..

ورب أناس كل خلافك معهم ، انك مؤمن وانهم ملحدون .. انك نظيف وانهم ملوّثون .. انك شريف وهم في الوحل غارقون !!

ومن ذكرياتي :

جاءني ذات يوم في مكتبي بلندن شخص لا أعرفه ، وقدم نفسه : أنا الدكتور « دريد المفتي » من دمشق .. كنت وزير سوريا المفوض في مدريد أثنـــاء

حرب حزيران .

لقد قرأت في كتابك « المؤامرة ومعركة المصير » عن جريمة تسليم مرتفعات الجولان لجيش الدفاع الإسرائيلي دون قتال ، التي اقـــترفها ثلاثي « جديد ، زعين ، ماخوس ».

وأحب أن أزيدك بياناً ..

قال : استدعاني وزير خارجية إسبانيا لمقابلته صباح يوم ٢٨-٧-١٩٦٧ وأعلمني ، ووجهه يطفح حبوراً ، ان مساعيه الطيبة قد أثمرت لدى أصدقائه الأميركان ، بناء على تكليف السيد « ماخوس » وزير خـارجية سوريا للسفير الإسباني في دمشق .. ثم سلمني مذكرة مؤرخة في ٢٧-٧-١٩٦٧ ..

ومدّ إليّ يـــده بصورة المذكرة ، فقرأتها عجلاً ثم أعدتها إليه شاكراً .. وسجلت في مفكرتي ما بقي في الذاكرة من نص المذكرة :

« تهدي وزارة خارجية الحكومة الإسبانية تحياتها إلى السفارة السوريـة بمدريد ، وترجو أن تعلمها انها قامت بناء على رغبة الحكومة السورية بالاتصال بالجهات الأميركية المختصة لإعلامها برغبة سوريا في المحافظة على الحالة الراهنة الناجمة عن حرب حزيران سنة ١٩٦٧ .. وتود إعلامها انها نتيجـــة لتلك الاتصالات ، تؤكد الحكومة الأميركية ان ما تطلبه الحكومة السورية ممكن ، إذا حافظت سوريا على هدوء المنطقـــة ، وسمحت لسكان الجولان بالهجرة للاستيطان في بقيـــة أجزاء الوطن السوري ، وتعهدت بعدم قيام نشاطات تخريبية من ناحيتها تعكّر الوضع الراهن » ..

ومن الذكريات التي انتهت إلى مأساة .. اننا بعـد الكارثة لم نكد نسمع بنموّ منظمة « فتح » واستقطابها مشاعر الجمـــاهير العربيـة — التي زلزلها ذل الهزيمة — ... ورفعها شعاراً واحداً هو شعار التحرير ، حتى أخذنا نفاجأ كل صباح بميلاد منظمة جديدة بقيادات و «ايديولوجيات» ! ووجدت بعض الدول العربية في تكاثر المنظمات ما يغنيها عن الجهاد ! « تستزلم » إحـدى المنظمات المطروحة في « المزاد » وتمدّها ببعض المال وبعض السلاح ، لتشهر مبادئها في

الساحة الغاصّة بالشعارات .. وليكون لها في زحمة الفداء صوت مسموع شرط ان ينطلق من غير أراضيها حرصاً على النظام ومكاسب الحكام !.. وكان ان عكست المنظمات الدخيلة خلافات الدول العربية وانقساماتها وشرذماتها من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ..

وانحرفت بعض المنظمات الهزيلة عن أهداف الفداء النبيلة ، فتحول عجزها عن مقارعة الاحتلال الفاجر إلى صراع مع الأنظمة العربية ، وبعد ان كاد الفداء ان يصبح جهاداً صادقاً في سبيل الله ، آض حذلقة وثرثرة .. وانحرافاً وبلبلة .. وبلاغات وتصريحات ، وخطباً ومقالات .. وفتحت الأبواب على مصاريعها فولجها الشريف مع النذل، والجادّ مع الهازل، والدخيل مع الأصيل، والعاقل مع الجاهل الذي يرى الفداء بزّةً وبندقية ومرتباً شهرياً .. وهروباً من التقيّد بالقانون والنظام ..

وذهلنا ، ونحن نرى المنظمة تتشمت إلى منظمات ، ونرى الشقاق بينها يغلو حتى ليتجاوز الرأي إلى الصدام ..

وضرب الله غشاوة على أعين بعض القادة والساسة .. فاستغلوا الشعلة المقدسة مطية مساومات ومزايدات ، ولعبت المؤامرات الدولية ، لتحطيم هالة الجهاد ، بضرب المنظمات بدول المواجهة ، وضرب بعضها ببعض ، لتصبح في واقعها المأساوي صورة للمجتمع العربي .. مجتمع الكراهية والأحقاد ..

وتركت عمان أواخر شهر أيلول سنة ١٩٦٩ والعمل الفدائي يستهوي أفئدة الجماهير بكل مستوياتها وطبقاتها دون استثناء .. وترتعد له فرائص العدو وترهب الدول الكبرى الجذوة المقدسة التي شحذت إرادة الأمة المصممة على الجهاد ..

وعدت إلى عمان منتصف شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٠ ، فإذا بالحال غير الحال .. قد تآمر الفداء على نفسه مع المتآمرين ، فليس في عمان غير الأحقاد السود ! والعدو يهزأ بنا ويشدّد قبضته على المقدسات !

بهتت الصورة في أذهان الجماهير ، وهم يرون بعض المنظمات الدخيلة ، تملأ

الجو طنيناً ، ولا تعمل إلا ما يساعد على تقويض صلة الفدائي بالمواطن ، وتدمير علاقة المنظمة بالنظام .. وشغلت نفسها بكل شيء خلا مهمـــة التحرير .. واستمرأت الكذب لتستر العجز ، وتخدع الجماهير .. حتى لقد سمعت بأذني من يقول : انهم يصدرون البلاغات الكاذبة ، ليدفع شيوخ الخليج !!

وينطلق مفكرونا يتشدّقون ويتفصّحون فلا يستطيعون إلا ان يكونوا صورة الواقع الممزّق الكريه ..

تقوم مجلة « النيوزويك » باستجواب عـدد من مفكري العدو وتسجـــل أحاديثهم .. كلها تَمتَحُ من بئرٍ واحدة ، وتصبّ في إناء واحد .. وتستجوب المجلة في عددها التالي نخبة من مفكرينا في «بيروت» .. كلٌ « يغني على ليلاه».. كل كحاطب ليل .. ألسنتهم شُعَبٌ ، وقلوبهم شتى .. وتضيع معالم القضيـة الواضحة في اصطراع المذاهب ، وضباب الرؤية ، وحذلقة الشعارات !!

نقول في المساء بدولة علمانية ، وتجتمع ندوتنا الفكرية في الصباح لتعلن ان شعار الدولة العلمانية ما هو إلا أسلوب دعائي مرحليّ لأن ذلك يعني أن نتخلى عن عروبتنا وعن عقيدتنا ..

نكذب حتى على أنفسنا ، ونريد أن يصدّقنا الآخرون !

نرفض قرار مجلس الأمن ومشروع روجرز .. ثم نقبـــل القرار ونرفض المشروع .. ثم نرفضهما معاً .. ثم نراوح بين الرفض والقبول . وتنشر الأهرام ان المنظمات قد قبلت بالحل السلمي ، فتنشر المنظمات بعـد سويعات تكذيباً يحمل كل معاني التسليم والقبول ..

لا نعرف ماذا نقول .. ولا نعرف ماذا نريد !

المهم أن يبقى اسم الفداء ليستمر العطاء ..

ولا بأس ، بعد ذلك ، أن يغدو موضع الاعتزاز موضوع ابتزاز !!

أما الأنظمة ، والدول ، ووراء تلك المنظمات ، فحدّث كما تشاء ، أعاذك الله من البلاء !!

رسائل ، ورسل ، ومؤتمرات ، واجتماعات.. والنتيجة الصارخة ، عشرون صفراً على الشمال ..

قرارات اليوم ، هي قرارات الأمس القريب والبعيد .. المضمون واحد ، والصورة واحدة .. نفس المسرحية المُعادة المكرّرة المجوجة ، مع اختلاف الممثلين والأدوار !

وقف إطلاق النار .. رفض التمديد .. قبول التجديد .. طلب قوات دولية .. استجداء عطف الدول الكبرى لإرسال قوة احتلال جديدة للشرق الأوسط ، لتحمي العرب من إسرائيل !!

« يا أمةً ضحكت من جهلها الأمم ! »

*

إذا أردت يا أخي القارىء أن أزيد ، فاقرأ معي واعجب :

في الغارة الإسرائيلية على السلط في ٢٦-٣-١٩٦٩ ، أصدر الجيش الأردني بلاغاً يقول : انه أسقط طائرتين للعدو .. وسارعت القوات العراقية المرابطة في الأردن إلى إصدار بلاغ معاكس ! يقول : ان عدد الطائرات التي أسقطتها تلك القوات بلغت سبع طائرات .

ثم يصدر بيان رسمي يقول ان جميع القتلى هم من المدنيين ونذهب نشكو إلى مجلس الأمن .. لكن الصحف الأردنية الصادرة صباح اليوم التالي تنشر بلاغات منظمات فدائية ترثي شهداء الغارة من الفدائيين .. فقدمنا بذلك للعدو الحجة التي يبحث عنها ليثبت ان غارته كانت حقاً على مراكز الفدائيين لا على المواطنين الآمنين !!!

إليك حادثة أخرى :

تنسف أنابيب البترول في حيفا ، فتعلن الجبهة الشعبية مسؤوليتها عن تلك العملية .. ثم يهبّ صوت العاصفة في٢٤-٦-١٩٦٩ يعلن: يا جماهيرنا، في وقت يأخذ الصراع أشده بين ثورتنا الفلسطينية وبين كل القوى المعادية والعميلة

الهادفة إلى خنق هـــذه الثورة ، تنظر جماهيرنا نظرة استنكار واتّهام إلى تصرّفات غير مسؤولة يقوم بها أطراف دخلاء على الساحة الفلسطينية ، بأسلوبهم في التسلق على حساب العمل الشريف .

« ان الجماهير المناضلة – ولها الحق – تتساءل : لمصلحـة من تقوم أطراف معيّنة بسرقة جهد الثوار الحقيقيين وانتحاله عن طريق إعلانات منمّقة ، تصدر عن أطراف يحترّون فشلهم في صخب المقاهي ؟! »

يتساءلون ، وأنا أسأل : لماذا يسمّونها ثورة ، ولا يسمونها جهـاداً ، أذلك لأن الجهاد تصوّر إسلامي ، وهم لا يعترفون بالإسلام .. وثورة ضد من ؟.. وما معنى « ميليشيا » ؟ هل هي ألطف وقعـاً ، وأجمل في السمع ، من كلمة « مجاهدين » ؟ ولماذا نكون عالة على غيرنا حتى في الأسماء والمسميات ؟!

وإذا كنا نؤمن ان بعض المنظمات دخلاء على الساحة الفلسطينية ينتحلـون جهد الثوار الشرفاء .. فلماذا تخاذلنا وتراخينا .. ولم ندفع عن حياض الساحة الفلسطينية ، والعمل الفدائي الشريف النظيف ، العملاء والدخلاء والجواسيس ، وتجار الشعارات وتركناهم يتآمرون علينا مع المتآمرين ؟!

وبتاريخ ٤–٩–١٩٦٨ انفجرت عبوات في تل أبيب ، وفي الخامس منه أعلنت الجبهة الشعبية مسؤوليتها عن الحادث .. وفي ٩–٩–١٩٦٨ أذاع صوت العاصفة ان « فتح » هي المسؤولة وان الجبهة كاذبة في ادّعائها !

وتنفجر قنبلة في « نيويورك » فتعلن ثلاث منظمات مسؤوليتها عن الحادث ، ثم يظهر التحقيق ان المسؤولية تقع على منظمة « الفهود السود » !

وبتاريخ ١٠–١٠–١٩٦٨ تصدر القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً سياسياً – نشر في جريدة الحياة في ١١–١٠–١٩٦٨ – أعلنت فيه طرد منظمة شباب الثأر – حركة القوميين العرب – من صفوفها ..

وبتاريخ ٢٣–١–١٩٦٩ نشرت مجلة الصياد أنباء عن انشقاقات جديدة في الجبهة الشعبية لاحتدام الصراع الفكري ضمن حركة القوميين العرب .. انتهى بانسحاب جبهة تحرير فلسطين « جبريل – زعرور » وذكرت انه يروى في

مجال الحديث عن هذا الانسحاب ان « أحمد جبريل » طالب بمبلغ ثلاثين ألف دينار للتخلي عن اسم الجبهة الشعبية .. وقال انه لا يملك من المال والسلاح ، ما يكفي ليستمر بغير اسم الجبهة .. ولما قيل له : هـــذا يعني انك تريد « خلوّ رجل » أجاب : اعتبروه ما شئتم فواردنا المالية ستنقطع إذا تخلينا عن اسم « الجبهة » !

ثم تتمزق الجبهة إلى محوري « حبش – حواتمه » تحت اسم : « الجبهـــة الشعبية لتحرير فلسطين – تبعية روسية » و« الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين – تبعية صينية » ! والبقية تأتي .. وانتهى القوميون العرب في الساحة الفلسطينية إلى أحضان الماركسية ..

ولم يقتصر هذا التمزّق على الجبهة .. بل ان « فتح » .. حتى « فتح » التي كانت مهوى الأفئدة ومطمح الأنظار ،تشعثت هي الأخرى وانطلقت منها شراذم هزيلة ، تسمي نفسها « منظمات » !

لماذا ؟.. لأنهم لا تعجبهم الصبغة الدينية « لفتح » ويخشون أن يتأخروا عن مواكب اليسار المنطلقة لا تلوي على خير .. ولأنهم لا تعجبهم قيادة «أبو عمّار» وينفسون عليه ما أضفته عليه عفوية الجماهير الظامئة للثأر ، وتلاحمها العضويّ مع العمل الفدائي الشريف !

ولماذا نُبعد ؟ لقد شهدت الأيام الأخيرة انفجار الصراع بين « فتح» والجبهة الشعبية ، ووجّه أحد قادة « فتح » – كمال عدوان – اتهامات خطـيرة إلى الجبهة في المؤتمر الصحفي الذي عقده في بيروت بتاريخ ١٦– ١ – ١٩٧١ قال : « تاريخ الجبهة الشعبية يشير إلى انها كانت دائماً تتخلف عن كل محاولة وحدوية.. وانها كانت تعطي السلطة في الأردن المبررات لضرب العمل الفـــدائي . وانها حملت الثورة الفلسطينية في الأردن واجبـــات غير فلسطينية وأصبحت تهتم بإضراب عمال « الفلافل » أكثر من اهتمامها بمهمة التحرير !! والجبهة تطرح الآن نظرية حرب العصابات ، لكن أين ؟ وضد من ؟ ان الثورة الفلسطينية أغرقتها شعارات المزايدة.. لن نسمح لأحد أن ينحرف عن أهدافها بتحرّك مزاجي..

لقد هربت الجبهة في معركة « الكرامة » دون سابق إنذار .. وعند أول صدام مع السلطة في الأردن لم يكن عدد مقاتلي الجبهة يزيد على الخمسين ، وعند الاصطدام الثاني سألناهم عن القوات التي يمكنهم ان يدفعوها في المعركة فكان تقديرهم عشرة بالمائة مما ستقدمه « فتح » !

« قطعت جهيزة كل خطيب » !

هذا بعض ما وعته الذاكرة عن التمزّق داخل المنظمات الفدائية.. لماذا؟.. ولمصلحة من ؟.. هل تلك هي لعنة الخلافات التي ابتلى الله بها أمتنا ، ضربة لازب !؟

هل نحن جادّون حقاً حين نرى ما نرى من تخلّف حكوماتنا وتشرذم منظماتنا ، حتى ليصدر في إسرائيل كتاب ، يزعم ان عدد المنظمات قد بلغ الأربعين !!

البلاغات الصادرة عن المنظمات ، التي نشرتها الصحف الأردنية — الدستور والدفاع — منذ أواخر سنة ١٩٦٧ إلى آخر سنة ١٩٧٠ ، تشير إلى الخسائر التي ألحقتها بالعدو خلال تلك المدة على الوجه التالي : اثنا وعشرون ألف قتيل وجريح .. تدمير أربع آلاف آلية ومجنزرة ودبابة ، وألف مدفع ورشاش ، وإسقاط اثنين وثلاثين طائرة !!

ولو كان ذلك صحيحاً ، لما احتجنا ان نستجدي عطف المتآمرين علينا وننتظر رحمة « يارنج ويوثانت » !!

وهاك قصة أخرى بالتواريخ والأرقام ..

في ٢١—١٢—١٩٦٩ قامت طائرات العدو بالهجوم على أهداف أردنية واستمر الهجوم أربع ساعات ..

قال الناطق الإسرائيلي ان جميع الطائرات قد عادت إلى قواعدها سالمة !

وفي الساعة ٩،٤٥ من نفس اليوم أعلن ناطق عسكري أردني : « ان مدافعنا المضادّة تتصدّى للطائرات المغيرة »..

وفي الساعة ١٠،٠٠ قال الناطق : « ان مدافعنا المضادّة قد أصابت طائرة

شوهدت تهوي محترقة في منطقة « كوكب الهوى » . ولسنا نشك في صدق البيان الأردني وكذب بيان الأعداء !! ولكن يعزّ على أهلنا واخواننا ان ترى جماهيرنا القوات الأردنية وحدها في الميدان !

ففي الساعة ١٢،١٥ قال ناطق عسكري عراقي : ان القوات العراقية أسقطت طائرة معادية من طراز «سكايهوك» وأخرى من طراز «سوبر مستير» !

وفي الساعة ١٣،٤٥ رأت منظمة التحرير انها قد تأخرت عن المشاركة الاعلامية ، فقال مذيعها ان ثوار العاصفة قد أسقطوا طائرة العدو شوهدت تهوي في الساعة ٩،٣٠ في كوكب الهوى .. وهي الطائرة التي قال الناطق الأردني ان قواتنا قد أسقطتها !

ثم كان لا بد لها من الاستئثار وحدها بزاعم الناطق العراقي فقال مذيعها في الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه : « أسقط ثوارنا من المجموعة ١٥٤ ومن المجموعة ١٦٠ طائرتين للعدو من طراز « سوبر مستير » .

وبعد دقائق أعلن مذيع « فتح » ان هجوم العدوّ قد فشل ، وأسقطنا ثلاثاً من طائراته !

هكذا .. هكذا !

وخلال سنة ١٩٦٩ أعلنت الدول العربية ببلاغات رسمية عن إسقاط ٢١٥ طائرة إسرائيلية على الوجه التالي :

الجمهورية العربية المتحدة ١٢٥ . الأردن ١٨ . سوريا ١٦ . لبنان ١ . العراق ١٩ . المنظمات الفدائية ٣٦ .

لو كان العرب يستطيعون إسقاط ٢١٥ طائرة مقاتلة للعدو في كل سنة ، لكانت إسرائيل اليوم مكشوفة لنسورنا المغاوير !!

لكنها ، مُنىً نتلهّى بها ونضحك على الجماهير ..

لماذا بالله كل هذه الفوضى المدمّرة وهذا التمزّق الرهيب ..

هل كان مجاهدو حرب التحرير الجزائرية عشرين منظمة ؟

هل ينتمي ثوار « الفيات كونغ » إلى أربعين عقيدة وأربعين شماراً ؟ وهل

هم لو كانوا كذلك يستطيعون مجابهة أعتى قوة على وجه الأرض ؟ لا إسرائيل القميئة التي صنعنا لها بتفاهتنا وسخافتنا وتخاذلنا الأسطورة التي تتيه بها والمجد الذي تدّعيه !

لماذا يا رب ، كتبت علينا وحدنا الشتات والضلال ؟..

ذلك لأننا فقدنا الدين .. ففقدنا الحافز .. وفقدنا الإيمان .. ولم يبقَ لنا ما نتمسّح به غير الترّهات والأكاذيب !

- ٩ -

الاحساس الأممي يطمس الاحساس القومي

لست أراني محتاجاً لإيضاح ما أوردته في الفصول السابقة .. لكنني أقدّم بين يدي القارىء ، مقولات ووثائق ، آخذها كيفما اتفق لدلالتها الصارخة ، ولأنها تؤكد ما أوجزت عن أبعاد المؤامرة التي دمّرت المجتمع العربي ، بالغزو الفكري ، والصراع « الايديولوجي » وما رافق ذلك من ضياع الإيمان والانهيار الخلقي .. وأنا لو شئت أن أسجّل كل ما في يدي من عرائض الاتهام ، لملَلتُ وأمللت ، فلأكتف بالنزر اليسير .. أجلو به البرهان ، وأنبّه الضمائر والأذهان :

من نفحـــات الايديولوجية الثورية ان الاحساس الأممي يطمس عندها الاحساس القومي .. بعكس الحزب الشيوعي الإسرائيلي الذي لا يختلف عن الأحزاب الأخرى ، إخلاصاً لمبادىء الصهيونية وأسس الدولة الإسرائيليـة ، وينأى عن التبعية والعمالة ..

جاء في جريدة « القاعدة » وهي النشرة السرية للحزب الشيوعي العراقي ما يـــلي بالحرف والنص : « ان الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب

الإسرائيلي الشقيق (!!) لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود ، بل للبورجوازية العربية العفنة .. فلتسقط الحرب بين العرب واليهود في فلسطين.. فليحيا التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود ، لإحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحيا الصداقة العربية اليهودية .. ان شعب إسرائيل كشعوب العالم جميعاً ، يريد السلام ويكره الحرب » !!

وصديقتنا روسيا يخيفها انطلاق العمل الفدائي وتساميه حتى يصبح جهاداً في سبيل الله، لا يلوي على « الايديولوجيات » القذرة.. فتسعى لاحتوائه، إبقاء على الوضع المائع – لا حرب ولا سلام – فقد عقد في مطلع شهر نيسان سنة ١٩٦٩ ، في إحدى العواصم العربية ، اجتماع بين ديبلوماسي سوفياتي ، وممثلين عن « فتح » ، سألوا فيه الديبلوماسي بصراحة : لماذا لا يقوم الاتحاد السوفياتي بمساندة الفدائيين ؟.. فلم يجب الديبلوماسي على هذا التساؤل بوضوح ، بل أخذ يدور حوله ومضى هو يسأل ممثلي « فتح » عن نوع الحكم الذي سيقيمونه عند إنشاء الدولة الفلسطينية ، ملمحاً إلى وجود « مسلمين مؤمنين » في صفوف حركتهم ، وان حكومته لا تطمئن إلى وجود أمثال هذه العناصر الرجعية في صفوفهم » .. فيرد الفدائيون : « ان « فتح » تضمّ أشخاصاً من كافة الميول والاتجاهات .. وهي تحرص على عدم زجّ الفلسطينيين في صراعات عقائدية ، في مرحلة يجب أن تنصرف فيها كل الجهود لهدف واحد ، هو التحرير » .. فيسأل الديبلوماسي : « لماذا لا تتلقّون إعانات مالية ، وأسلحة من دول رجعية كالسعودية ، والكويت » ، فيرد ممثلو فتح : « نحن لا نؤمن بالتصنيف السياسي إلى رجعي وتقدّمي ، فالرجعي عندنا هو من لا يساعدنا .. والتقدمي هو الذي يقف معنا في معركتنا المصيرية » ..

وفي شهر آذار سنة ١٩٦٩ نشر الحزب الشيوعي الأردني بياناً هاجم فيه العمل الفدائي ، وقال انه لا يجدي ولا يفيد ، ولا يرد أرضاً ، ولا يحرّر بلداً .. وفي مطلع نيسان من تلك السنة نشرت صحيفة النجم الأحمر الناطقة بلسان القوات المسلحة في الاتحاد السوفياتي مقالاً هاجمت فيه العمل الفدائي ، ومنظمة

فتح بالذات .. وقالت انها تحاول إعادة عقارب الساعة إلى الوراء .. وأصدرت منظمة التحرير في آذار سنة ١٩٦٩ بياناً في عمان انتقدت فيه موقف روسيا بشدة وعنف ، كما وان الجبهـــة الشعبية الديمقراطية ذات التبعية الصينية ، أصدرت في أواخر نيسان سنة ١٩٦٩ بياناً قالت فيه : ان الاتحاد السوفياتي في غمرة اندفاعه مع قرار مجلس الأمن ، يكرّس الموقف الستاليني البيروقراطي من القضية الفلسطينية !

وحين امتلأت الساحة الأردنية بالمنظمات الفدائية المتطاحنة ، لم يجد الحزب الشيوعي الأردني بدأً من الاشتراك في الطحين والعجين ، فأنشأ منظمة الأنصار التي ما تزال تعيش على هامش الأحداث وتنتظر الفرصة المواتيـة للمساهمة في إطفاء الشعلة المقدسة !

ان موقف روسيا في أزمة الشرق الأوسط دقيق ، فهي ترغب في بقـــاء الموقف المائع — موقف لا حرب ولا سلم — لأن ذلك يتيح لها الوقت لتحويـل النقمة في نفوس المتطرفين العرب إلى التزام ماركسي ..

وبما ان أمل التحرير منوط بالوحدة القومية ، واللقاء الإسلامي ، فان الغرب والشرق ، والصهيونية جميعاً تتآمر على طمس ذلك الأمل ، وتدميرنا من الداخل ، لنقف ممزّقين في مواجهة الخطر الرهيب !

قال « خروتشوف » في القاهرة سنة ١٩٦٤ : « ان التعامل مع كل واحـد منكم على حدة أسهل من التعاون معكم وأنتم متحدون .. لقد سمعت أناساً هنا يقولون : نحن عرب . ليتحد العرب ، وما شابه ذلك .. ونحن لو نظرنا إلى الأمور من هذه الزاوية فسيبدو الأمر كما لو لم يكن هناك سبب لنا نحن الروس لكي نبقى بين العرب ، وان علينا أن نحزم أمرنا ونعود إلى بلادنا ، إذ ان زعيمنا ومعلمنا « لينين » دعا إلى الوحدة على أساس طبقي لا على أساس قومي » !

أي ان الانتصار لقضيتنا يستمر طالما بقينا شيعاً وأشتاتاً ، وحـــين ندعو لوحدتنا ، نكون بنعمة الأصـــدقاء كافرين ، هم يؤمنون بالأممية ، ووحدة « البروليتاريا » .. ونحن نؤمن بديننا ووحدتنا العربية ..

وقد حاول الغرب والشرق معاً جاهدين ، معالجة نتائج كارثة حزيران على انها قضايا متعددة : مصرية وأردنيــة وسورية وفلسطينية ! فحثوا مصر على القبول بحلّ جزئي لمشكلة السويس وسيناء .. ولولا موقف الرئيس عبد الناصر القومي الشريف ، والتزاماته الأدبية حيال القضية ، لانفرط العقــد وضاعت القضية .. لكنهم مكروا ومكر الله .. والله خير الماكرين !

ونعود إلى السياق :

كتب رئيس تحرير مجلة الطليعة في عدد الأهرام ٩-٩-١٩٦٧ يقول : « ان عداءنا ليس موجّهاً في قليل أو كثير إلى المليونين ونصف المليون يهودي عامة .. وإلى العمال والفلاحين منهم خاصّة ، إنما هو ضدّ النظـــام الإسرائيلي كواقع عنصري استعماري ، يخدم مصالح الأمبريالية ويعمّق بذور المعاداة للسامية في المنطقة ، ويستغلّ جماهير اليهود جنباً إلى جنب مع العرب » !

ويكتب رئيس تحرير « روز اليوسف » يقول : « الذين يحملون السلاح لتحرير أرضهم لا بدّ أن يدركوا ان خطر إسرائيل يكمن في انها قاعـــدة أمبريالية عدوانية ، ولا يكمن في ان سكانها من اليهود » !

ان هدف هذه الحثالة من العملاء إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل ، ويفتعلون حكاية التناقض بين الشعب والنظام في إسرائيل ، ليقنعونا بأن عداءنا يجب أن يوجّه ضد النظام الذي يخدم الأمبريالية ، وانه حين يزول هــذا النظام ، يزول التناقض ويزول العداء . وان الرجعية العربية تساعد بتطرفها وتعصبهـا على تعميق التناقض ، وتأخير انطلاق ثورة البروليتاريا في إسرائيل ، لتتحوّل إلى مجتمع ثوري تقدمي يأخذ مكانه بين اخوته التقدميين !!

وهذه « روز اليوسف» تدعو الفدائيين لا لتحرير فلسطين بل لتحرير شعب إسرائيل بالتحالف مع العناصر التقدمية داخل إسرائيل .. التي تتمثل في بعض السكان العرب — هكذا يسمونهم السكان ، وكأنهم سكان طارئون وليسوا أهل البلد الأصليين — وحركة الأرض ، والحزب الشيوعي » .

والجمهورية القاهرية تكتب : « من أجل ذلك نطـــالب بأن نلتقي بكل

الشرفاء الذين يخالفوننا في الرأي لنتفق على حلّ إنساني لهذا الوضع الذي يجب أن يثير إحساس العصر بالخجل .. وأكاد أقول بالعار ، والرأي عندي ان المتعصبين هنا أو هناك لن يجدوا حلاً أبداً ، وهم لا يريدون أن يجدوا حلاً أبداً ، ولعلهم يستمدّون وجودهم من احتدام التوتر » .

وفي مفهومنا نحن ، ان الذين يخالفوننا في قضيتنا لا يمكن ان يكونوا شرفاء .. والذين يطالبون بالثأر لاسترجاع حقوقهم واستعادة أرضهم ليسوا متعصّبين .. وكيف ترى نطلب تأييد أحرار العالم لنا إذا كان « أحرارنا » يطالبون بالتآخي بين الشعبين العربي والإسرائيلي !

تلك هي فلسفة مفكري اليسار الانهزامية ، التبعية ، الوثنية !.. ويزعمون انهم تقدميّون !!

وإذا أردت نصوصاً أخرى فإليك البيان :

يقول الدكتور « نديم البيطار » في كتابه « من النكسة إلى الثورة » : انه يرفض شعار الوحـــدة الوطنية ضد الغزو الإسرائيلي ، ويفضّل الحرب ضد الدول العربية الرجعية على الحرب ضد إسرائيل ، لأن العدو هو الدين الإسلامي وليست إسرائيل !

وشعاره الذي يرفعه في كل صفحة من كتابه هو الحض على محـاربة الإسلام ومؤدى منطق هذا الوغد ، ان الحرب الخاسرة ضد إسرائيل أفضل من حرب ظافرة لأن الانتصار معناه تقوية الرجعية أي تقوية الإسلام ، أما الهزيمة فتمبّد الطريق للثورة الاشتراكية [1] !

ويقول : « ان على العرب ان يختاروا بين إلغـــاء الوجود العربي التقليدي وبين بقاء الاحتلال الصهيوني » و « ان دورة الحضارة العربية – أي الإسلام – التي انطلقت من ايديولوجية غيبية ، حققت قواهـا ، وأنجزت جميع مجالات ابداعها في القرن الثاني عشر ، والثالث عشر على أبعد تقدير ، ومن ذلك التاريخ

---

١ – راجع سلسلة « الغزو الفكري » لمحمد جلال كشك

جمدت ، وتحجّرت وعجزت عن الإبداع في أي صعيد » !!

ويقول كاسترو : « ان أصدقـــاء العرب التقدميين لا يطالبون بإزالة دولة إسرائيل ، بل هم يعادون نظام الحكم في إسرائيل ، وبمعنى آخر هم يسعون لتحرير الشعب الإسرائيلي من حكومته العسكرية لا إزالة إسرائيل » ! أي ان موقفهم من إسرائيل التي صرعت كرامـــة أمتهم ، لا يختلف عن موقفهم من النظام الأردني مثلاً ، هو في الحالين، ثورة حق النصر ، لتحرير شعب البلدين!!

بهذا المنطق الساقط ، يطرحون قضـــايانا المقدسة المصيرية ، يلعبون بها ويساومون عليها .. ومع ذلك هؤلاء هم ، ألا تراهم في كل مجتمع عربي ، يعتلون المنابر ، ويرسعون الطريق ، ويملأون الميادين العامة ، صخباً وقحاً ذليلاً !!

تلك هي صورة مختصرة للمؤامرة الشرقية ضد حضارتنا الإسلامية ، أمـــا المؤامرة الغربية ، فقد سبق ان أسبغت عليها أضواء ساطعة جامعة مانعة ، في كتابي « المؤامرة ومعركة المصير » ، وأزيدك اليوم وضوحاً ..

تضمن كتاب: « من السويس إلى العقبة » للكاتب الفرنسي: «بيير ديستريا»، تفصيلاً إحصائياً لقصـــة الشركة الاحتكارية الأميركية « ب. أ. س. » التي تتكوّن من مصرفيين أميركيين يهود منهم : « كوهن لوش » .. و « اخوان ليمن » .. و « صموئيل زموري » مدير شركة الفواكه المتحـدة التي تسيطر على أميركا اللاتينية .. وهـــذه الشركة تهيمن على معظم أراضي إسرائيل ، وتصل رؤوس الأموال الأميركية المستثمرة سنوياً في إسرائيل إلى ما يزيد على (٢٠٠) مليون دولار ، ولذا فان إسرائيل كما يقول المؤلف هي فرع من فروع شركة أميركية عالمية .. وليست دولة بالمعنى الحقيقي للكلمة » ..

أجل ! إسرائيل هي منطقة نفوذ أميركية ، بل ولاية من الولايات ورأس رمح غرز ظلماً ولؤماً وافتعالاً في سواد عيوننا وحبّات قلوبنا ، ليمزّق شملنا ، ويشلّ وحدتنا ، ويدمّر حضارتنا .

ومن المحزن حقاً ان « المتمركسين » العرب يهاجمون هـذا الكاتب لأنه فيما زعموا معارض للماركسية.. ويمتدحون الكاتب اليهودي الماركسي «رودنسون»

لأنه يؤيد قيام إسرائيل ، ويطعن الإسلام ، ويشوّه تاريخ السيرة النبوية ... ولكن يكفي أن يكون ماركسياً ، ليغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر !

ان ضلوع الولايات المتحدة الوقح المستمر مع إسرائيل ، ومدّها بما لا ينفد من المال والسلاح لتقتيلنا والتوسّع في أراضينا ، وممالأتها لباطلها ، وخضوعها الذليل لمنطقها الفاجر ، ومعارضتها الدائمة لقرارات الأمم المتحدة .. والمغامرة بمواجهة « ذرية » من أجل عيون « الشقيّـــة المدلّلة » !.. انها بذلك تكشف خيوط المؤامرة القذرة وتحفر هوّة سحيقة بينها وبين الشعوب العربية لا رجعة فيها ولا لقاء بعدها .. وسنكفر إلى الأبد بالمبادىء الأميركية ، التي يعلنونها ويصفعونها كل يوم ، في الحرية ، والسلم ، وتقرير المصير .. ومزيد من التمادي ، يدفع حتماً إلى مزيد من الارتماء في أحضان الآخرين ، وليكن ما يكون !!

ويكفي أن يعلم القارىء ان النقاش يحتدم اليوم في الولايات المتحدة، خاصة منذ ولاية الرئيس الحالي ، حول العدول عن الزجّ بأميركا في مصائر الــدول والشعوب ، وقيامها بدور «الشرطي العالمي» لضرب الحركات القومية والفكرية بقوة السلاح .. بحجة ان ذلك قد جلب لها كوارث وصعوبات لا مبرّر لهـا ، ولا معدى عنها ، مما قد يؤدي أخـــيراً إلى نوع من العزلة ، لا على مبادىء « مونرو » المتطرفة ، بل الاقتصار على أوروبا ، وتقليص مجالات المجابهـة مع المعسكر الآخر إلى أقل الحدود الممكنة .. وتتحرّك السياسة الأميركية اليوم بهذا الاتجاه بغية التوصّل إلى اتفاق مع روسيا حول المشاكل العـالمية واقتسام مناطق النفوذ !

لكن حين يصل النقاش إلى إسرائيل والشرق الأوسط ، تتغيّر الصـــورة كلياً، وتهبّ حتى العناصر المؤيدة لسياسة العزلة، لتسديد ضغوطها إلى الحكومة الأميركية ، لدعم إسرائيل ، وباطل إسرائيل بكل الأسبـــاب وعلى كافة المستويات ، ولو بلغت حدّ المغامرة « الذريّة » !

لماذا؟.. ليس من جواب أخلاقي!.. هو تحيّز ظالم صارخ واستمرار للحرب الصليبية ضد الحضارة الإسلامية ، خشية انهيار الحضارة الغربية من جهة،ورغبة

في التخلص من خطورة الحركة الصهيونية في المجتمع الأميركي ..

ولعل معظم قرائنا قـد اطلعوا على الكتاب الذي وضعه « هنري فورد » الأول للتعريف بخطورة تلك الحركة ..

ولتوكيد هذه الفكرة ، أسجل فيما يلي [1] نص الكلمة التي ألقاها الكاتب السياسي الأميركي الفذ « بنيامين فرانكلين » في المؤتمر الوطني في « كارولينا الجنوبية » في سنة ١٧٨٩ في موضوع الهجرة اليهودية إلى أميركا ، والنص الأصلي للكلمة ، محفوظ في معهد « فرنكلين » بفيلادلفيا .

يقول : « ان هناك خطراً جسيماً يهدد الولايات المتحدة ، هو الصهيونية ، ففي كل بلد حل فيه اليهود ، عملوا على تدمير المبادىء الخلقية ، وظلوا ، شأنهم حيثما يكونون ، معزولين عن المجتمع ، يتأبون على الاندماج فيه وهمهم التحكم في الحركة الاقتصادية ، كما فعلوا في البرتغال وإسبانيا ، وهم ما برحوا منذ أكثر من ألف وسبعمائة سنة ، يبكون حظهم السيء ويزعمون انهم طردوا من وطنهم .. ولو منحهم العالم فلسطين ، فسوف يختلقون الأعذار الجديدة لعدم الذهاب اليها ، لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا إذا لم يجـدوا من يمصّون دمه ، من المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى دينهم .

وإذا نحن لم نستطع العمل دستورياً على طرد اليهود فسوف يتدفقون على بلادنا للتحكم فينا وتدمير مؤسساتنا ، حتى يصبح أطفالنا خدماً لأطفالهم ، وهم يتربعون في المؤسسات المالية يفركون أيديهم فرحين ..

انني أحذركم أيها السادة ، إذا لم تقصوا اليهود عن هذه البلاد ، فان أجيالنا القادمة ستلعننا في قبورنا » ..

وقد صدقت نبوءة « فرانكلين » وحققت الحكومات الأميركية المتعاقبة الهدف الذي رمى إليه .. قذفونا بهم ليدمّروا حياتنا ومؤسساتنا وعقائدنا .. وليزرعوا بذور الشر في هذه المنطقة المقدسة ، مهد الديانات ومنبت الحضارات .

---

١ – جريدة الحياة

وتترامى إلينا الضجة المفتعلة التي تثيرها الصهيونية اليوم ، حول الأقلية اليهودية في روسيا ، فينهمر علينا سيل المهاجرين ، ثم ينهمر سيلهم من الدول الغربية والولايات المتحدة ، حتى يملأوا علينا السهل والجبل فيهيئوا لاقتحام جديد ، وتوسّع جديد .. ولاجئين آخرين !!

لكننا نقول لأولئك وهؤلاء : ما قيمة تآمركم لتهجير كافة يهود الدنيا إلى بلادنا ، ونقلهم من « جيتوات » صغيرة إلى « جيتو » كبير في منطقة تلفظهم وتأبام أبد الآبدين ! وحين يصحو يوماً المائة مليون عربي .. ووراءهم ستمائة مليون مسلم ، يشدّون أزرهم ، فسيقتلعون الشر من جذوره وتبوؤون أنتم بلعنة التاريخ !..

*

دعتني جمعية الصداقة الأردنية – البريطانية ، إلى حفل عشاء مطلع سنة ١٩٧٠ ، في مجلس العموم ، وحضر الحفل عدد كبير من أعضاء حزب العمال الحاكم حينذاك.. وأذكر انني وقفت فيهم فقلت : « منذ مجيئي إلى هذه البلاد، والصحف تبرز حدثين هامين : أولهما النزول على ظهر القمر وتحقيق معجزة جديدة من منجزات العقل البشري والثورة « التكنولوجية » .. وثانيهما قصة مجزرة « بنك فيل » في فيتنام الجنوبية حيث فتك الجنود الأميركيون بعدد كبير من سكان تلك القرية المسالمين العزّل من السلاح !

وتساءلت ، ما قيمة أن يحقق العقل البشري كافة المعجزات إذا كنا لا نملك مبادىء سامية ومثلاً عليا .. ان مشكلة الانسانية هي ان التقدم العقلي لا يوازيه تقدّم خلقي ، بل لعلّ العكس هو الصحيح .. كلما حقق العقل معجزة ، كلما انحدرت الانسانية دركاً في مهاوي اللاأخلاقية .

لقد سمعت الرئيس « نيكسون » يقول : ان مجزرة « بنك فيل» هي لطخة في ضمير كل أميركي ، وأنا أتساءل، بحزن وأسىً ومرارة كيف لا تكون المجازر اليومية التي ترتكبها العصابة الصهيونية بالأسلحة الأميركية في الشرق الأوسط لطخة عار في ضمير أميركا هي أشد سواداً من الحادث الذي أشار اليه الرئيس..

انها لمَهارة مقصودة ان تدّعي الخير في جزء من العالم ، وأنت ترتكب الشر في جزء آخر منه ..

ان انحياز أميركا المطلق إلى إسرائيل ومدّ الجريمة الصهيونية بالمال والسلاح ، يقضي قضاء مبرماً على كافة المبادىء التي تفاخر بها في تاريخها القصير .. وما جدوى وصولها إلى القمر ويداها ملطختان بدماء الأبرياء »...

*

وقد وصف الكاتب الساخر « جورج برنارد شو » المؤامرة الغربية الصهيونية على فلسطين ، وصفاً دراماتيكياً موحياً في الحادثة التالية ، يرويها « لورد فنار بروكوي Fenner Brockway » :

« في أوائل الثلاثينيات ، كنت موظفاً في وزارة المستعمرات فعهد إليّ بإعداد دراسة شاملة لأفضل السبل الممكنة لحل مشكلة الخلاف العربي–اليهودي في فلسطين .. وبما انني لم أكن أعرف الكثير عن القضية ، فقد اضطررت لمراجعة أكداس التقارير والدراسات ، وخلال بضعة أسابيع أعددت البرنامج المطلوب .. غير ان ما أعددته لم يرق لي ، فأرسلته إلى صديقي الكاتب الشهير « جورج برنارد شو » ليرى رأيه فيه ..

وبعد أيام أعاد الكاتب الدراسة إليّ مع تعليق لا يلومني فيه على تنطّمي للاقدام على الخوض في موضوع لا أعرف عنه الكثير.. لكنه إشفاقاً على حيرتي ، صوّر لي المشكلة في إطار تمثيلية من ثلاثة فصول :

الفصل الاول

ترفع الستارة عن مكتب في وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩١٨ واللورد بلفور ، وزير الخارجية يشكو لأحد معاونيه ، ارتفاع كلفة قتل الجندي الألماني في الحرب العالمية الأولى ، وما تتكبده الخزينة البريطانية من زيادة في التسليح ، إلى حد قد يكره بريطانيا على التخلّي عن الحرب . ويسأل الوزير معاونه عما

لديه من معالجات للموضوع ، فلا يجد عنده شيئاً .. وبعد برهـة صمت يتذكر المعاون ان هناك كيمائياً يهودياً في « ليفربول » قد يتمكن من إسداء مشورة أو إبداء رأي حول هذا الموضوع الهام ..

فيأمر اللورد باستدعائه لمقابلته بعد أسبوع ...

الفصل الثاني

ترتفع الستارة عن المكتب ذاته .. واللورد بلفور يتحدث مع الكيميائي المدعو «حاييم وايزمن» وهو يهودي مهاجر اكتشف أخيراً مادة «الديناميت».. ويشكره اللورد على جهده الممتاز الذي سيساعد على خفض كلفة قتل الألمان !! ويبدي استعداد حكومته لشراء امتياز ذلك الاكتشاف ، مقابل الثمن الذي يحدّده الدكتور « وايزمن » . غير ان هذا الأخير يرفض بإباء وشمم (!) ان يتقاضى ثمناً نقدياً .. ويتأثر اللورد بهـــذه النخوة الوطنية (!) ويعرض على الدكتور ، وساماً أو مقعداً في مجلس اللوردات .. غـير ان الكيميائي يرفض ذلك كله ..

فيسأله اللورد : ماذا تريد إذن ؟

فيجيب « وايزمن » : ان ما أريده شيء بسيط .. أريـد فلسطين للشعب اليهودي !..

يفكر اللورد هنيهة .. ثم يقول : فلسطين ! حسناً إذهب فهي لك !؟

الفصل الثالث

تحيا العدالة البريطانية !!!

- ١٠ -

كلّ تبعي وثني هو طرف في المؤامرة

تلك هي المؤامرة بقضّها وقضيضها .

فمن كان في ريبةٍ من الأمر ، فهو وترٌ في لحن جنـائزيّ .. وهو فصل في مسرحية مأساوية ، يمارس دوره ، ضلالةً ، أو يُلقّنهُ عن نيّـةٍ مُبيّتةٍ ، لوقت معلوم ..

كل تبَعيّ وثنيّ ، هو طرف في المؤامرة !

كل فاسد فاسق هو طرف في المؤامرة !

كل مغامر مكابر هو طرف في المؤامرة !

كل من ينتمي لغير أمته ، ويعتنق غير ملّته هو طرف في المؤامرة !

كل عميل ، كل دخيل ، كل ذي هويّة مُنتحلة ، هو طرف في المؤامرة !

كل من يرفع شعاراً خلا شعار الجهاد ، هو خائن !

ولا يغرنّك صراخُ نفر منا وفي قلوبهم مرضٌ دفين !

قد يصخب المرءُ حتى يتناثر الزبد من شدقيه ، ويكون مع ذلك وغداً !

ولا يُعجبنّك من باع قلبه للشيطان .. وأسلم عقله لأعداء الدين !
انهم مهما عَلوْا ، وغَلوْا ، طلاب متاع لا طلاب ثأر !
وبحق الله ، هل عرفت قبلنا أمة ُتعادي العقل وتنصُر السفَه والبَهت ، والضلال ؟
هل عرفت قبلنا أمة — بحق السماء — ُتغمض عينها كيلا ترى مصيرها الأسود ، يصنع لها بدقة وأناة ، وسابق عمدٍ وتصميم !
يرسمون قدرنا ، ونرى كل صباح ، ما يدبّرون بألف دليل وبرهان .. ومع ذلك نلهو بمضغ الشعارات .. ونظم الهتافات وتحريك المسيرات !!
ليس أجرأ منا في معارك المهاترات والمناورات وصرعات الشوارع وليس أخسأ منا في معارك الشرف والبطولة والاستشهاد ..
جعلنا الله بالإسلام ، خير أمة أخرجت للنـــاس ، وجعلنا الله بلا إسلام ، أحقر أمة على الإطلاق !!
ثم نتفاخر أيّنا الأشد كفراً ! وأيّنا الأكثر فساداً وإلحاداً !

*

وبعد ..
نحن ضحايا الانسلاخ !.. انسلخنا عن ديننا فأضحينا لا حقيقيين في مجتمع مزوّر .. وأمسينا جيفاً محنّطة في مؤسسة عَفِنة !
هذا أنا .. رويت قصة العهارة الأخلاقية .. وأبليتُ عذراً في هذا الكتاب والذي سبقه ، في كشف وفضح تآمر الشرق والغرب على حضارتنا وقوميتنا وديننا .. فهل ُترى أسمعت صيحة الفجيعة ، وصرخة الذبيحة ، من في القبور؟
تلك هي قصة المؤامرة ، هل تخفى إلا على بغل ؟ هل ينكرها إلا حمار ؟
ومع ذلك .. أين نقف نحن ؟ وماذا تفعل إسرائيل ؟
استراتيجية إسرائيل الدائمة منذ قيامها ، كما وصفها مهندسها « بن غوريون » في الكتاب الذي ألّفه عنه الكاتب اليهودي « بار زوهار » تقوم على الأسس التالية :

١ – التحالف مع دولة كبرى وجعل إسرائيل قاعدة لخدمة مصالحها ، لكي تجرّها إلى دعم باطلها .

٢ – تشييد الجيش وتكديس السلاح وتنظيم المخابرات !

٣ – تقرير سياسة الأمر الواقع، طالما ان هناك دولة كبرى تُظِلّ إسرائيل في المحافل الدولية .

٤ – استغلال تخلّف العرب وخلافاتهم مع أنفسهم ومع العالم .

٥ – المبادرة إلى ضرب العرب كلما بدا ان تعاونهم ينمو وقوتهم تزداد

وأضيف بنداً سادساً : التقيّد بالتراث .. وتعميق مبادىء الدين !

تلك هي استراتيجية الصهيونية منذ قيام إسرائيل .. اما استراتيجيتها التاريخية كما جاء في « التلمود » ، فهي تدمير كل المجتمعات الانسانية ليسود المجتمع اليهودي . واستغلال كل فرصة ، وكل حدث ، وكل ظرف، وكل عقيدة، وكل دولة في سبيل مجد إسرائيل ..

لقد قلت غير مرة ان الغرب والشرق ، قد تعاونا فزرعا إسرائيل رأس رمح في قلب العالم العربي والعالم الإسلامي ، الأصدق ان يقال ان الصهيونية العالمية هي التي استغلّت ، الشرق والغرب ، وجميع العقائد ، والملل والنحل ، لتنفيذ مخططاتها الاجرامية ، ضد المبادىء الخلقية والمفاهيم الإنسانية !! لقد سمعت مفكراً يهودياً يقول هازئاً وفي قوله أعمق الجدّ : « لقد غالت إسرائيل في ضغوطها على الولايات المتحدة حتى لتكاد هذه ان تصبح ذيلاً لإسرائيل ، لا العكس » .

ولذا نرى إسرائيل تتمرد كل صباح ؛ وهي الربيبة الممسوخة ، على سيدتها الأولى ، وتحدّد هي الشروط التي تناسبها .. وأميركا تخضع لما يريدون !

وهم يغادروا مبدأ أو عقيدة أو منظمة أو مؤسسة لم يستغلوها أو فرصة لم يهتبلوها .. أو موجة لم يركبوها لهدفهم المعروف ! فالتآمر على عقيدتنا وحضارتنا وقوميتنا وأوطاننا ، هم الذين رسموه وخطّطوه ثم مضوا بخطوٍ مركّز وئيد .. ينفذونه فصلاً بعد فصل ، يهدؤون لحظة ثم ينتفضون فجأة ..

يحنون هاماتهم للحادثات ، يتراجعون خطوة إلى الوراء ، ليقفزوا عشراً إلى الأمام !

الرأسمالية ، الأمبريالية ، الاشتراكية ، الشيوعية ، الفوضوية .. العدمية.. هم مهندسوها .. والحركات الباطنية « كالروترية » و « الاسود » و «الماسونية» وكل التنظيمات والمؤسسات السرية والعلنية هم فيها القادة والمفكرون !

يصنعون العقائد للناس ، ليسهر الناس جرّاها ويختصموا وهم في أقبيتهم ، قابعون هازئون ..

قوتهم الرهيبة في تجمّعهم واحتشادهم ، والتزامهم بمبادىء تراثهم وأوامر دينهم !..

أستاذ « كارل ماركس » مثلا ، هو الحاخام « موشى هيس » وهو أول الدعاة لبعث الحركة الصهيونية العالمية .. .. اختلف معه حول صياغة « البيان الشيوعي » المعروف ، وكان « هيس » هو الذي وضع مسودته الأصيلة وسلمها للدكتور « ماركس » زميله في تأسيس أول حزب شيوعي عالمي ، في بروكسل عام ١٨٤٦ ، فأدخل عليها ماركس إصلاحات لفظية كثيرة ليعزوها لنفسه ، فقال له « هيس » : « لسنا بحاجة لأكثر من لغة الإشارات والرموز كي نتفاهم ، فلماذا تحاول الآن يا أخي ماركس ان تحتكر وحدك تلك اللغة ، أوتحسب انني لست واعياً لكل رمز من رموزها وحرف من حروفها » ؟

وعندما استعصت عليهم الاشتراكية الوطنية في ألمانيا ، أقاموا الدنيا وأقعدوها ، ولفقوا مختلف الأراجيف والأكاذيب ، وارتكبوا ألوان الخيانات القومية إزاء البلد الذي آواهم وحضنهم ، في الحربين العالميتين ، حتى أكرهوا « هتلر » على الاقتصاص منهم ليتاح لهم فيا بعد استغلال « عقدة الذنب » لدى الشعوب الأوروبية ، للوصول إلى أهدافهم بارتكاب جرائم أبشع وأشدّ سواداً ، مما يزعمونه من جرائم النازية ، ضد العرب أهل فلسطين منذ عرفت الدنيا ، فليس الكنعانيون أصحاب فلسطين الأوّلين ، إلا موجة عربية هاجرت من قلب الجزيرة كما يثبت المؤرخون !

وتؤمن الصهيونية بأسطورة « الكولم Golem » ، وخـلاصة الأسطورة ان « الكولم » وحش ميكانيكي صنعه من الفخـــار « رُبيّ » يهودي في « براغ » وجعله على صورة رجل لا ينقصه إلا النفس الإلهي — الروح — لتحطيم الذين يهاجمون اليهود . ثم يقتل « الكولم » خالقه ، ويفرّ من المعبد متخفياً ، وتظل صورته الرهيبة عالقة بأذهان الناس ، تنشر الفزع والرعب ، في انتظار ظهوره لإنجاز مهمته في الفتك والتدمير !!

ودلالة هذه الأسطورة انها تشير إلى فلسفتهم القائمة على الجثث والخرائب .. بينما تقوم فلسفات الشعوب الأخرى على ترقّب مجيء المخلص ليملأ الدنيا عدلاً ومحبة وينقذ الإنسانية من الدمار !

ونرى « الكولم » اليوم يتقمّص أبطال إسرائيل ! الذين أصبحوا أبطالاً من جراء خيانتنا وتفاهتنا .. يظهر « موشى دايان » و « مناحم بيجن» و «جولدا مئير » ، ينشرون الرعب والفزع ، ويمارسون التنكيل والتقتيل ، ونحن نغطّ في دياجير الظلام نعاقر الأحلام والأوهام !

وقد فطن لهذه الحقيقة ولم يستطع كتمانها بعض المفكّرين من اليهود ..

يقول الفيلسوف اليهودي « مارتن بوبر » : « ان أغلبية الشعب اليهودي قد فضّلت ان تتعلّم من « هتلر » أكثر مما تعلمت من « موسى » . ذلك ان هتلر أثبت ان التاريخ ليس من نصيب من يملك الإيمـــان ولكنه من نصيب من يملك القوة .. وإذا ملك شعب القوة ، فانه يستطيع أن يقتل دون حياء » !

ويقول الكاتب اليهودي « موشى مينوهين » مؤلـــف كتاب : « انحطاط اليهودية في عصرنا » : « ان اليهودية التي بشّر بها الأنبياء هي يهودية التسامح لا يهودية « النابالم » ان اليهود القوميين ليسوا يهوداً ولا تربطني بهم صلة لأنهم فقدوا كل شعور بالأخلاق اليهودية وبالمثل الإنسانية .. وانني لأشعر بالعـــار والخجل حـين يقرن اسمي كيهودي بأمثال هؤلاء المجرمين وبقضيتهم غير المقدسة » .

ويعقد « مينوهين » في كتابه مقارنة مخجلة بين موقف « ايزنهاور » العادل

بعد عدوان السويس سنة ١٩٥٦ ، وموقف « جونسون » القذر بعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ .. إذ بينما شارك « جونسون » مشاركة فعّالة مباشرة في المؤامرة وساعد في إعداد وتوقيت الحرب المجرمة وبلوغها غايتها، قال «ايزنهاور» غداة معركة السويس : « هل يجب ان نسمح للبلاد التي تعتدي على بلاد أخرى وتحتلّ أراضيها رغم معارضة الأمم المتحدة ، بفرض شروط مقابل انسحابها ؟ لقد قلت لوزير خارجية إسرائيل ، انه إذا كان يعتقـــد ان موقف الولايات المتحدة سيتأثر بسبب انتخابات الرئاسة القادمة ، فهو واهم ! »

ويقول الكاتب اليهودي « ميك أشلي Mick Ashley » في « الصنداي تايمز » عدد ٣٠-١١-١٩٦٩ : « لقد ولدت لأبوين يهوديين وشعرت منذ زمن طويل انني يجب أن أتحدّى الرأي القائل ان اليهود يجب ان يستغلـّوا « عقدة الذنب » عند الغربيين لإكراههم على الوقوف مع باطل إسرائيل .. لقد ساق أمثـــال هؤلاء إسرائيل إلى الدمار .. فلقد آن الوقت لندرك ان السلم الدائم لا يمكن ان يقوم إلا على أساس العدالة .. لكن يبدو ان الصهيونية لا تريد ان تعرف ان للعرب حقوقاً . لقد أعطت هيئة الأمم المتحدة ، إسرائيل ٥٦ بالمائة من مساحة فلسطين في قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ مع ان اليهود كانوا لا يتجاوزون ثلث السكان .. واليوم تحتل إسرائيل كل فلسطين .. ولا تكتفي بذلك ، بـل تحتلّ أجزاء شاسعة من مصر وسوريا والأردن ، كما انها ماضية في تهويد القدس مع ان الأمم المتحدة قد أدانت ذلك بإجماع ٩٩ صوتاً مقابل لا شيء .. وهـل يوجد قانون شرعي أو أخلاقي يجيز استسلام العرب للاحتلال الإسرائيلي بالقوة؟ وهل يوجد قانون دولي يمنح إسرائيل وحدها حرية توسيع حدودها كما تشاء ، وجني ثمار العدوان ؟ ان مأساة الشرق الأوسط تتلخص في ان إسرائيل لم تتعلم بعد ان ربح الحروب لا يجلب السلم للمعتدين » !

هذا ما يقوله المنصفون.. فكيف يقول المجرمون معتنقو أسطورة «الكولم»؟

استمع إلى « هرتسل» في كتابه « الدولة اليهودية » : « لنفترض اننا نريد ان نطهّر بلداً من الوحوش الضارية.. اننا لن نتسلح بالسيف ونذهب فرادى..

بل سننظم حملة صيد جماعية عنيدة مجهزة ونطرد الحيوانات ، ولا يمكن إقامة الدولة دون مساعدة مجدية من الحكومات ذات المصالح التي تعود عليها حرتنا بالمنافع الجمة » !

وانظر كيف يستهزؤون بنا ويستخفون بعقولنا ..

يقول الدكتور شاكر مصطفى : « لقد صدر عن مجلس الأمن قبل حرب ١٩٦٧ ما يزيد على خمسين ألف قرار يدين إسرائيل ، دون جدوى » .

تعلن « الهاجاناه » في ٢٠–٣–١٩٤٨ انهم يمدون يد الصداقة للعرب ، وفي ٩–٤–١٩٤٨ يقومون بعمليـــة تطهير البلاد من الوحوش الضارية كما يقول « هرتسل» في مذبحة « دير ياسين » .

يذيع المجلس الصهيوني العالمي في ١٢–٤–١٩٤٨ نداءً يدعو إلى السلام وفي اليوم التالي ، يباغتوننا بمجزرة « ناصر الدين » !

يعلن « بن غوريون » في ١٥–٣–١٩٤٨ انه ينشد السلام مع العرب بعـــد مذابح « بيت دارس، وبيت شورى، وقرية الزيتون » في أوائل ذلك الشهر ..

وفي ١٠–٦–١٩٤٨ ، يغيّر « بن غوريون » رأيه فيعلن انه سيحتفظ بكل المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل ..

يعلن « شاريت » في ٣٠–١١–١٩٥٠ انه محبٌ للسلام ثم يقول بعد أيام في اجتماع « حزب المابام » : « أنصح حكومتي أن تشنّ حرباً جديدة على العرب فانها فرصتنا الوحيدة لتحقيق أحلامنا » .

يعلن « بن غوريون » في ١٣–٣–١٩٥٢ : « ان إسرائيل مستعدة دائماً لتوقيع معاهدة صلح مع العرب .. لكنه بعد أشهر قليلة يشنّ مجزرة « قبيته وصيروف » !

ثم يصرح بعد ذلك في مؤتمر الحزب : « انني أقبل بتأليف الوزارة شرط استخدام كل طاقاتنا للتوسع نحو الجنوب » .

يصرح أبا إيبان في ١٣–١٢–١٩٦٦ ان بلاده مستعدة للسلم ، وانه متفائل حول إمكانيات السلام ، وبعد ذلك بأيام يرتكبون جريمة « السمّوع » ..

وبعد ذلك بأشهر يشنّون حرب التوسّع والتحرير (!) .. حرب ذلّتنا وهواننا في الخامس من حزيران المشؤوم ١٩٦٧ !

ويستمر اليوم وغداً الاستهزاء بنا والاستخفاف بمقولنا ، يتباكون على السلم ، ويفجّرون الصراع ..

يريدون سلماً بشروطهم هم وإلا فهم ماضون دون هوادة في مخططات العدوان كما يقول « الجنرال بيرنز » كبير المراقبين الدوليين . السلم الذي يريدوننا عليه هو الاستسلام !

يحاورون ويداورون ويطاولون ، ونحن نلهث وراء السراب ، نؤمن بعدالة الدول الكبرى ، وقدسية ميثاق هيئة الأمم المتحدة .. ونتصعلك على عتبات « الكرملين والبيت الأبيض » !

اسمعوا يا ناس .. يا مخدّرون !

إذا لم نكن ذئاباً، أكلتنا الذئاب، وما أخذ اقتداراً،لا يسترد إلا اقتداراً..
ذاك هو منطق التاريخ في دنيا مجنونة .. وكل منطق خلافه ، خور ، وجبن وانحلال !

تحرّكوا ، اتحدوا ، آمنوا .. انكم ان لم تفعلوا ، لن يبقى وطن، ولن يعبد الله في هذه الأرض !

اسمعوا ما يقوله فينا أحد أصدقائنا « أنتوني ناتنغ » في مقال له « بالصنداي تايمز » بتاريخ ٣٠-١١-١٩٦٩ : « ان مصيبة العرب الكبرى ، هي فرديتهم ، فأنت لو جمعت خمسة منهم في غرفة مغلقة ، لخرجوا بستة أحزاب سياسية ! »

وصديق آخر هو الكاتب الانكليزي المعروف « توم ليتل » يقول في دراسته : « العرب المتطرفون الجُدُد » ، بعد ان يُعدّد أربع عشرة منظمة فدائية ، بقياداتها وايديولوجياتها : « ان الجيوش العربية معدّة في الأصل لحماية نفسها من جيوش عربية أخرى ، بقدر ما تحمي نفسها من إسرائيل » !!

ويقول: « من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٦٧، كان الصراع في الشرق الأوسط، يدور حول شعار واحد هو : هل يجب إنقاذ فلسطين أولاً ، أو الانصراف إلى

الصراعات الايديولوجية ؟ »

ويقول : « تفاقمت الخلافات بين المنظمات الفدائية لأسباب « ايديولوجية » تتعلق بطبيعة ولون الحكم الذي سيقررونه لفلسطين بعد النصر !!

حتى أخونا « القذافي » يقول في خطاب له بتاريخ ٣١-٣-١٩٧٠ : « ان المنظمات الفدائية ، قد وصلت الآن إلى أربعين منظمة ، وتثبت آخر التقارير التي تصل إلينا ، ان عشرة بالمائة من العمل الفدائي ، يوجه نحو العدو ، وتسعين بالمائة يوجه في الداخل ، في تضارب المنظمات مع بعضها البعض وفي تناقضها الواضح مع الأنظمة العربية ، وأريد أن أقول ان هذه الحالة لا تشجع على أن نعطي لجهات لا تقف بما نعطيه في وجه العدو .. ان العمل الفلسطيني لم يصل بعد إلى المواقع التي يجب أن ينقل إليها التخريب والدمار . انه لا يزال يحاول محاولاته المحدودة خارج الحدود .. ثم ان هناك مشكلة اليمين واليسار التي تمزق وحدة الشعب الفلسطيني ، وتضع العمل الفدائي في متاهات عقائدية عقيمة » ..

الأهل والأصدقاء والأعداء .. كلهم يهزأون بنا ويستخفون بعقولنا على السواء ..

وهل دار في خلد عاقل من الأصدقاء أو حتى من الأعداء، اننا سننقل معركة الثأر من اقتتال مع العدو الذي أذلّنا ، ودنّس أرضنا إلى اقتتال بين اخوة السلاح وشركاء المصير !

من كان يصدق ان بعض الدول الشقيقة اللاهثة ، لتنسلّ من القضية وتتخلى عن المسؤولية .. ستلقي بتناقضات عجزها وتقصيرها في الساحة الأردنية .. وتشحذ عزماتها المفلولة لتجهز على الضحية المغدورة !

لماذا يريدون ان يحوّلوا منطلق الثأر إلى منطلق عار ؟

لماذا الأردن ؟ هذا البلد الكريم أهله ، الطيّب ثراه .. الذي لم يسلم لحظة منذ كان ، من لؤم العدو ، وظلم ذوي القربى !!؟

لمصلحة من تحطيمه وتدميره ؟

لماذا ؟ أذلك لأنهم منذ كانت لنا قضية وهم يفتشون عن كبش فداء، ليرمونا

بدائهم وينسلّوا !

وهل ترى تبقى قضية إذا انهار الأردن ، وتفككت أوصاله واندثرت معالمه ؟.. وهل ترى يبقى فداء ؟

من كان يصدّق ان يتحوّل القتال مع العدو لتحرير المقدسات ، إلى اقتتال بين الاخوة على من يحكم عمان ؟!

لقد عشت سنة ١٩٧٠ في لندن ، قلب العالم الغربي ، عاصمة المؤامرة ، فسمعت كثيراً ، وقرأت أكثر ، واطلعت في حدود طاقتي على جذور التآمر الرهيب ..

الأردن وحده هو مثار النقع ، ووقود الثأر ولهب المعركة !

ذلك ان تجمّع كتائب الفداء فيه يقضّ مضاجع الأعداء !

وحمية الجيش الأردني ، فزع إسرائيل الدائم ..

فاضربوا هذا بذاك ، يتعثر المنطلق ، ويخبو الحافز ، وتتميّع القضية ، ولا يبقى لنا إلا الشتات والضياع ، والركض نحو الصحراء !!

وتركت عمان في ٢٧-٩-١٩٦٩ ، والعمل الفدائي ، يربو ويمتدّ ويقوى ويشتد ، ويستقطب مشاعر الجماهير ..

وعدت إلى عمان في ١٥-١١-١٩٧٠ والحال غير الحال ، والمآل غير المآل ، مع الأسف الشديد ..

لماذا ؟ وكيف ؟

لأن العمل الفدائي قد أدركته لعنة الخلافات العربية وسُبّة التمزّق العربي .. وهل العمل الفدائي إلا صورة للواقع العربي ؟

أصبح هو أيضاً مجتمعاً مصغّراً لمجتمع الكراهية الكبير ..

أربع عشرة منظمة ، لكل منها هوية ، ولكل منها ايديولوجية ..

المنظمات الكبيرة لا تلتقي عند هدف ، ولا تجتمع على خطة ..

والمنظمات الصغيرة ، تبحث عن وجود سياسي لا نضالي ، وعن اسم في

أعمدة الصحف لا في ساحات القتال، كما يقول الكاتب المصري أحمد بهاء الدين..

وكنت رجوت وأمّلت في كتابي « المؤامرة ومعركة المصير » ان تنصبّ كافة المنظمات في الإطار الفكري والنضالي لمنظمة « فتح » لأنها أقدم وأكبر، وأبرز المنظمات، وقد عرفها الناس بآثارها الفعليــــة، لا بثرثراتها المذهبية وحذلقاتها « الايديولوجية » ومراهقاتها الفكرية .. ولأنها قبل كل شيء وبعد كل شيء، تنتمي إلى قضية مصيرها، ولا ترفع إلا شعار التحرير !!

ثم جرفت المزايدات ولعنة الخلافات، وشهوة القيادات والزعامات كل شيء..

وكانت محصلة الضياع، ان انتمى إلى المنظمات كل من هبّ ودبّ وتحت شعارات البورجوازية والبروليتاريا، وحرب الطبقات، وتصنيف المقاتلين .. وكل ما عرف وما لم يعرف من سلبيات وتشنّجات ولاأخلاقيات الثوريـــة والرجعية، سلّحنا المسحوقين، والغوغاء والجهـــلة، دون تثقيف سياسي، وبانسلاخ كامل عن القيم الروحية، وحوافز الثأر، وروادع الدين .. وقذفنا بهم في الشوارع لا عند الحدود .. يزرعون أحقاداً، ويغرسون فساداً، ويمزقون الوحدة الوطنية، ويدوسون كرامة المواطنين ..

وبين فكـّي كماشة: نظام يريد أن يحمي القانون، ومنظمات، تزعم انها تحمي ثورتها .. امتلأت الرّبى بجثث الأبرياء، وسالت مع الدمـاء المهدورة، كرامة الأمة وأمجاد تاريخها !!

ورافق ذلك الهرج والمرج، ميوعة حكم، وفساد ساسة، وفوضى منظمات.. وإسراف بعض الشقيقات اللدودات، في التزاماتها قولاً لا فعلاً نحو هذا الفريق أو ذاك، لنحمي واقعها المهزوز، فلا هي استقام لها ما أمّلت، ولا هي وفت بما وعدت .. بل أقحمت العمل الفــــدائي في المساومات السياسية والمزايدات الكلامية، واستمرارية مظاهر البذخ والترف .. والاستنامة على أقدام لافتات: لا سلطة إلا للمقاومة .. وانها لثورة حتى النصر !!

وكانت مؤامرة شرسة، وفتنة ضارية اختلطت فيها دماء الأحبة وتقطعت معها أواصر القربى، صاغها وهندسها وخطـّط لها العدو ومن وراء العدو،

ومن ساهم مع العدو منا عن علم أو عن جهل .. وكان هدف المؤامرة تصفية المقاومة ، وتمزيق الجيش العربي ، وتدمير المنطلق .. وتخلّي الشقيقات عن المسؤوليات والارتباطات والالتزامات ، ليخلو الجو لإسرائيل !!

ـ ١١ ـ

المسؤولون العرب .. أين هم من حقيقة المسؤولية

يخطر للمرء أحياناً أن يتساءل :

كم من المفكرين العرب قد قرأوا « التلمود » ، وعرفوا ما تخطط الصهيونية ليس لهذه المنطقة وحدها بل للعالم كله ..

من منهم قرأ « بروتوكولات حكماء صهيون » بتمعّن وروية ووعي ... فهي ، مهما ادّعوا زيفها ، صورة مصغرة لدستور « التلمود » .. الذي يجوّز القتل والبغي.. والسلب والنهب والظلم والعدوان، في سبيل إسرائيل ومصلحة إسرائيل ! ويحضّ على تدمير كافة المؤسسات البشرية والمفاهيم الإنسانية ، والمبادىء والعقائد والأخلاق والأديان ، ليبقى أصحاب « البروتوكولات » !

هم وراء الانهيار الاجتماعي في العالم..وراء انحرافات الطلاب..وراء الجرائم الأخلاقية .. وراء تيارات الفساد والإلحاد .. وعصابات « المافيا » وأندية الدعارة ، وبؤر المخدرات !! وتحطيم الطاقات الفعالة في الشعوب !

يملكون المعرفة ؛ ويملكون المال ؛ ويملكون وسائل الدعاية .. ويتحكمون

في أقوى وأغنى الدول ، ويتسلّطون في كل مجتمعٍ ونادٍ !

وبعد قيام إسرائيل ، سقطت كافة الأقنعة ، وانكشف السحر والساحر.. تقهقرت أمام زحفهم الحضارات ..

واليوم .. تواجه الحضارة الإسلامية ، التحدّي الكبير !

ويتعلّق أمل الدنيا وخلاص البشرية بالإسلام !

فإذا انكفأت تلك الحضارة أمام ذلك الزحف ، فعلى الحق والخير في الدنيا السلام .. وسيبنى مجد إسرائيل القذر على جماجمنا وأشلائنا !

ونحن .. مـــا نحن ، ومن نحن ؟.. نواجه التحدّي بالتخلّي عن أمضى أسلحتنا في المعركة ، ونقف عارين ضالّين تائهين ضائعـين ، ننهش لحم قتلانا ، ونُسقى دم ضحايانا ، ونعيش صرعى شعارات منخوبة مجلوبـة ، مخدّرين ؛ منوّمين ؛مسوقين إلى الذبح كالخراف !

وما نسوقه في هذه الأحرف الكئيبة ، هو صرخة الفجيعة ، وصيحـــة النذير ، وآخر وتر القوس ، وبقية أقباس الرجولة .. كلها تصيح : لا رجاء إلا بالرجوع إلى الإيمان !

ويتساءل المؤمنون : الأمر ، ويحكم ، أوضح مما نُدلي به وندلّ عليه .. فمتى نصحو ؟.. ولماذا نظلم رسالتنا ، ونحن آخر موارد الدنيا إزاء الغزو الكاسح ، والمدّ الضاري ، والمبادىء الهدّامة !

كم ذا نقول : لماذا ؟ وليس من مجيب !

أرأيت أمة قبلنا تتآمر ضد مصالحها وقضايا مصيرها ؟

أرأيت أمة قبلنا ، تكشف مقاتلها للأعداء ؟

أرأيت « إعلاماً » يماثل إعلامنا ، تفاهة وفهاهة وانحداراً !

ليس في ملكوت السموات والأرضين ساسة كساستنا تتحوّل قضيتنا المقدسة في أيديهم إلى لعبة بلهاء وتسلية حمقاء ..

معظم المتصدرين للافتاء ، يفكّرون بحقارة ، ويعملون بحقارة، ولا يصدر عنهم إلا ما يُضفي على حقارتهم بريق الشهرة التافهة والطموح السخيف !

نقول ما لا نفعل ، ونهجم على ما نجهل ، ونذبح الشرف كل صباح !

بعد حرب الأيام الستة ، عرف الناس بمغامرة إسرائيل في توجيه كافة قواها الجوية إلى مصر .. وقال جميع الملـقين الأجانب : ان مغامرة إسرائيل تلك كانت جنونية حقاً وانها خالفت بما صنعت بدائيةَ العلوم العسكرية .. حين كشفت أجواءها ومطاراتها للطائرات العربية في الجبهة الشرقية ، وان العرب لو أحسنوا استغلال الساعات الأولى من صباح الخامس من حزيران المشؤوم سنة ١٩٦٧ ، لتغيّر وجه المعركة ، ولاستطاعت تلك الطائرات قصف المطارات الإسرائيلية العارية من كل حماية ، فلا تجد الطائرات المعادية المغيرة على مصر ، مكاناً سليماً تحطّ فيه ..

لكن متى كنا نعرف كيف نستغل فرصة ، وكيف نضع خطة ، وكيف نتّقي الحدثان .. وهل أبقى لنا مجتمع الكراهية ومناخ الحقد بين الدول العربية التي دخلت الحرب وهي مجهّزة بمرارة ضغائنها « فقط لا غير ».. أقول: هل أبقى لنا ذلك حقاً نلتقي عنده ، أو خيراً نتفق عليه ؟!

ثم شاء حظّي التعيس أن أطّلع على مقالة كتبها « الجنرال « هرتزوج » مدير الاستخبارات العسكرية إبّان الحرب، منشورة في مجلة «جروزاليم بوست» بتاريخ ٢١–٣–١٩٦٩ ، كشفت ما غفل عنه الملقون !

لقد وضعت استراتيجية المغامرة الجنونية على ضوء مقال كتبه السيد « حسنين هيكل » يوم الجمعة ٢–٦–١٩٦٧ ، قلب الخطة الإسرائيلية رأساً على عقب !

وإليك ملخصاً لمقال « هرتزوج » أسجله لمن يقرأون ، ان بقي فينا من يقرأ .. ويفهم ما يقرأ ..

قال « هرتزوج » : « كتب السيد حسنين هيكل في الأهرام بتاريخ ٢–٦–١٩٦٧ مقالاً يبسط فيه رأي السلطات العسكرية المصرية العليا ، ويعلن ان الاستراتيجية المصرية في شلّ أي هجوم إسرائيلي مفاجىء ، ستتركّز في جرّ إسرائيل إلى حرب استنزاف طويلة الأمد في رمال سيناء، تُكره إسرائيل

على الجثوّ على ركبتيها بسبب مضاعفاتها الاقتصادية ..

ومن المعلوم ان استراتيجية هيكل العسكرية تلك ، وان لم تؤتِ ثمارها على الوجه الذي توقّعه ، فقد أعطتنا الدليل القاطع على تفكير الأجهزة المصرية العليا .. وأملت علينا أن نرسم خطة حربنا على أساس مقامرة حاسمة ، وضربة قاضية ، وهكذا كان !

وفي مقالات هيكل بعـــد الحرب ، مضى يلقي الأضواء الكشافة ، على استراتيجية العرب الجديدة للمعركة القادمة ، حاثاً على إنشاء الجبهة الشرقية ، لتخفيف الضغط عن الجبهة الغربية في منطقة القنال قائلاً ان على العرب في تلك المعركة ان يوجّهوا الضربة الأولى لإسرائيل على الجبهتين معاً ، لتفتيت القوى الإسرائيلية . ويلحّ من جهة أخرى على ضرورة توحيد المعركة الجوية ، لتستطيع الطائرات المصرية ، الضرب بعمق من مطارات الجبهة الشرقية ، إذ يتعذّر عليها ذلك من الجبهة الغربية نظراً لامتداد صحراء سيناء.. ويكرر نفس الاستراتيجية التي كشف عنها النقاب قبل الحرب بأيام ، بأن هدف المعركة سيكون استنزاف القوى الإسرائيلية لمدة شهرين على الأقل كما يتنبأ ، بعـد إيقاع خسائر كبيرة في الضربة المفاجأة الأولى .

وغنيّ عن الذكر ان إسرائيل ليست بغافلة عن هذه الاستراتيجية العربية الجديدة ، وهي قادرة على مواجهـــة كافة التوقّعات والاحتمالات . وسيسهل عليها كما سهل في الماضي .. ان تغيّر خططها على أساس ما يتفصّح به «هيكل» « بغباوة » ، وتبني استراتيجيتها الرادعة على أساس غفلة عدونا ! وفي اعتقادي ان هيكل قد عكس في مقـالاته تلك ، تفكير « عبد الناصر » العسكري في هذه المرحلة ، وقدم لإسرائيل وثيقة هامة عن اتجاهات العسكرية العربيـة ، وكل ذلك لا شك ، سيشدد من موقفنا الحازم المصمم من قضية الحدود الحالية ، والحدود الآمنة !! »

انتهى قول « هرتزوج » !

وأتساءل والألم يعصر قلبي : هل عرفتم في الدنيا كلها قائداً يكشف خططه

للأعداء ؟ ويرسم لهم مسبقاً ، استراتيجيته العسكرية ؟

ويكشف هيكل في صراحته الأسبوعية يوم الجمعة ٢٠-٩-١٩٦٨ ، ما تشاء إسرائيل وما لا تفكّر وتقـدّر ، من أسرار الاستراتيجية العسكرية المصرية ، خبط عشواء ، دون سبب مفهوم ، فيضمّن مقاله عرضاً شاملاً للشؤون العسكرية ، ودور الجيش الشعبي ، والجيش النظامي واختصاصات كل منهما في المعركة المقبلة ، ويعلن بكل بساطة ، عدم إيمانه بالحرب الشعبية ، وعدم إيمانه بدور الفدائيين في الجبهة الغربية ، لأن سيناء غير صالحة جغرافياً للعمل الفدائي وانه يكون فيها نوعاً من الانتحار اليائس – كأنما العمل الفدائي نزهة وفسحة – ولم تمضِ شهور حتى ثبت بالدليل الحسي بطلان ما ذهب إليه ، فأقضّت المنظمة المصرية الفدائية مضاجع العدو ، وأبلت فيهم أحسن البلاء !!

هكذا نحن ، نخوض متشدّقين فيما نحسن وما لا نحسن ، ويهجم كتّابنا بتعاسة على ما يجهلون ، وكل همّنا أن يرى الواحد منا مقاله من الغداة مذيّلاً باسمه واسم أبيه !!

أجل يا أخي ، لقد كانت حرب استنزاف حقاً ، لكن استنزافنا نحن .. وقد كنا وحدنا الراكمين !

إلى متى يا رب هذا الضياع !

أما عن ساستنا ، فحدّث ولا حرج !

هم سقط المتاع في مجتمع الكراهية !

لقد خلت الساحة من الأشراف ولم يبقَ فيها غير ذوي النزوات والشهوات من الغثاث !!

لقد لامني بعض أصدقائي على ما قلته في كتابي « المؤامرة ومعركة المصير » عن بعض أحلاس المكاتب الفارهة الذين يسمونهم سياسيين ، ولم تزدني والله أربع سنوات مضت على إخراج تجربتي تلك للناس ، إلا إيماناً بكل حرف قلت .. وكأنني أنقل المسطور في الواقع الأسود من وراء الغيب !

لقد قلت :

« ان بعض أقطاب العمل السياسي في الأردن كزملائهم في بقية الأقطار العربية . فيهم المغامر الصلف غير المؤتمن .. وفيهم أدعياء معرفة ومروءة ووطنية، لا يساوون ثمن هذا الورق الذي أكتب فيه، خير ما فيهم ولا خير فيهم، إتقانهم نهش الأعراض، وتجريح الحرائر، والتشدّق بهجر القول، والتمدّح بوقاحة السمت .. يغشون المجالس بالنكت السمجة، والظلّ الثقيل، ويغطون الصفاقة بالتدليس والنفاق .. وفيهم ذوو نفوس رخيصة في سوق النخاسة .. بدراهم معدودة تستطيع أن تصطفي ما تشاء منهم عملاء وأذناباً .. وقد جهلوا لتماستهم ان الأصالة تنبع من الذات ولا تشترى بالعمالة .. ولو ارتدوا ألف ثوب من الوطنية الزائفة، وجاؤوا من الخارج بمليون شهادة حسن سلوك، يوارون بها خزيهم وصغارهم، ويسترون بها ما يقترفونه في الداخل من جرائم خلقية، وفساد وسرقة، وتشجيع على التآمر، والمتاجرة بمصلحة البلد كلها، ذلك ان الشرف لا يتجزّأ، والخلق لا يتجزّأ، والوطنية لا تتجزّأ، وهي صنعة نفس، لا بضاعة تشرى وتباع، فمن كان متهماً في ذمته، صغيراً في مروءته، خائناً في انتمائه الداخلي، وعمله المسلكي، لا يكون كبيراً في انتمائه الخارجي وعمله القومي !! »

وأسأل، وفي الصدر علّة، هل تغيّر الوضع اليوم .. هل غيّرنا ما بأنفسنا ليغيّر الله ما بنا ؟!

أعطيك مثلاً واحداً من الأردن، والحال هو الحال في كل بلد عربي لا فرق بين « شهاب الدين » وأخيه، حذو النعل بالنعل !!

في جلسة مجلس الأعيان الأردني يوم ٩-٣-١٩٦٩، لمناقشة موازنة الدولة، موازنة المعركة .. تبارى الخطباء من الأعضاء في فضح سخائم الحكومة .. وأشاروا بالأرقام والوثائق إلى السرقات والرشوات والمحسوبيات والصفقات والتفريط في أموال الدولة .. واجتراء على الحق، وإعانة على الفساد ولم يتركوا زيادة لمستزيد .. وكل تهمة من هذه لو صحّت، جرم مشهود يستحق أقصى عقوبة في ظروف عادية، بله ظروف استثنائية ..

ووقف رئيس وزراء سابق ، فوصف الحكومة بأنها « قد ميّعت دور الأردن الطليعي كقاعدة أولى ورئيسية للتحرير ، وحوّلته إلى عالة فكرية في السياسة والنضال .. وتبعية سلبية قوامها الكسل واللاأبالية ، مع تغطية العجز بالاحتماء وراء مفهوم انتهاج الخط العربي .. ولذا خلقت جهازاً يروّج ان كل نقد للحكومة ، هو نقد للصفّ العربي ، وكل خصم لها هو خصم لذلك الصف ، وافتراض ان ذلك يشكل وثيقة غفران تسهل ارتكاب كل فساد .. وروّجت التشكيك والتشهير بكل سياسي في البلد ، وأبرزت ما زعمت من نزاهة الرئيس وصحبه ،الذين تركـّزت فيهم وحدهم كافة الفضائل الشخصية والقومية ، وممارسة الحكومة أسلوباً تدميرياً هداماً يستهدف تقويض البلد واعتبار الأردن مادة مستهلكة حتى ليصرح الرئيس انه لو وجد الأردن يحترق لما كلـّف نفسه مؤونة سكب قدح من الماء عليه..ويقول لمجلة مصرية ان أي اعتداء على الأردن أو هزيمة له لا يشكلان خطراً على النضال العربي .. ولذا فهذا حكم لا يخدم الأردن بل هو مؤامرة عليه ، ونهب لموارده .. هو حكم هزيل لا هيبة له ولا طاقة له على التفكير ، ولا قدرة على العمل ولا مسؤولية أمام التاريخ » !

فوقف رئيس الوزراء المتهَم ، لا ليرد على التهجـّمات الوثائقية الخطيرة .. بل ليقول بالحرف الواحد: ان ما ذكره السادة الأعضاء هو مفتريات أمرّ عليها مرور الكرام — هكذا والله — !

ثم اتجه بكلامه نحو الرئيس السابق الذي يزاحمه على السلطة ، هان الطالب والمطلوب .. وقال بالحرف الواحد أيضاً :

« الكل يعرف ان الأردن كان في زمن حكومة (فلان) — وأنا أعف عن ذكر الأسماء ، وأحجم أن أمسّها بقلمي فتتهتـّك — يسير بسياسة انعزالية تآمرية معروفة في كل وقت تولـّى فيه مسؤولية الحكم .. وانني أتساءل : أين كانت تصرف أموال الأردن .. وأجيب : كانت تصرف على المتآمرين الذين كان يأتي بهم من هنا وهناك .. ومن منا لم يشاهد على شاشة التلفزيون السوري ، النقود الأردنية يعرضها ويفضحها من حصل عليها من يد « دولته » بالذات ،

ومن منا لم يسمع بقضية الشبكات الموقتة من أجل المؤامرة ولمصلحة المتآمرين.
وكلكم تذكرون ، ان فلاناً هذا في عهد حكومته طلب من شخصين مسؤولين كبيرين سحب ثلاثة ملايين دينار من احتياطي الدولة للتآمر على دولة شقيقة !
ومن منا لم يسمع تصاريح الدبابات المنسوبة له .. فإذا مرّت على هذا البلد فترة سوداء داكنة من الحكم البوليسي الاستخباري ، فهو زمنه .. وعندي الكثير ، الكثير ، ولكنني أكتفي بما سلف رداً عليه » !

وجلست بعد سويعات إلى مذياعي ، وأدرت المفتاح على محطة إسرائيل ، فإذا بالمعلّق يهدر : « أسمعتم يا أبنـــاء الضفة الغربية ما دار في جلسة مجلس الأعيان .. انظروا إلى من حكموكم عشرين سنة ، كيف يتراشقون التهم المخجلة؟ وأقلّ ما يصف به أحدهم الآخر : انه عميل وخائن ومتآمر ولص ؟؟ »..

مجتمع الكراهية والحقد والانحلال ، بين الخاصة والعامة على السواء ! هَمّ الحاكمين السلب والنهب ، ومظاهر الأبّهة الفارغة .. وهمّ المحكومين صنمية ووثنية ونفاق ، والوصول من أهون طريق ..

غاية المراد من رب العباد ، عند الرؤساء ، عبيد الشهوة ، عشاق أنفسهم ، وردة كبيرة ترشق في الصدور ، وسيكار فخم يُحمل بين الأصابع .. ومواكب صخابة تحفّ بهم طبولها و « زماميرها » وبوقاتها .. وإسرائيل تدق الأبواب ، وتقتحم الحدود وتفتك بالمواطنين !!

حتى الألفاظ ماتت على أفواه الساسة وفقدت معانيها ..

نتغنى بالوطنية ولا وطنية ، وبالإخلاص ولا إخلاص ، وبالحرية والوحدة والاشتراكية ، ولا حرية ولا وحدة ولا اشتراكية .. ونقول الحياة الأمثل .. ونحن نعني الحياة الأحطّ والأسفل ! نحن عبيد أنفسنا ، ثم عبيد غيرنا ، ثم عبيد عدّونا .. نتمرّغ ونتزلّف ، ونساوم ونزايد ، ونهزل .. وعدونا يبني ويجدّ !

في نفس اليوم الذي أصدر فيه « أبا إيبان » كتابه الضخم : «My People» كان بعض ساستنا يقتلون الوقت بنظم الأغاني ، وتدبيج الأشعار !

وكانت « الهستريا » — حقيقة لا مجازاً ، تضرب الشعوب العربيـــة باللوثة

والجنون من «المحيط الهادر إلى الخليج الثائر» حزناً على الفقيد الكبير عبدالناصر !

لقد حزنا حقاً على الرئيس الجليـل ، بكبرياء الصمت ، وولـهِ المعرفة كما فعلت الأمة الفرنسية وهي تودّع منقذها ومجدّد مجدها الرئيس « ديجول » !

يحزن الناس لكن لا يصابون بالدوار، ولا يقولون ما يغضب الله، ولا يصفون الراحلين كفراً ، مهما علا شأنهم ، « بخاتم الأنبياء » !! وهل تصدق ان بعض الملاحدة من حملة الشعارات لم يزدجروا عن إطلاق الرصاص على المآذن للانتقام من الله !!

ألا لعنة الله على أمّة تموت بموت رجل وتحيا بحياته !!

ثم هل تصدق ان أمة تصيبها مثل هذه اللوثة إذا غنـّت أم كلثوم ؟ وان غناء هذه السيدة قد أصبح أفيون الأمة العربية الذي يدغدغها بالخدر والعربدة والدوار !

لقد شهدتُ أم كلثوم على شاشة التلفزة تغني « أعطني حريتي أطلق يديّا » والجماهير المحتشدة بالألوف ، لا تخلع عذارهـا فحسب ، بل تخلع ثيابها وتخلع حياءها ، وهي تمضغ أوهامها مع « الحشيش » وتنتظر من يشفق عليها فيطلق يدها ويعيد حريتها ، بعد ان فقدت إرادة النضال !!

وهل سمعت قبلنا بأمة تغني للحديد والصلب والمشاريع والسدود والمذاهب والنحل ، حتى لقد سمعنا أخيراً من يتغنى لنا بقصيدة « ثورية » تقول : يا عدو الاشتراكية .. يا عديم المسؤولية ! ولست أفتري والله !

هل تلك أمة جادة تريد أن تقاتل ؟!

أتريد مزيداً عن سفسطة القادة والسياسيين ؟

يُسأل وزير خـــارجية الأردن — الأنوار في ٢٢—١—١٩٦٩ — عن رأيه الحصيف في التحرك الدولي حينذاك ، فيقول لا فُضّ فوه : « انه تحرّك مفيد وبنّاء .. إذ ان التهديدات الإسرائيلية قد فقدت أقل عناصر الأخلاقية فيها .. وان عدوانهم الغادر قد جاوز كل حدّ » ..

يطلب من إسرائيل أن تتمسك بالأخلاقيات ..

ويسترحمها أن تشفق فلا يكون عدوانها غادراً !!

ويقول الوزير لتلفزيون القاهرة : « العدو يتكبّد خسائر فادحة يومياً ، وأنا أحب ان أقول للعدو : « معركتنا هي من يضحك أخيراً » ! وأذكر انني كتبت للوزير الصديق حينذاك أقول : ليت هنداً أنجزتنا ما تعد .. ألا من يعطني لذة الضحك لذّة الثأر والانتقام مرة واحدة ، ويأخذ حياتي ..

وعندما سئل الوزير عن الجهد العربي لكسب مزيد من الدول إلى جانب القضية العربية ، قال ، طيب الله أنفاسه : « ان إسرائيل توفر علينا هذا الجهد بأعمالها وسياستها العدوانية ، وقد ظهرت حقيقتها ، وهي انها مجرد عصابة مسلحة ، ليس لها مقوّمات الدولة التي تستحق التقدير والاحترام ، ومن هنا فهي تخسر كل يوم احترام دول العالم بما فيها الدول الكبرى نفسها » !!

هي تخسر احترام العالم بمنفوانها واستعلائها ..

ونحن بذلنا وتماسننا نستحق احترام العالم ؟؟

كل زياراتنا واجتماعاتنا ومؤتمراتنا ورسلنا ورسائلنا .. هي في زعمنا مثمرة للغاية ، وهادفة وناجحة ، تساعد على نمو الطاقة العربية والتحام جبهة الصمود .. والشعوب تسمع جعجعة ولا ترى طحيناً .. وتقف مشدوهة ذاهلة .. تتساءل : أين الطاقات العربية ، وأين الخطط العربية وأين الجبهات الشرقية والغربية ، وأين معركة الصمود وقضية المصير !

أنتم يا عارنا .. يا عار أمتنا وملتنا ، دلّوني على شرّ لم تصنعوه ، وخزي لم تفعلوه ، وكرامة لم تفرّطوا بها ؟ « إذا أردنا أن نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحقّ عليها القول ، فدمّرناها تدميراً » ..

*

وتنثال عليّ الذكريات ، وأنا أسرد الأمثلة وأسوق الدلالات ..

يقول أحد رؤساء الوزارات في عمان لمراسل « المصوّر » ، وهو واحد من رؤساء كثيرين في دنيانا العربية الحزينة .. تشابه علينا البقر !.. يقول : ان

وجوده على « غارب » الحكم في الأردن ضمـــانة للخط القومي ، وانه رسول العناية الإلهية لموقف الصمود ومعركة المصير.. ويؤكد هذا البَهت الذي يغضب الله ، بأن اختياره للتسلّط في تلك الظروف السود – السود حقاً وصدقاً – هو إلهام من الله ووحيٌ يوحى ! ثم يُسأل عن مشاكل الأردن ، وخلاف السلطة والمنظمات ، فيقول : « لا علم للحكومة بذلك ولا دخل لها فيه ، بل هو خلاف شخصي بين الملك والجيش من ناحية ، والفدائيين من ناحية أخرى !..

أما هو فرئيس وزراء ببطانة وأقرباء وأنسباء ، لاقتسام أموال التعبئة والاحتشاد !..

يذكرني هذا السَفَه بقصة « أبي جعفر المنصور » حين وقف يوماً خطيباً في جماعة من الأعراب فقال : « أيها الناس ، احمدوا الله على ان وهبني لكم ، فانني منذ وليّت أموركم ، أبعد الله عنكم الطاعون ! » فقال له أحد الحاضرين : « ان الله أكرم من أن يجمع علينا الطاعون والمنصور » !

ويذكرني بقصة ذلك الوالي الذي وقف يخطب الناس فأرتج عليه ، فمكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عِيّاً ولؤماً ، من أخذ شاةً من السوق ، فهي له وثمنها عليّ !

ويا الله .. ما أكثر ما يجمع على الناس في بلادنا العربية المسحوقة من عِيٍّ ولؤم وفساد وإلحاد ، وعمالة وخيانة .. والمخفي أعظم ، والله المستعان على كل بلاء !

يا الله .. حتى القِيَم قد باخت ونصلت في أيدي الساسة والمفكرين فمن البدع التي أصبحت معروفة مشهورة ، انهم اخترعوا شيئاً جديداً في تاريخ الإنسانية أسموه : « الأخلاق الثورية ، والشرف الثوري ، والحل الثوريّ .. والحرب الثورية ، والمصير الثوري » ! ولعلهم يقصدون كما يقول صديقنا الأستاذ محمد أحمد محجوب – بالثورية ، مؤنث « ثور » !! ولكنهم نسوا أو تناسوا ان يقولوا : « البهتان الثوري ، والنفاق الثوري ، والفساد الثوري ، والإلحاد الثوري ، والتآمر الثوري » إلى آخره .. إلى آخرها !

وحين تدعوهم إلى الوحدة الوطنية والجبهة القومية لمواجهة المصير الواحد الذي لا خلاف عليه،يقولون لك: ان الوحدة التي يفهمونها يجب ان تكون تحت قيادة « الحزب » وأوامره ، وما دام هناك شيء اسمه الشرف الثوري ، فأعضاء الحزب هم وحدهم الشرفاء !!

كل فردٍ من الرعيّة عبد ومن « الحزب » كل فرد أمير

*

ويأتينا رئيس وزراء آخر .. يعلن ببساطة في أول حديث له انه امرؤ مملوء بأحقاده ، وانه يرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وانه لصاحبها !.. ويقول في بيانه الوزاري : ان القبول بقرار مجلس الأمن أو بادرة « روجرز » لا يعني ولا يجب ان يعني المساس بالحقوق الأساسية المقدسة للشعب للفلسطيني..

ويسأل الناس : كيف يكون صلح ، على الوجه المطروح ، ويبقى معه حق أساسي مقدس للشعب الفلسطيني !.. وكم وددت لو أعفينا القداسة من هرطقتنا وتجديفنا !!

ألم تقرأوا الفقرة (ب) من المادة الأولى من القرار التي تقضي بإنهاء جميع حالات الحرب مع إسرائيل ؟ واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي ، وحقّها في العيش بسلام في حدود آمنة ، معترف بها وسليمة من التهديد أو استخدام القوة .. والفقرة (ج) من المادة الثانية التي نصّت على ضمان السيادة الاقليمية ، والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة باجراءات مضمونة دولياً ، كإقامة مناطق مجردة من السلاح ، وتمركز قوات دولية لضمان تطبيق القرار ؟؟..

معنى ذلك بالقلم العريض ، الاعتراف الكامل الدائم بإسرائيل والرضوخ خطوة بعد خطوة لما ستمليه علينا إسرائيل، ومن وراءها من حدود آمنة تقتطع بها أجزاء أخرى غالية من ترابنا ، وكل ضمان دولي هو ضحك علينا، وتكريس لاقتحام إسرائيلي جديد يقتطع أشلاء أخرى من بلادنا ومقدساتنا ..

وقد عشنا لنرى ان بعض المسؤولــين العرب يطوفون بالدول الكبرى يستجيرون بها لإرسال قوى « احتلال » لتحمينا من إسرائيل !!.. وقرأنا في الأهرام ان منظمات المقاومة تقول أيضاً مثل ذلك القول .. ثم نقرأ من الغداة تكذيباً صادراً عن اللجنة المركزية للمقاومة يؤكد القول ولا ينفيه ان لم يكن بلفظه فبمعانيه !! ومن يعش يره ، ولا تستغرب شيئاً مما نفعل أو نقول !

ونعود إلى بيان الرئيس حيث يقول : « اننا عازمون على المضيّ في التعاون العربي — كأنما هناك تعاون عربي قائم وموجود ، ونحن نعلن العزم على المضيّ فيه —وان سياسة الحكومة تجاه الدول العربية الشقيقة تقوم على الثقة والاحترام والأخوة الصادقة » ..

ولو صدقنا أنفسنا وشعوبنا لقلنا لهم بصراحة ان سياسة الحكومات العربية كلها دون استثناء تقوم إزاء شقيقاتها على الحقد والكراهية وفقدان الثقة .

ثم يقول الرئيس : « وستسير الحكومة في هذا المجال— أي التعاون العربي— على هدى قرارات مؤتمرات القمّة المتعاقبة ، ووفق ميثاق جامعة الــدول العربية » !! مرحى ! مرحى !

هل بقيت قمم ومؤتمرات .. أما ذكر ميثاق الجامعة ، فهو مضحك حقاً ، ولعل الرئيس قد أورده ، للسخر وللتفريج من سأم المجتمعين ..

أين الجامعة ؟.. وأين ميثاق الجامعة ، اسأل أي مواطن عربي يقل لك : كان هناك مؤسسة ، ولدت سقطاً اسمها الجامعة صنعها لنا الاستعمار ، وألهانا زمناً بمشاحنات ، وتناقضات الطواغيت والسلاطين ، حتى استوت المؤامرة .. ثم كفناها ودفناها ، دون أن نقرأ عليها الفاتحة ! وهل يستنجد عاقل بالرمم البالية !؟

ثم يقول الرئيس : « والحكومة ستولي عناية خاصة لعلاقات الأخوة مــع الدول الإسلامية » .. حسن ! لكن لماذا ؟ وكيف ؟ ليس لأن ذلك قدَرُنا التاريخي الذي لا بقاء لنا من دونه ، وحتميتنا الأبدية التي لا محيد لنا عنها .. وليس لأن ذلك هو وحده داء ضياعنا ، ودواء كوارثنا .. كلا ! بل لكسب

مزيد من الدعم لقضية فلسطين، والمعركة ضد الصهيونية والاستعمار.. أو كما قال!

مفهوم الاخوة الإسلامية عند الرئيس، كسب دعم لقضية، فإذا انتهت القضية – على خير ان شاء الله، حين يقيّض لها عظيم كصلاح الدين – لا تبقى حاجة لأخوة إسلامية ؟!!

ثم يقول الرئيس: يجب ان يقوم وراء عناق البندقية في يد الجندي والفدائي، هناك على خط النار، عناق المعول في يد أسرة الفدائي والجندي، هنا على خط الاعمار والبناء..

كلام حلو.. نسأل الله أن يجعله زادنا اليومي ودستورنا الدائم.. ونضرع إليه تعالى ان لا يكون كلاماً نضعه في مناخل الشهوة والغرور، فيذهب ما ينفع الناس، وتبقى الحثالة وزبد التيار..

ونصبح حينذاك مصداق قول رسول الله: « أبعدكم منازلَ مني يوم القيامة المتشدقون المتفيهقون، أقماع الحديث »..

ومصداق قول الشاعر:

وكنتِ كذبّاح العصافير جاهداً   وعيناه من وجدٍ عليهن تهملُ
فلا تنظري ليلى إلى العين وانظري   إلى الكفّ ماذا بالعصافير تفعل!

ثم كانت خاتمة المطاف، ما أسموه « الندوة » الفكرية في نادي الاردن منتصف شهر كانون الثاني، ولست أدري لماذا، وكيف، ألبسوها برغمها لباس الفكر.. لماذا لم يسموها ندوة الجدل الدجلي والعهر الفكري والتعاسة الوطنية.. دعوا إليها ليعلن فيها: انه هو الآخر رسول العناية الإلهية الجديد الذي لا تعتدل بغيره مسيرة، ولا تزكو بغيره عدالة ولا تستقيم من دون بركاته أخلاق!

ويعلو صخب النقاش فيكون كله هراء، وتظل الحقيقة.. الحقيقة البسيطة تائهة ضائعة، حتى إذا قام في القوم من صرخ في وجوههم بحرارة وصدق وإيمان: اتقوا الله يا ناس، ان كل ما تتضحون به باطل وضلال.. ولو عقلتم لوجدتم

الشفاء أقرب إليـــكم من سواد أعينكم .. عودوا إلى دينكم ، اننا إلى حوافز الإيمان أحوج منا إلى شطحات الفكر الضحل ، ونزوات العقل المجدب .. حتى إذا قام من يقول لهم ذلك ، أداروا له ظهورهم ، وقلبوا له شفاههم ، وجعلوه سخرية الندوة ، وأخذوه مأخذ الهزل .. واستخفوا بمـا قال فما عقّبوا عليه بحرف ..

وكانت محصّلة الندوة التأكيد على ان هزيمة ذلنا مؤبّدة مؤكدة ، وان الجهاد ضلال .. وان معالجة تمزق الصف داخلياً وعربياً هو حلم حالم.. ولا يبقى لنا إلا ان نعزل أنفسنا ، إذن ، في الساحة الأردنية ، نلعق جراحنا ، ونغسل دمـــاءنا ، ونبحث عن الأمن والطمأنينة للمواطنين ، الذين – كما قال الرئيس الجليل – كادوا ان يكفروا فيفضلوا الاحتلال !!..

الاحتلال الإسرائيلي طبعاً ..

وان بين ظهرانينا ما يزيد على ألفي جاسوس إسرائيلي !! هكذا قـــال الرئيس !!

حلف رجل بالطلاق ان الحجاج في النار ، فأتى ابن شبرمة يستفتيه ، فقال: يا ابن أخي امض فكن مع أهلك ، فان الحجاج ان لم يكن من أهـل النار فلا يضرّك أن تزني !

وأنا كذلك أحلف بالطلاق ان معظم الساسة العرب في النار !

*

ثم أرجو ان تنظر معي يا أخي القارىء في مقررات مؤتمر المحامين العرب العام المنعقد في دمشق في ٩–٩–١٩٦٨ .. أختارها لك كيفما اتفق من مؤتمراتهم التي يصفع بعضها بعضاً ومقرراتهم التي يبصق بعضها على بعض ، لتحلف معي ان معظم رجال الفكر عندنا هم كذلك في النار !!

تقول القرارات :

وأكّد المؤتمر استنكاره للجريمة الانفصالية في سوريا .

وحيا موقف الشعوب والحكومات الاشتراكية وعلى رأسها روسيــا على موقفها من مساندة حركة الثورة العربية .

وأيّد المؤتمر في توصياته مبـادرة الاتحاد السوفياتي إلى مساندة شعب « تشيكوسلوفاكيا » !!

وشجب المؤتمر اجراءات التعذيب والاعتقال والملاحقة ضد المناضلين الأحرار في السعودية وتونس » ..

قضية تشيكوسلوفاكيا أهم عندهم من قضية فلسطين ، واجراءات الاعتقال في البلاد العربية أولى عندهم بالبحث من اجراءات تعذيب العرب في الوطن المحتل ..

وتحيتهم لروسيــا هو لموقفها من دعم حركة الثورة العربيــة وتحرير تشيكوسلوفاكيا !! لا لموقفها مع حقنا في وجـه الغزو الصهيوني والمخططات الامبريالية ..

لقد هبّت جميع الأحزاب الشيوعية خارج روسيــا – باستثناء الأحزاب الشيوعية العربية ، ومؤتمر المحامين العرب – لتعلن بصراحة صارمة حازمـة استنكارها لاحتلال تشيكوسلوفاكيا الذي يسميه مؤتمر المحامين العرب، مساندة.

ونهد معظم المفكرين والأدباء في روسيا نفسها وخارجها يشجبون هذه اللطخة المخزية في تاريخ الماركسية ، ويعلنون تخلّي روسيا عن مبادىء لينين ، وتحول «الايديولوجية الجدلية» إلى مصالح دولية ، ونزوات توسعية أمبريالية ..

وكان مما قاله الكاتب الاشتراكي « جان بول سارتر » :

« ان قضية تشيكوسلوفاكيا هي قصة المهارة الخلقية وان معظم ماركسيي العالم يشمون رائحة عفنة في المؤسسة كلها ، ويرون انهم بعد ان عاشوا لسنين طويلة تحت وطأة الضباب الاشتراكي .. أخذوا يشعرون اليوم انهم لا حقيقيون في مجتمع لا حقيقي وانهم ضحايا مأساة .. ويبدو انه حتى ستالين وخروتشوف وغيرهم ممن اتهموا بعقدة « عبادة الشخصية » لم يكونوا أكثر من أرقـام في النظام .. وان النظام وحـده هو الذي يجب أن يتهم .. وان ما حدث في

تشيكوسلوفاكيا انه عندما حدثت الثورة التصحيحية في براغ ، جاءت الثورة المضادّة من الشرق » !

وانقضّ كثير من الكتاب والفنانين والمفكرين داخل روسيا على اجراءات السلطة واتهموها بممارسة أساليب الامبريالية الرأسمالية .. وقالوا : « ان تجربة عشرين سنة من الحكم الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا أدت إلى خلق دكتاتورية الغباء والجهل والبدائية والتبعية والاستزلام وإلى قيام شعب سطحي لا تفكير له .. وان الاشتراكية تصبح شيئاً رهيباً حين تلد نظاماً أبناؤه من التافهين والمشوهين فكرياً ، وفي هذه الحال فان أسوأ سياسة هي الدفاع عن هذا النظام برغم كل شيء ، فقط لأنه اشتراكي » ..

وقبل غزو تشيكوسلوفاكيا بأيام أصدر الكاتب « لودفيك ماتشوليك » بياناً باسم جميع مفكري تشيكوسلوفاكيا ، سيعرف في التاريخ ببيان الألفي كلمة جاء فيه : « لقد أصبح النظام والحزب ملجأ للجبناء والفاسدين الذين لا أخلاق لهم ولا مبادىء وأصبح يستحيل على من يحترم نفسه ومبادئه وعقيدته أن يخدم أجهزة الدولة والحزب دون أن يمارس العهر الفكري » ..

لكن مؤتمر المحامين العرب أكثر ماركسية من الماركسيين ..

واستتباعاً لمنطقهم ، يحق لروسيا الأم أن تغزو وتحتل احتلالاً عسكرياً أمبريالياً ، بلداً عربياً كمصر أو سوريا أو العراق تحت شعار : « حماية الايديولوجية الماركسية » .. ويحق لإسرائيل احتلال أرض عربية لتنقذها من الرجعية ..

وليس المحامون إلا مثلاً ضربناه لغيرهم من مؤتمرات الأدباء والأطباء والطلاب والعمال والمفكرين ، تجتمع ، لتصفع أمتها وقضيتها ودينها بمثل تلك المقررات ، لأنها قد ارتضت لنفسها دوراً واحداً على مسرح الأحداث العربية ، هو دور المتسافة ، والندّابة والردّاحة .. والكورس الأجير ، وغدا معظم أعضائها من البوليس السرّي التقدمي ! والمخابرات الثورية !!

إنه مجتمع الكراهية والضلال !!

- ١٢ -
مسؤوليّة الكارثة

قد آن لنا أن نسأل : لماذا يسمونها « نكسة » ولا يسمونها « كارثة » !

جوابي على ذلك : ان النكسة هي خطأ تقديري في المسيرة يمكن تقويمه بقليل من المثاناة ، دون ان يؤثر ذلك في المبادىء والأجهزة « والكوادر » والقيادات ، التي تقوم عليها المؤسسة ..

وبمعنى أوضح ، ان النكسة ليست خطأ حاسماً في الأسلوب أو في المنهج والتصوّر ، بل هي خطأ ، تفصيلي ، يستدعي جرعة أخرى مكثفة من مركبات « المؤسسة » !

وبمعنى أكثر تبسيطاً ان النكسة تعني ، ان الذين ساقوا الأمة إلى عارها ، وقادوها إلى ذلّها ، لم يخطئوا في الاستراتيجية والتكتيك ، وتطبيق النصوص ، بل غفلوا عن قدرة العدو الحقيقية ، وأخطأوا في التخريج والاجتهاد !

النكسة ، انحراف يسير في بعض منعطفات الطريق ، لا في الاتجاه العام تحت « المظلة الثورية » !

وان في طاقة من ساقوا الضحية وقادوها إلى الذبح ، وفي مقدورهم أن يتغلبوا على الصعوبات العارضة ، ليقودوا المسيرة الثورية عوداً على بدء ، من جديد !

أما نحن فنراها أكبر نكبة دهتنا ، وأعظم كارثة أصابت أمتنا ، وألمّت بعقيدتنا .

وان القيادات التي فشلت ، ولا نقول خانت ! إذا بقيت هي القيادات ، والكوادر هي الكوادر ، والمؤسسة هي المؤسسة ، والمسيرة هي المسيرة ، فستكون المعركة القادمة ردّة باتجاه الصحراء !!

وان الكارثة المدمّرة لم تكن حصيلة خطأ تقديري ، وانحراف يسير في بعض منعطفات الطريق .. بل كانت نتاج مؤامرة ، مدبّرة محبوكة ضد حضارتنا الإسلامية وتراثنا الفكري والروحي ، كان لبعض قياداتنا فيها ، عن جهل وغفلة ، أو عن إرادة وتصميم ، دور التمهيد والتحضير والإعداد .

لنضرب أنفسنا من الداخل ، قبل أن يضربنا أعداؤنا من الخارج ..

وأعانوا في تهيئة المناخ المواتي للوصول بالمؤامرة الرهيبة إلى نهايتها القريبة والبعيدة !

ونقف نحن ، لا يضيرنا ان نقف وحدنا ، لنقول كلمة الحق بصراحة هادي الطريق ، لا يماري ولا يجور ، وجرأة المؤمن لا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه ..

ولقد قلت فيما أسبقت ، انني امرؤٌ قد بلغت آخر مواردي وثمالة منّتي ، ولجمت في نفسي انفعال الرغبـة والخوف ولذا أقول ما أقول غير محاذر ولا محتشم .. ومّماذا أحتشم ؟ وليس في خاطري غير واجب الحق ، وليس في نفسي غير وعيد الله ، وليس في قلبي متّسع لغير المحبة والإخلاص !

ان أخطر مظاهر ما يسمونه النقد الذاتي ، هو استمرارية الإرهاب الفكري والحرب النفسية ، وفرض الحجة الزائفة بالصخب والتهديد ، يصطنعون لكل وجهة رأياً ، ولكل قضية مخرجاً ، ولكل حالة لبوساً ..

وقد هالهم وكبر عندهم ، ان الهزيمة لم تزعزع العقيدة ولم تطفىء نور الإيمان

في القلوب .. وان روادع الدين وحوافزه هي دستور حياتنا ، وزاد يومنا وغدنا ، ونبراس بقائنا واستعلائنا ، إذا ما حَزَبَ أمرٌ وحاقت مصيبة .. وهي قبل كل شيء وبعده ، مُتَنَوِّر مطامحنا المستقبلية !!

غاظهم ان يذهب جهدهم وجهد أسيادهم هباء ، فحاروا وداروا ، وأخذتهم العزة بالإثم ، ومضوا كما تزورّ لهم أهواؤهم ، يعلّلون ويبرّرون ويفسّرون !

وتقرأ فيما يكتبون ويخطبون ، ويؤلفون ويثرثرون ، كل إعذارٍ إلا الدين ، وكل تعِلَّةٍ عدا الإيمان ..

منهم من يعلّل الهزيمة بالبورجوازية العسكرية العربية ..

ومنهم من يعلّلها بنقص اشتراكية الجندي العربي الذي يحتاج إلى جرعات أخرى مركّزة ، مكثّفة ، مليئة ، من الدفاتر الماركسية ، ليواجه جند إسرائيل !

ومنهم من يفسرها برواسب العقيدة الدينية في نفوس الجماهير تمزلها عن قياداتها الثورية .

ومنهم من يبررها برسوخ الإيمان بالقرآن !

ومنهم من يرجعها إلى النقص التقني والقصور التكنولوجي ..

ولم يخجل بعضهم عن اعتبار الهزيمة المخزية نصراً مؤثلاً ، لأنها أحبطت مخططات العدو بضرب القواعد الثورية في الوطن العربي. هذا هو نقدهم الذاتي، الذي تشمّ فيه حقارة الغيظ المدمّر لأن المؤامرة لم تستطع تحقيق هدفها الأخير بالإجهاز على الدين الإسلامي !!

فإذا قلت لهم : لقد غلبنا الجندي الإسرائيلي لأنه مؤمن بدينه وأنبيائه وقضيته .. قالوا إفك ورجعية !..

فإذا قلت لهم : ان سبب الكارثة، تمزيق وحدة الأمة ، وتدمير عقيدتها ، وتقويض تراثها .. قالوا بهتان مبين !

فإذا قلت لهم : ما الذي ردعكم ان تطلبوا العلم ، وتستعينوا بالتقنية ، وتستخدموا أفضل ما توصل إليه العقل من منجزات التكنولوجيا في الحشد

والتعبئة ، والتسليح والتكديس ، والتدريب والتنظيم ، وإعداد الطائرات والطيارين .. قالوا : افتراء علينا !!

جدلهم مراء ، ونقاشهم إنكار ، ومنطقهم ضلال .. وهدفهم ، وهدف أسيادهم واحد لا خلاف عليه : هو اجتثاث الحضارة الإسلامية من جذورها العميقة ..

*

النقد الذاتي إذن ، تبرير وتفسير وتغرير ، وامتطاء موجة الأحداث من جديد .. ولذا فالالتزام إلزام ، والثورية ضربة لازب . وأين من قدرنا نهرب ؟ والقيادات يجب أن تبقى فهي لم تستنفد أغراضها بعد .. فما يزال في نفوس الجماهير بقايا دين !!

لو استمعت إلى ما يفكرون ويقدرون ، لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً !

تقول « يائيل ديان » في كتابها « يوميات جندي » : « لقد أفسد الترف الضباط المصريين ، فقد كانوا — أثناء المعركة — يرتدون الملابس العسكرية المصنوعة من الحرير ، وينتعلون الأحذية الملمّعة ، أما جنودهم فقد كانوا في حالة مزرية من القذارة ، وكانت ملابسهم خرقاً ممزّقة ، أما جنودنا — أي الجنود الإسرائيليون — فقد كانوا يرون ويعرفون ان الجنرال « أريك شارون» وسائقه « يورام » يرتديان نفس اللباس ، وينتعلان نفس الأحذية ، ويأكلان نفس الطعام » ..

أي ان الاشتراكية المصرية ليست أكثر من نصوص مقتبسة مثبتة في ميثاق الاتحاد القومي ولا وجود لها في التطبيق !

ويتلقف « الغربان » راية « الآنسة دايان » فيصيحون : ألم نقل لكم ان سبب الهزيمة بورجوازية العسكرية العربية !؟

ويقول « كمال جنبلاط » في مقال له في ٢٩—٨—١٩٦٨ في كلام هو أشبه

بالأحاجي: « منطق القوة في العالم،يفرض علينا إعادة النظر في تكوين تعاوننا، ولا بد في رأينا من التطلّع إلى بعض الدول التي تحيط بالمربّع العراقي السوري أي إلى تركيا وإيران !

وفي جدلية التكوين الشاملة لمظاهر الإبداع بأسره في جميع الحقول ومنها البشرية ، فان هـــذه المادية ستتطلب بغرض تصلبها وتطرفها قيام المبادىء الروحية والمعنوية في مقابلها لتمكين العالم من الخلاص ! »

ومتى كنا نحن نؤمن أو نقبل بالتعاون بين اخوة الدين الواحد !

ثم .. هل تتسع الجدلية المادية للمبادىء الروحية ؟ وكيف يكون ذلك ؟ وهل هذا كلام جادّ ؟.. ألم نجد ما نقوله غير هذا لتعليل الهزيمة !؟ ومتى كنا نؤمن بالمبادىء الروحية قبل اليوم ؟؟

واسمع « أحمد حمروش » يقول في « روز اليوسف » ٩-٩-١٩٦٨: « سبب هجرة الآلاف من الإرهاب الصهيوني من الضفة الغربية إلى الشرقية ، ان سكان الضفة التي احتلت كانوا مجردين تماماً ، من الارتباط بأي نشاط سياسي منظم ، وان غيبة التنظيمات السياسية الثورية المناضلة في الضفة الغربية نتيجة لمطاردتها وحظر نشاطها قد أدّى إلى شعور الحيرة والبلبلة التي سادت الجماهير عند صدمة الهزيمة !!»

ولست أدري بعد هذا كيف يجيب الكاتب في تبرير الهزيمة المصرية ، ومصر هي قمة التنظيم السياسي الثوري !!

ويقول « هيكل » في ٦-١٢-١٩٦٨ :

« لقد ركـّزت منظمة الشباب مثلاً جهدها -قبل النكبة- على تعليم الشباب كيف يصرخ بالهتافات ، لكنها لم تعلـّمه ان التفكير يستطيع الاستغناء عن الهتاف ، وان الحماسة تستطيع أن تعبّر عن نفسها بغير الصراخ . وكان الخطأ الأكبر للتنظيم السياسي انه حاول أن يجعل من الشباب « أداة سياسيـــة » ولم يحاول أن يجعل منه قوة سيـــاسية ، وقد استيقظ الشباب يوماً فإذا الهتاف متجمّد على الحناجر ، وإذا الحماسة شلل ، وكان رد الفعل وحشة ضائعة » !

يعترف هيكل بأننا قضينا بضع عشرة سنة نعلم الشباب كيف يصبحون « هتافة » يصفقون للجهــــل ، ولا يستطيعون أن يعبروا عن أنفسهم بغير الصُراخ !

والدكتور صادق جلال العظم يخترع لنا نظرية جديدة في عالم «الايديولوجيات» فيقول في كتابه «النقد الذاتي» : « ان الجندي العربي لم يستطع مواجهة الجندي الإسرائيلي لأنه لم يكن اشتراكياً بالقدر اللازم !! »

ويستحي الدكتور الآبق في تمليلاته بل تملاّته الفاسدة ان يقول : ان الجندي العربي لم يكن مؤمناً كالجندي الإسرائيلي ، ولأن إسرائيل دولة دينية غلبتنا حين عطّلنا حافز الإيمان ..

ثم تكشّف الدكتور بعد أشهر دعياً من أدعياء المعرفة الغثاث ، يدعو إلى الحرية الجنسية ، والتحلّل من روادع الدين ، بإنكار ذات الله .. تعالى الله عما يأفكون ...

اما الدكتور « نديم البيطار » فهو فرح بالنكسة ! لأنها ستدفع الأمة العربية إلى التخلّي نهائياً عن دينها الإسلامي !!

ويقول « محمد عوده » في الجمهورية في ٨–٥–١٩٦٩ :

« المعركة في الشرق الأوسط هي معركة الثورة العربية ضد الصهيونية وضد الاستعمار ، ولقد كان هدف العدوان سنة ١٩٦٧ – عدوان ، لا كارثة ، ولا نكبة ، ولا حتى نكسة ! – هو القضاء على الظاهرة الثورية العربية في قاعدتها الرئيسية ، وفشل العدوان في هدفه الرئيسي ، وخرجت الثورة من المحنة أشدّ أصالة !!

ان كل مكان في العالم العربي يكاد يكون الآن ميداناً لمعركة حامية بين قوى الثورة ، والثورة المضادة .. ولا بد لهذا من حسابات دقيقة للأهداف الثورية العاجلة والأهداف الآجلة . وتصفية القوى المعادية ، ولا بدّ من إبداع صيغ وأساليب جديدة وخلاّقة لتحقيق كل هذا ..

وإسرائيل هي خير من يستعمل قوانين التناقض : هي بالنسبة للغرب تتقدم كممثلة للحضارة الغربية ، وبالنسبة للشرق تتقدم كرأس جسر لليسار ! وبالنسبة

للعالم الثالث تتقدم كنموذج للدولة الصغيرة النامية . والعدو الرئيسي والحقيقي لنا ليس إسرائيل ، وإنما هو الاستعمار الجديد !!

والعرب منذ أربعة قرون ، منذ بداية الاستعمار القديم ، وربما منذ الحروب الصليبية ، في معركة ضد الغرب !! »

نطق كفراً ، أدّى إلى خير .. أجل ! ان المعركة منذ الحروب الصليبية هي معركة ضد حضارتنا وعقيدتنا ، ومهما تحذلق الكتاب الثوريون ، لا يستطيعون إنكار هذه الحقيقة البسيطة الواضحة ..

ثم ما هي الصيَغ والأساليب الجديدة التي يحضّ الكاتب على إبداعها ضد ما يسمّيه القوى المعادية ، وهل بقي في جعبة الثوريين أسلوب لم يستعملوه في القمع والفتك والتعذيب !

أما قوله ان العدو الرئيسي والحقيقي لنا ليس إسرائيل،فهو كفر لا يستحق الردّ نتركه للكاتب الثوري الجاهل ليتطوّق به ، وحسبه ذلك مقتاً !

ويقول البيان العام لمؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في بغداد من ١٩ إلى ٢٢-٤-١٩٦٩ : « لما كنا نعيش اليوم حلقة ثانية من مؤامرات الاستعمار والصهيونية فان على الأدباء أن يتعاونوا لتعرية تلك المؤامرات ، وادانتها، وبذل الجهد في كفاح لا يقلّ خطراً عن الكفاح المسلّح في سبيل تأكيد قيمنا العربية الأصيلة وحمايتها من كل غزو خارجي ..

« ويؤكد الأدباء أهمية القيم الحضارية العربية ودورها الرئيسي في المعركة »!

وهل قيمنا العربية الأصيلة ، إلا قيمنا الإسلامية ؟

ومتى كانت مؤتمرات الأدباء العرب التي يسيطر عليها الكتاب الثوريون المراهقون ، تؤمن بقيمنا العربية .. وحضارتنا الأصيلة !؟

وفي أوائل شهر أيلول سنة ١٩٦٨ ، لَمْلَمَ الحزبيون التقدميون الثوريون الفارّون من تشنّجات وسلبيّات وتشرذمات أحزابهم وانقساماتها إلى أجنحة وبطون وأفخاذ ، ومؤتمرات قومية وقطرية .. وتصفية بعضهم بعضاً وطرد اخوانهم من السلطة ليتسلطوا ويتسلطنوا هم فيها .. إلى آخر الرواية المعادة

المكورة في هذه المنطقة الشقية المشؤومة منـــذ مطلع الخمسينات إلى اليوم ، بفصولها وأدوارها وممثليها ..

أقول لـ«مَلْمُوا» فلولهم ودعوا لقيام حزب جديد ، باسم الحلف الديمقراطي لقوى الشعب القومية التقدمية .. وأسموا أنفسهم هيئة العمل « لتأسيس الحركة العربية الشعبية » وهدف الهيئة هو السعي لخلق مناخ صاف ونظيف يتداعى فيه – هذا أسلوبهم – سائر المناضلين والأحزاب والمنظمات العربية التقدميـة دون تمييز في نطاق وحدة وطنية حقيقية فعّالة ! وهم لو صدقوا لقالوا : ان هدفهم العودة إلى السلطة والتسلّط وطرد من اختلسوها منهم وسرقوها كما سرقوا الشعارات .. ليصيبهم ما أصاب اخوانهم وزملاءهم من هوان وتشريد .. وهكذا دواليك ، كلما جاء فوج لعن أخاه والبقية تأتي !؟

ونشروا بياناً مطولاً مهلهلا ، حددوا فيه مسؤولية الكارثة وعللوا أسبابها ، وفسروا بواطنها ، وبرّروا مواقفهم فيها .. وتلخيص ما قالوه : ان التاريخ قد تجاوز الأحزاب العقائدية القائمة في الوطن العربي ، خــاصة في القطر السوري – وهذا بيت القصيد عندهم – وان الدول العربية كلها تحمل مسؤولية كارثـة حزيران القومية .. لكنهم يصنّفون المسؤولية درجات ، فهي تلحق أول ما تلحق بالدول ذات الأنظمة التقدمية ، أي الدول العسكرية ، إذ ان هــذه الأنظمة وقد أسكرها استيلاؤها على الحكم دون كبير عناء ، لم تلبث ان وقعت في عديد من الانحرافات منها دخول الجيش كقوة سياسيـــة ، وخروجه عن طبيعته العسكرية ، وتحوّله إلى بوليس سياسي وجهاز مخابرات ونتيجـــة للتصفيات المتعـــاقبة التي حرمت الجيوش من الكفاءات ، برزت فيها طبقة بيروقراطية ، وجدت في الأنظمة سبيل الهروب من معاني الجندية الشريفة إلى التمتّع بالملذات والاستقلال بالامتيازات ..

ومن تلك الانحرافات ، التطرّف الطفولي والانتهـــازي ، والمزايدات الكلامية ، والشعارات البرّاقة ، واللجوء إلى استيراد الفكر الجاهل لحلّ المشاكل العربية الخاصة ، بدل أن تجعل هذه المشاكل نفسها هي منبع الفكر

ومصدره ! مما أدّى إلى تشتيت الأمـــاني والأهداف وتجزئة الولاءات وشقّ الجبهة الوطنية وتمزيق وحدة النضال العربي .

ومنها الانحراف الخطر الذي وقعت فيه الأنظمة بإشعال الحرب الطبقيـة وتمزيق الوحدة الوطنية في كل قطر عربي وتفجير الصراعات العمياء بين الدول العربية بعد تصنيفها إلى تقدمية ورجعية ، مع ان الحرب مع إسرائيل هي حرب قومية لا عقائدية .. حرب من أجل الوجود العربي ..

ثم يخلصون من هذه المقدمات إلى توضيح أهـداف الحلف ، واقتصار تلك الأهداف على القطر السوري وحده ، مما يؤكد ما قلناه ان هدفهم الحقيقي وراء تلك الواجهات الكلامية ، هو العودة لافتراس السلطة والتربّع على قلب الشعب .. وارتكاب جميع المخازي والموبقات التي هم أقدر من يدلّ عليها ، لأنهم عاقروها ومارسوها ، قبل من هم في السلطة اليوم ! فهم أدرى بمصادرها ومواردهـــا ومداخلها ومخارجها ، وأعرف بمضمونها ومحتواها ! ولحمتها وسداها ... ولذا سجلنا قراراتهم بمعظم حروفها لتكون وثيقة تاريخية هامة عن الجرائم التي ارتكبوها هم وزملاؤهم من بعدهم تحت شعار الحزبية والثورية والتقدميـــة ، والجيش العقائدي !

وأجل وأكمل ما في أهدافهم ! محاكمة المسؤولين عن إرهـاب الشعب ... ومحاكمة المسؤولين عن التفريط بتراب الوطن في كارثة حزيران . الخ .. وقـد أغفلوا عمداً لا سهواً ولا نسياناً ، الهدف الأهم والأعظم ، الهدف الخطر الكبير ، الذي جمع الشمل وانتظم البيان ، هو وجوب دعوة عفلق والبيطار لتولّي الحكم ، فهم أقدر على فلسفة الثورية ، وثورية الانبعاث .. وكأننا يا بيطـار لا رحنا ولا جينا !

وعلى الرغم من ان هذا البيان يعتبر أصدق وثيقة يصدرها يساريون ثوريون ضد اليسار العربي والثورية العربية ، فقد سئمت الشعوب العربية المهـاترات الحزبية السلبية وهداها حدسها الصادق إلى ان وراء الأكمة ما وراءها ، وان غرض « الشلّة » لا يخفى على اللبيب .. وما دامت الغاية مريبة كانت الوسيلة

إليها ، مريبة ، ولو ألبسناها جبّة و « عمامة » !

ولذا وئد البيان في مهده وتلاشت أصداؤه في مجتمع الكراهية وكان مكانه الطبيعي « سلة المهملات » ! وبقي، لنا منه ، ما يقوله الحزب ضد الحزب، واليسار ضد اليسار ، والثوري ضد الثوري .. في صراع الشهوات والأطماع !

وحين فشلت الدعوة ، وخاب الداعون ، تلمسوا طريقهم لتجربة جديدة وبرنامج جديد، فدعوا إلى مؤتمر جديد تحت لافتة «مؤتمر البعث القومي التاسع» لتطوير المؤسسة ، ومواقفها . وخرجوا بمقررات اعتبروها انتفاضة تنظيمية وسياسية هامة ، تهدف إلى إقامة قيادة ثورية ناضجة ، وتسوية الخلافات مع بقية الثوريين ، والتعهد بنقد ذاتي شجاع !!

وخلاصة مقرراتهم :

١- إدانة تمرد (٢٣) شباط ، واعتباره حركة عسكرية مشبوهة .. ذلك ان معظم المؤتمرين هم من فلول الحزبيين الفارين من سوريا ، وهدفهم الأول والأخير من تجمع ومؤتمر ومقررات هو العودة إلى الحكم !

٢ - تقييم نكبة ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ على أساس ان المرحلة التي تلتها قد أدانت المرحلة السابقة ، وأنهت دور الصيغة القديمة للحزب القائد ، التي كانت أسيرة الانغلاق والتقوقع والسلبية، وما تزال تعتمد على النزعة القطرية والتسلط الفوقي والتطرّف المفتعل ..

٣ - حدّد المؤتمر عوامل أزمة الحزب ، وأكّد ان متابعته لدوره التاريخي بعد النكسات التي ألمت به ، وعودته لتحقيق وجوده وطابعه الثوري الأخلاقي الإنساني (!) هي الطريق إلى تجاوز الصيغة القديمة ، وتجديد نفسه تجديداً سليماً ينسجم مع حاجات المرحلة الجديدة .

٤- قرر المؤتمر ان يجري الحزب نقداً ذاتياً يحدد مساهمته في أخطاء المرحلة السابقة !

٥ - يعتبر المؤتمر ان المرحلة الجديدة تتطلب تركيز الجهود على الأهداف القومية المشتركة وعدم تحويل الأنظار عن التناقض الرئيسي الذي يضع الأمة

العربية وجهاً لوجه أمام الصهيونية والامبريالية ..

٦ – هذا يستوجب قيام جبهة قومية شعبية على المستوى القطري والمستوى القومي .

٧ – ان شعارات « حرب التحرير الشعبيـة » و « العمل الشعبي المسلح » و « العمل الفدائي » يجب أن تتحوّل من صيـغ لفظية ومزايدات لا مسؤولة ، تغطّي العجز ، ويتستر بها المزيّفون ، إلى صيـغ عملية .

٨ – يقرر المؤتمر ضرورة العمل على تصفية آثار المرحلة السلبية السابقة ، مع جميع قوى الثورة العربية والقوى التقدمية ، وبصورة خاصة الحركة الناصرية والأحزاب الشيوعية المحلية .

٩ – ان الحزب مطالب بأن يكشف جوانب التآمر التي ما تزال خافيـة ، من حرب حزيران ، والمطالبة بمحاكمة المتآمرين والمسؤولين عن الهزيمة !

١٠ – ان سياسة الصداقة مع الاتحاد السوفياتي يجب أن تكون في منـأى عن ردود فعل كلما بدا ان سياسة الاتحاد السوفياتي لا تنطبق بصورة كاملة مع حاجات الثورة العربية ، إذ لا بد من تقدير النتائج الحتمية لسياسة التعـايش السلمي التي تشكل ضرورة حيويـــة لتحقيق البرنامج الاقتصادي للاتحاد السوفياتي » !!

وقراءة ما بين سطور هـــذه التوبة النصوح ! تؤكد ما سبق ان أبرزناه وفصلناه من إلحاح الاخوة الثوريين ، على ان « النكسة » (!) ما هي إلا أخطاء طفيفة متناثرة على مسيرة الحركة العربية الثورية ، وان هذه الحركة قادرة بالنقد الذاتي الشجاع ، أن تقوّم أخطاءها لأنها قادرة على اختـراع صيَـغٍ وأساليب جديدة لتخدير الجماهير ، وإلهائها بهذا الجدل التقدمي ، وهذا النقيق الثوري ، لكي يظل قادة الكارثة متربّعين في دست التسلّط ، وليتسنى لهم ان يقودوا الأمة العربية إلى هزيمة جديدة ، تقضي هذه المرة على آخر معـــالم الحضارة الإسلامية ، وتصبح البروليتاريا العربية بنعمة الثورية الاشتراكية اخوة عقيدة مع البروليتاريا الإسرائيلية .. ويلفـــظ الإسلام – الذي هو هدف الجميع –

أنفاسه الأخيرة !!

ومن المفارقات المريبة في هذه المقررات ان المؤتمرين لم يشيروا إشارة ، ولو من طرف بعيد ، إلى فعالية الإيمان والدفع الديني في معركة المصير ، التي هي في أساسها معركة دينية مهما أهلنا عليها من دجل الثورية .. واستغنى المؤتمرون عن ذلك بالإلحاح على وجوب مراعاة تحقيق البرنامج الاقتصادي للقيادة الثورية في روسيا ، فهي الأجدر بالرعاية والأقمن بالاهتمام من قضيـــة المقدسات الدينية ، ومعارك المصير القومي !!

وبعد .. أتريدون صوراً أخرى من النقد الذاتي !؟

يكتب محمود أمين العالم في أخبار اليوم في ١٩-٤-١٩٦٩ :

« كان المناخ النفسي لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية متعاطفاً مع قضيـة اليهود ، متأثراً بمحاكات « نورمبرج » وما كشفت عنه من جرائم نازية بشعـة ضد اليهود ، وكان يجد في إسرائيل حـــلاً لقضية اليهود .. قضية اضطهادهم التاريخي .. وفي المعسكر الشرقي كانت الصهيونية تسيطر على كثير من مراكز السلطة في الأحزاب الشيوعية ، وكانت البلاد الاشتراكية والأحزاب الشيوعية تنظر إلى أحداث الشرق الأوسط ، نظرة ضيّقة تقليدية ، ترى في إسرائيـل دولة ذات نظام ديمقراطي ، ليبرالي ، يناضل داخله حزب شيوعي من أجـــل السلطة ، وترى في البلاد العربية حولها أنظمة حكم رجعية متخلـّفة ، وكان العالم الغربي كله يرى في إسرائيل ، واحة صغيرة من الديمقراطية – على النمط الغربي – وسط عالم عربي متخلـّف ! »

وبعد هذه الفذلكة المدخولة ، عما يراه الشرق والغرب في إسرائيل وهو في مجمله يمثل رأي معظم القيادات اليسارية الثورية التي تهدف إلى تحرير إسرائيل والدول العربية المتخلـّفة من حكم المؤسسات الرجعية ، وبذا يمكن القضاء ، بصورة ثورية (!) على الخلاف العربي الإسرائيلي حين يصبح الحكم فيهما جميعـاً للبروليتاريا ، وتنتفي أسباب الخصام !!

بعد هذا يقول الكاتب :

« ان العامل الحاسم في هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ هو تخلخل البنـاء السياسي والاجتماعي في البلاد العربية الثورية تنظيماً وفكراً وعملاً.. فقد كانت السنوات الماضية ، سنوات زاخرة بالصراعات والتناقضات ، على مستوى الحكومات العربية ، وعلى مستوى التنظيمات السياسية .. بل التنظيمات الثورية نفسهـا ؛ سواء كانت في السلطة أو خارج السلطة ، استنفدت الطاقات العربية وشغلتها عن الاستعداد لمواجهة الخطر الإسرائيلي بطريقة علمية مخطـّطة ، وظل العمل السياسي والاجتماعي على المستوى المحـلي والمستوى العربي عـامة يتحرك بالتوجيهات الصادرة من أعلى أكثر مما يتحرك بالجماهير ، في إطار تنظيم ثوري موحد ، وفكري علمي موحد كذلك .. ورغم ان معركتنا ضد إسرائيل هي معركة وطنية تحررية في المحل الأول ، إلا ان مواجهتها الحاسمة لا تتم ولا تتحقق إلا من مواقع الثورة الاجتماعية ، من مواقع حركة الجماهير النشيطـة ، وبالقيادات الثورية الناجحة في مواقع العمل الوطني والاجتماعي عامة ، ولذا فان تثبيت الأبنية الاجتماعية الداخليـة وتطويرها سياسياً واجتماعياً وفكرياً وجماهيرياً ، ووحدة قوى النضال الثوري العربي عامة والفلسطيني خاصة ، هو المنطق الصحيح للتحرير » !!

هل وعيتم النصيحة ؟ وعرفتم مغزى وهدف النقد الذاتي ؟ ان مواجهـة إسرائيل لا تتم إلا من مواقع الثورة الاجتماعية بالقيادات الجماهيرية ، في تنظيم علمي ثوري موحد مخطط ، هل فهمتم شيئاً !!

وان العرب قد هزموا لأنهم لم يستكملوا أسباب الثورة الاجتماعيـة على المبادىء الماركسية — لم يكونوا اشتراكيين أو شيوعيين بالقدر المطلوب للنصر — . وان المعركة يجب ان تتحرك بالجماهير ، من تحت إلى فوق .. لا على طريقـة « صائب سلام » ، من فوق إلى تحت !!

ولست أستطيع ان أفهم مقصوده — الله أعلم بمقصوده ، والراسخون في العـلم من الكوادر الثورية — إلا ان يكون يريد : مسيرات ، ومظاهرات ، وهتافات .. وشتائم جماهيرية على طريقة « أحمد سعيد » ، ونظل نحن نتدحرج

من تحت لفوق ومن فوق لتحت !..

فإذا قلت لهم : ان إسرائيل لم تغلبنا من مواقع حركة الجماهير النشيطة ، ولا بالقيادات الثورية .. بل غلبتنا بعوامل ثلاثة ليس في يدنا منها شيء !

١ – إيمان وعلم وتنظيم .

٢ – مجتمع متلاحم .

٣ – قيادة جادة مخلصة !!

وكل ما عدا ذلك ، ثرثرة مراهقين ولو كانوا في ثياب « ماركس» ولينين»!!

*

اما السيد « حسنين هيكل » فله في تبريرات النقد الذاتي وتعليلات الهزيمة ، آراء .. وآراء ، نجتزيء منها بما يلي :

يفلسف « هيكل » لأسباب صمود عدونا وتخاذلنا ، بأن تلك الأسباب تعود إلى معرفة إسرائيل بأن أزرها مشدود بالدعم المادي والمعنوي من جميع يهود العالم .. وإلى اقتناعها بأن ظهرها محمي بدولة كبرى .. ثم إلى إيمانها بفعالية جيشها ، واطمئنانها إلى تمزّق العرب وتخلفهم « التكنولوجي » .

ووصف « هيكل » مراحل التمزّق بقوله : ان التمزق الإسلامي ، كان نتيجة طبيعية للتناقض بين فكرة الخلافة الإسلامية والقومية العربية ، وان التمزّق العربي نتج عن التناقض بين فكرة القومية العربية وفكرة الاستقلال الوطني لكل دولة عربية ؛ وان التمزق داخل كل دولة نجم عن التناقض بين أساليب التطور للمجتمع العربي .. بين الأخذ بالأسلوب التقليدي ، أو الأخذ بالأسلوب الثوري » ..

واستطرد « هيكل » يقول : « لقد نتج عن التمزق الأول ، وعد « بلفور » سنة ١٩١٧ وأورث الثاني تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ وأدّى الثالث إلى هزيمة حزيران ١٩٦٧ » .

ومغالطة هيكل الكبرى انه انتقل من هـــذه المقدّمات الصحيحة إلى

استنتاج خاطىء هو اعتبار هذا التمزق، مراحل طبيعية في خط التطوّر العربي .. بمعنى حتميته !

وأنا لست أدري كيف يكون تمزّق الشعوب والأمم حتمياً، وهي تواجه أخطر تحديات وجودها، حين تغدو التناقضات الاجتماعية والاختلافات العقائدية انحرافاً عن السبيل القويم بل ترفاً فكرياً بالقياس على المصير ! إلا ان يكون ذلك تآمراً على الوجود العربي وحضارته الإسلامية !!

ويقول هيكل في ٢١-٣-١٩٦٩ :

« هناك سياسة مرحلية اعتمدتها الأمة العربية وقررتها بحسّها الصافي في أشدّ اللحظات حرجاً، وقبلت بتحمّل مخاطرها كيفما تكون . وأعني بهذا : السياسة المرحلية !

القبول بوقف القتال مع العدو، بعد الهزيمة، من ناحية . وعدم القبول بفكّ الاشتباك مع العدو، برغم الهزيمة، من ناحية أخرى . أي ان القبول بوقف القتال مع العدو كان معناه ان تتوقف الحرب على خطوط الجبهة .. وعدم القبول بفكّ الاشتباك مع العدو، كان معناه أن لا تتحوّل خطوط الجبهة إلى خطوط أمان .. ولقد كان القبول بالحالة الأولى، وهي وقف القتال، أمراً ضرورياً بالنسبة لكل ما حدث في معارك الأيام الستة . وكان عدم القبول بالحالة الثانية وهي « فكّ الاشتباك » أمراً حيوياً بالنسبة لكل ما يمكن أن يحدث على أساس رفض الأمة العربية، رفضاً صريحاً ومطلقاً لما أسفرت عنه معارك الأيام الستة من يونيو سنة ١٩٦٧ . ولو ان الأمة العربية لم تفرّق بين الحالتين، لكانت قد أعطت للعدو، كل ما يريد ليظل حيث هو أماناً واطمئناناً حتى يتمكن من فرض الهدف الذي قصد إليه من عدوانه » ..

وماذا ترى يستطيع ان يقول هيكل اليوم، في تمديد وقف إطلاق النار مرة ثانية وثالثة ورابعة إلى ما لا نهاية، حتى يتمكن العدو ومن وراءه، من تحقيق الهدف الذي يريدون .. ماذا يستطيع ان يقول، ونحن لا نرى من أسباب الحشد والتعبئة والصمود، ومعركة البقاء والوجود، أكثر من رُسُلٍ

يتنقلون بين العواصم العربية ، ورسائل تذهب وتجيء و « صفارات » إنـذار بغارات جوية وهمية في القاهرة وعمان !!

بلى !.. لن يعدم أستاذ الجيل التعيس أن يجد ما يقوله بقلمه الجهير !

يكتب في عدد « الأهرام » ١٥ — ١ — ١٩٧١ ، ويستعير هذه المرة لسان الأديب الفرنسي « مالرو » ليصفع العرب والمسلمين بأخبث وأحقر ما تعرّضوا له من أعدى أعدائهم في القديم والحديث .. يقول : « لقد جاء الغزاة وذهبوا ، ووفدت الهجرات ومضت ولكن روح مصر ، وشخصية مصر ، بقيت هناك لأن لهـا خصوصية متميّزة » . ويستطرد « مالرو » فيما يكتب « هيكل » يقول : « لديّ تصوّر عن انتشار الإسلام بسرعة في مصر . ان مصر كانت تبحث دائماً عن فرعون يمثل سموّ روحها . . ان الإسلام لم ينتشر بسرعة بعد الفتح العربي ، لكنه انتشر بسرعة بعد الخلافة ، حين أصبح الخليفة بالسلطة الزمنية والروحيـة في يده فرعوناً يلبس بدل التاج عمامة » !!

ويعترض هيكل بقوله: « ان الإسلام انتشر بسرعة في شبه الجزيرة العربية ، وكان الناس هناك قبائل لا يبحثون عن فرعون يمثّل سموّ الروح » !

فيعلـّق « مالرو » : هناك لم يكن لديهم بديل !.. اما في مصر فكان الأمر يختلف .. لا تقل لي ان ردّ فعل مصر تجاه أي حدث خارجي سوف يكون نفس ردّ الفعل لدى قبيلة » ..

ويستطرد : « ان مصر تعرضت للغزو ، لكن روحها لم تقهر ، لأن مصر عرفت شيئاً غريباً في التجربة الإنسانية هو الانسحاب إلى داخل الذات ، كل الغزاة في تاريخ مصر ، لم يكونوا يمثلون شيئاً ، كانوا يمثلون الظلال ، ولم يكونوا يمثلون الحقيقة الباقية » ..

« هنا بيت القصيد » الذي لم يعترض عليه « هيكل » .. المسلمون عنده وعندهم وعند الآخرين ، إذن حين افتتحوا مصر ، لم يكونوا يمثلون الحقيقـة الباقية ! الحقيقة الباقية عندهم ان روح مصر لا يمكن أن تقهر ، ولو تسربلت بالإسلام .. لأنهم يفضلون أن تبقى لمصر روحها الجاهلية الفرعونية على كل القيم

التي جاء بها الإسلام!! وما دام ردّ فعل مصر تجاه الأحداث الخارجية،لا يمكن أن يكون نفس ردّ الفعل لدى القبائل العربية ، أي الدول العربية .. فليس هناك إذن جامع حضاري فلسفي ديني قومي يوحد في الفكر والمسيرة بين مصر ذات الروح التي لا تقهر وبين القبائل التي تسمى تجوّزاً دولاً .. يستتبع هذا المنطق ، وهذا التفكير – الذي يقول به « مالرو » فيما يزعم « هيكل » وهو ينقل هذا الكفر إلينا في هذا الوقت بالذات ! – ان مصر ليست ولا يمكن أن تكون جزءاً من الأمة العربية ، فلها خصائص مميّزة ، وهي وحدها على عرش فريد .. وما على مصر إلا ان تنسحب « داخل الذات » ، ولا شأن لها بوجع الرأس !!

أما لماذا يقول هيكل هذا البلاء أو ينقله إلينا في هذه الظروف فهو في اعتقادنا – ونسأل الله ان نكون مخطئين – إرهاص لبوادر تلوح على الأفق القريب !!

والتحركات الأخيرة في المنطقة تؤكد صحة ما ذهبنا إليه ..

مصر الثورة قد أوهنتها المعارك ، فلا العدو براحم ، ولا الصديق بمسعف .. والتزام عبد الناصر الأخلاقي إزاء مسؤولية الهزيمة، قد انطوى بانطوائه . وما دام لمصر شخصيتها المتميّزة المتفرّدة،فليكن تحرّكها السياسي في طريق الحل، متميّزاً متفرداً .. وسيناء ليست غرضاً لإسرائيل .. بل عرَضٌ مذلّ .. والورقة الرابحة في يدنا هي قناة السويس .. وأي خلل في أية جبهة يستتبع خللاً أخطر في كافة الجبهات ، فإذا فتحت القناة بعد طول تأبٍّ وعناد ، استراحت الأطماع الدولية ، لا يهمّ الغرب والشرق جميعاً ان تكون أشلاء فلسطين هي الضحية ، تلحق بها مرتفعات الجولان .. ولا يضيرهما ترك الأردن لكوارثه ، شهيد قضيته ، غريق تبعات بقائه .. مثخناً بجراحه ، تتكاثر عليه الكواسر ، وتتكسّر في ندوبه النصال ! وتتحوّل القضية .. قضية التحرير والنضال ، والمقدسات ، والوطن السليب الحبيب ، إلى صيدٍ وكيدٍ وتفريط ، واقتتال على الحكم والسلطة واقتسام الأشلاء ، واحتدام المؤامرات !

وتجتمع لفلسطين الشهيدة ، سوق عكاظ جديدة ، في الكويت ، يتوافد عليها حثالات الشعوب من الملاحدة والخوارج والمسحوقين ، والمتمردين من الثوريين و « المبتين » يلوكون أحاجي تعيسة مجردة ويصفعون الفكر في كل حركة ونأمة ، يتاجرون بآلامنا ويلغون في دمائنا ، ويبيعون شرفاً وأخلاقاً ، يرعدون ويبرقون وهم في مطارحهم لا يبرحونها .. يتعاطون مبادىء لا يفهمونها كما يتعاطون « الحشيش » ، يشتمون ويردحون وينفسون عن أحقادهم نحو هذا الفريق أو ذاك .. وفي كل حدث وحديث يستفردون بالأردن المطية .. لأن قدر الله،شاء لهذا البلد الكئيب ان تتقاذفه المآسي وتتماوره الأسنة، وتسومه النزوات ، ويحمل وحده أوزار قومه ، وأوضار الأعداء والأصدقاء ..

« رمونا بدائهم وانسلوا » !

-١٣-

مخطط العدو لسنة ...٢٠٠٠

رأيت فيما مرّ بك ما صنعناه نحن بأنفسنا ، فانظر معي الآن فيما يصنع الأعداء ..

خلال سنة ١٩٦٨ قامت في القدس جمعية إسرائيلية تضم نخبة من الكتاب والعلماء والمفكرين باسم «الهيئة العاملة للسلام » The Ascociation For Peace تزعم في دستورها انها لا تلتزم بأي اتجاه سياسي ، وإنما تقتصر مهمتها على تقديم مخطط لمنطقة الشرق الأوسط سنة ألفين .. وخرجت بدراسة مستفيضة ، تعلن الإشفاق، وتبطن المقت .. تظهر علماً مجرداً وتخفي حُوباً كبيراً وشراً مستطيراً ..

وهأنذا أقدم لك ملخصاً لخديعة يسمونها مشروعاً :

١ - يفترض المشروع ان الصراع بين العرب وإسرائيل سنة ألفين سيختفي نهائياً .

٢ - المشروع ليس سياسياً ولذا لا يتعرض لكيفية حلّ المشكلة ، لكنه يفترض :

آ – جميع الدول العربية القائمة وإسرائيل ستكون موجودة سنة ألفين باستثناء الأردن .

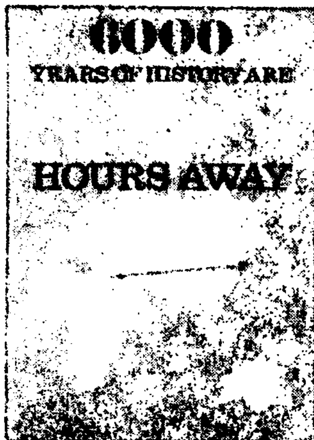
ب – مشكلة الفلسطينيين تحلّ اما داخل إحدى الدول العربية – يقصد الأردن – أو بتطور قيام دولة فلسطينية مستقلة .

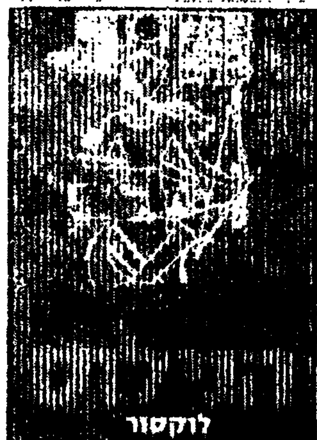
ج – لعزل المشروع عن المشاكل السياسية القائمة اليوم في المنطقة كما يقولون، يتركون تعيين الحدود بين دولها ، خاصة وان المشروع يفترض أن تفقد الحدود الكثير من أهميتها الحالية سنة ألفين . ستبقى القوميات المستقلة – يجعلون الدول العربية قوميات مستقلة – لكن على غرار أوروبا اليوم ، فتختلط بجاهيد الأفراد والدول ويتجاوز التعاون بين الدول الحدود القومية لكل منها .. وغرض المشروع هو تصوّر حركة النشاطات الإنسانية ، والانجازات البشرية في الشرق الأوسط بعد اختفاء المشاكل التي تمزّقه الآن . وهو بمثابة تجربة لوضع أسس أهداف ثابتة للنشاط الإنساني فيه ، متجاوزة نطاق الصراع الحالي .. وليس حلماً مثالياً بل مخططاً علمياً مبنياً على تفحّص ودراسة أهداف طويلة المدى ، نأمل في النهاية ان تلتقي عند أبعادها الأطراف المتنازعة الآن !

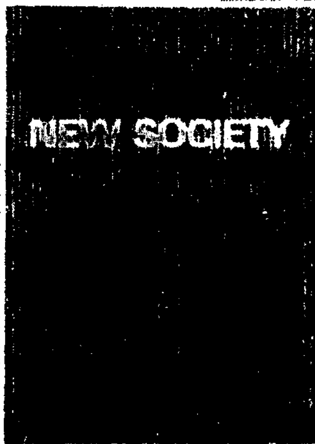
٣ – في ضوء وحدة التراث الأصلي لشعوب المنطقة ، النابع من الأديان الثلاثة ، وانفتاح هذا التراث للتقدم « التكنولوجي » ستتطور كل دولة في إطار تراثها القومي المتميّز بملامحه الخاصة ، وفي حدود ما تسهم به من مشاركة حضارية .

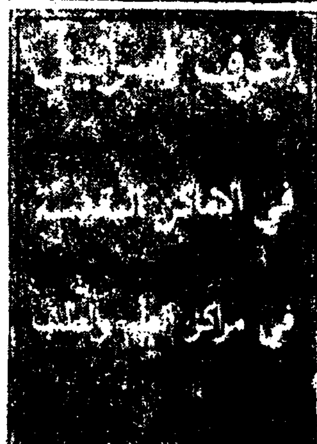
٤ – يحتفظ المشروع لكل دول المنطقة الحالية بشخصياتها المستقلة، ويصبح الأردن ، موطناً للفلسطينيين (الأردنيين) – هكذا – .

٥ – يحذّر من تزايد عدد السكان في الدول المكتظّة ، كمصر وإيران ، ويأمل أن تلجأ إلى وسائل ضبط النسل ، ولا ينسى ان يشير إلى ان استمرار النزاع بين العرب وإسرائيل إلى سنة ألفين ، من شأنه ان يعيق كل تقدم مرجوّ، بسبب تضخم الموازنات العسكرية ، التي ينبغي أن تنفق – في حالة السلم – لتقدم الوطن والمواطنين !









LOCAL TOURISM IN THE YEAR 2000

- Two million Egyptians can be expected to visit annually the holy sites of Islam.
- One million Iranians can be expected to visit annually the countries of the East Mediterranean littoral.
- Half a million Israelis can be expected to visit annually Lebanon, Egypt and other Middle East countries.
- Up to two million people from the Middle East can be expected to visit annually countries beyond this region.

٦ – سيبلغ دخل المنطقة السنوي من البترول سنة ألفين نحو عشرة بليون دولار ، يصرف ٩٠ بالمائة منها في الاقتصاد القومي و ١٠ بالمائة في البحث والدراسة وتقنين المشاريع ، ويمكن استعمال جزء منها في تطوير الصحراء !

٧ – يجري المشروع المقارنة دائماً بين إسرائيل ومصر ، ويشير إلى ان المجهود الحربي يمتص كثيراً من الطاقات التي كان يجب أن توجّه للثقافة والمعرفة . ويقدّر نسبة التعليم في القطرين المذكورين سنة ألفين على الوجه الآتي :

نسبة من أنهوا الدراسة الثانوية في البلدين ستصل إلى ٩٩ في المائة .

نسبة من أنهوا الدراسة الجامعية ، في إسرائيل ٤٠ في المائة وفي مصر ١٠ في المائة . ويتناسب تقدم كل دولة طرداً وعكساً مع موازنات التعليم فيها ، وما تستطيع ان تهيئه من مناخ علمي لأبنائها .. وما تسهم به في مجالات التقدم العلمي في العالم .

٨ – في سنة ألفين ، ستخصص الدول في منطقة الشرق الأوسط ، معدلاً كبيراً من دخلها القومي للأبحاث العلمية وسيتناسب تقدم الدول بقدر ما تستعمله من حاسبات كهربائية « كمبيوترز » .

ويقدر المشروع عدد تلك الحاسبات سنة ألفين كما يلي :

في إسرائيل اليوم ١١٠ كمبيوترز ستصبح سنة ألفين خمسة آلاف .

في مصر اليوم ١٥ كمبيوترز ستصبح سنة ألفين ثلاثة آلاف .

في لبنان الآن ٥ كمبيوترز سترتفع سنة ألفين إلى خمسمائة ..

٩ – التقدم في وسائل المواصلات سنة ألفين ، سيتحرر من القيود المفروضة اليوم بسبب الحروب ، تزداد السرعة فيزيد معها التقارب والاندماج بين الدول والشعوب .

١٠ – يكون لدول الشرق الأوسط سنة ألفين سوقٌ مشتركة كالسوق الأوروبية مقرّها « بيروت » ، وستتقاسم الدول الإنتاج وفق طاقاتها العقلية والتقنية ، فبينما تنتج مصر مثلاً الصناعات الهندسية والصلب والسيارات ،

THE YEAR 2000







SUGGESTED BIBLIOGRAPHY

Basic Data

- **United Nations Statistical Yearbook,** 1967 (or a later edition when available).
- **The Middle East and North Africa,** 1968–69, a Survey and Directory, Europa Publications, London.
- **Ernst, The Comparative International Almanac,** Macmillan London and New York, 1967

The Year 2000

- Kahn and Wiener, **The Year 2000,** Macmillan, London and New York 1967
- Calder **The World in 1984,** Penguin Books. England, 1965.
- Bell, **Toward the Year 2000,** Beacon Press. Boston, 1969
- Eurich **Campus 1980,** Delacorte Press, New York, 1968.
- Clarke, **Profiles of the Future,** Pan Books, London, 1962.
- Gabor, **Inventing the Future,** Penguin Books, England, 1964
- Harbison and Myers **Education, Manpower and Economic Growth, Strategies of Human Resource Development,** Mc Graw Hill, New York, 1964

والمحركات ، تنتج سوريا صناعات الأغذية والنسيج ، والعراق الصناعات البترولية ، ولبنان الخدمات المصرفية والتجارية والمواصلات ، أما إسرائيل فتنتج الصناعات الإلكترونية والكمبيوترز والعلاج !

١١ - يجري « تحضير » الصحراء بالتكنولوجي ، والريّ وتعذيب المياه ، واستصلاح الأرض للزراعات المختلفة .

١٢ - يصبح الشرق الأوسط سنة ألفين مركز تصدير هائل للخضار والفواكه والحمضيات إلى أوروبا .

١٣ - تصبح المنطقة وحدة سياحية متكاملة . ولا ينسى المشروع اقتراح صيَغ ووسائل دعاية مشتركة للمناطق الأثرية والدينية فتتولى شركة مصر للسياحة - مثلاً - نشر إعلان يقول : اعرف إسرائيل ، زيارات شعبية في الأماكن المقدسة ، في « الكيبوتزات » في مرافق العلم والطب .. كما تتولى شركة إسرائيل للسياحة ، نشر إعلان يقول : ستة آلاف سنة من التاريخ على بعد ساعتين .. زوروا تراث الفراعنة .. والمجتمع الجديد في مصر .. الخ !!

١٤ - سيصبح الشرق الأوسط الذي كان مهد الديانات الثلاث مركزاً لتلاقح الدين والعلم ، وتصبح القدس مناراً يتلاقى فيه الشيوخ والمطارنة والحاخامون يتناقشون ويتجادلون مع رجال العلم في أصل الخليقة ، والجنس البشري ، وعلاقات الناس ببعضهم وبمجتمعاتهم ، وبالطبيعة ، وفي ماهية الضرورات الإنسانية .. وهل تلتقي النظرة العلمية مع تعاليم الأديان ؟.. وهل يمكن تجنيد الدين والعلم في معركة واحدة ضد الفوضى والفساد ؟

١٥ - سيصل معدل عمر المرء سنة ألفين : في مصر ٧٠ سنة . في إسرائيل ٨٥ . في « الفلسطينيين » ٧٥ . في إيران ٦٥ .

وتصبح نسبة التعليم العالي : في مصر ١٠ بالمائة . في إسرائيل ٤٠ بالمائة . في الفلسطينيين ٢٥ بالمائة في إيران ١٥ بالمائة .

والدخل القومي للفرد : في مصر ٣٠٠ دولار . في إسرائيل خمسة آلاف في

NO RULES AND SOME SUGGESTIONS

Your role in this project is to make your own contribution, in whatever form you choose.

We do not wish to limit you in scope, subject or detail. But to facilitate your task we suggest some possible forms of response:

1. Critical examination of the projections of data into the future.
2. Development of one concept, or some, into a full plan.
3. Presentation of new concepts, in nutshell form, or in detail.
4. Suggestions on the application of new technologies for the benefit of Middle East society.
5. General comment on our own ideas.
6. Data which may help us in the next phase of the project.
7. Slogans, drawings, illustrations, which may be incorporated in the presentation of the next phase of the project.

الفلسطينيين – يعني بذلك الأردن – ألف وثلاثمائة . في إيران أربعمائة .

ومقدرة الفرد على اقتناء سيارة: في مصر ١٠ بالمائة. وفي إسرائيل ٩٥ بالمائة. في الفلسطينيين ٣٥ بالمائة . في إيران ١٥ بالمائة .. وهكذا !

نظرة فاحصة في هـــذا المشروع الذي هو جزء من المؤامرة للاجهاز على قوميتنا وعقيدتنا ، تصل بنا إلى الاستنتاجات التالية :

١ – افتراض زوال الكيان الأردني من الوجود ، وإنشاء كيان فلسطيني في الضفة الشرقية لاستيعاب من أسماهم المشروع فلسطينيين ، ومن هـــذا المنطلق يمكننا دون عناء ، تقييم ووزن ومعرفة أسباب النزاع على السلطة في البـــلد الحبيب الكئيب .. وتتكشف لنا بوضوح خيوط المؤامرة التي أعدّت الأردنَ منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى ليكون مقراً للفلسطينيين المطرودين من بلادهم ، وممرّاً للغزو الصهيوني، اقتصادياً وسياسياً إلى المنطقة كلها ، وبذا تتحقق الخطوة الأولى لانشاء إسرائيل الكبرى بافتراس فلسطين كلها ومنح الفلسطينيين الحق الذي حرموه.. حق تقرير مصيرهم.. لكن في غير وطنهم ! وتنجو الدول العربية من مسؤولية الثأر ، ووجع الدماغ ولو إلى حين !

وبناء على هذه المقدمات ، كان لا بد لنضج المؤامرة من تمزيق العمل الفدائي من الداخل وإلهائه عن التحرير والمصير ، بالشعارات والايديولوجيات ، وكان لا بدّ من زرع الأحقاد بين الجندي والفدائي ، وبين شرقيّ النهر وغربيه .. حتى يؤدي ذلك إلى نتيجته الحتمية : اقتتال بين اخوة السلاح ، ليتمكن مهندسو المؤامرة من تصفية القضية المقدسة بضمورها في كيان هزيـل لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، هو مطيّة للاستسلاميين والانهزاميين في ثياب معتدلين تحت رحمة إسرائيل !..

٢ – افتراض بقاء الدول العربية ، كيانات وطنيـة ، معزولاً بعضها عن بعض ، لا تمت بصلة إلى جامعتها القومية ووحدتها العربية ، من قريب أو بعيد !

٣ – افتراض ان تنعم إسرائيل بالسلم الدائم ، لتساهم بفعالية هـائلة في السوق المشتركة بين دول المنطقة ، خاصة بعد اندثار حدّة التقسيمات الجغرافية

If he is an:	His average expectation of life in the year 2000 will be:	His chances of completing 12-year education	His chances of completing university education	His average annual income will be (in dollars)	The chances of his family owning a television will be	His chances of owning a car will be	His chances of visiting a foreign country will be
Egyptian	78	99%	10%	300	30%	10%	30%
Israeli	85	99%	40%	3000	95%	95%	90%
Palestinian	75	95%	25%	1300	60%	35%	60%
[illegible]	65	[illegible]	15%	400	40%	15%	40%

وتحوّلها إلى حدود وهمية لاشتباك المصالح الحيوية بين إسرائيل وجاراتها من « دول الطوائف » الذليلة .

٤ – افتراض تقدم إسرائيل وتخلف الدول العربية ، بحيث تغدو إسرائيل قلعة اقتصادية ومنارة حضارية علمية ، وتبقى الدول العربية مجتمعات زراعية ، أو اقتصادية متخلفة ، فإسرائيل هي وحدها المهيّـأة للصناعات الإلكترونية والكمبيوترز التي هي طاقات المستقبل الحقيقية ، اما « سوريا » مثلاً فتظل سوقاً زراعية .. واما « لبنان » ، فيكرّس للخدمات المصرفية والتجارية .. الخ ...

٥ – وضع المنطقة كلها في خدمة مشاريع إسرائيل السياحية ، لأن إسرائيل أي فلسطين كلها ، بما تشتمل عليه من معالم دينية وأثرية هي مهوى أفئدة أتباع الديانات الثلاث .

٦ – افتراض استمرار الفروق الحضارية العلمية بين إسرائيل والـدول العربية ، على ما هي عليه اليوم بل تعميقها ، فبينما يصل دخل الفرد القومي في إسرائيل إلى خمسة آلاف دولار سنة ألفين يظل دخل الفرد القومي في مصر ثلاثمائة دولار !

٧ – المشروع بتمامه وكماله ، يعني شيئاً واحـداً : تصبح إسرائيل سيدة المنطقة دون منازع بين كيانات متفسخة متخلّفة حضارياً واقتصادياً ، تعتمد في بقائها اعتماداً قدرياً أزلياً على الازدهار الاسرائيلي ، والاقتصاد الإسرائيلي ، والحضارة الإسرائيلية .. إسرائيل السيدة المطلقة ، ونحن العبيد .. إسرائيـل المالكة ، ونحن الرقيق .. إسرائيل ربة النماء ، ونحن عمال « هستدروت » !

وأعود إلى الفقرة الأولى من هذه الاستنتاجات ، بمزيد من التفسير والإيضاح :

في شهر آذار سنة ١٩٧٠ أصدرت الجمعية السالفة الذكر – الهيئة العـاملة للسلام – كرّاساً تفصيلياً سياسياً لحل مشكلة الشرق الأوسط ، بعنوان : « أربعة حلول لقضية الفلسطينيين » – ولا أحسب اللؤم في هذا العنوان يخفي

SOME HARD QUESTIONS

We are painfully aware that a project such as ours cannot possibly cover from the start all important aspects of life, whether individual or social.

We can easily think of subjects which we have omitted, and which are of primary importance, such as:

- What will be the life in a Middle East village in the year 2000? How will a typical Middle East village family live in the year 2000?
- What kind of life can be envisaged for a nation burdened with an overpopulation of many millions? What kind of opportunities should such a nation offer to its teeming millions? More leisure? More education? Or more conflict?
- To what extent are the leaders and opinion makers of a nation free to plan the development of their nation according to hard facts and rational priorities? Is it at all possible for opinion makers and national leaders to evolve a leadership which breaks through existing cultural patterns and dominant prejudices?
- What are the educational possibilities to bring a nation up to the intellectual structures necessary for a *21st century society?*
- Who are the opinion makers and leaders best equipped to lead a nation in its evolution towards the needs and achievements of *21st century society?*

Those are some of the hard questions which we ask. You may, or you may not, wish to answer them. You may, if you wish, add questions of your own. As we stated from the beginning, there are no rules about how or what you contribute to our project.

على فطنة القارىء ، فالنزاع ليس بسبب القضية الفلسطينية وطناً وشعباً ، بل هو مشكلة لاجئين !؟

ويؤكد الكرّاس هذه الفكرة ويعمّقها في مقدمته التي تذكر بصراحة ، بل بوقاحة « ان لباب المشكلة بين العرب وإسرائيل هو قضية الفلسطينيين » ولا يُنهي النزاع إلا حلّ تلك القضية . وان الغرض من إصدار الكراس هو البحث بصورة واقعية عملية في الحلول الأربعة المطروحة اليوم من الجانبين . ويعلن واضعو «الكرّاس» من البداية عن اعتقادهم ان الإسرائيليين والفلسطينيين هما شعبان مختلفان ، لا يمكن دمجهما ، ومن حقهما كليهما ان يختارا الحياة التي يريدانها ، وانهم مع إيمانهم بذلك يقدمون الحلول المقترحة للنقاش الحرّ ، بغية إفساح المجال أمام كل معنيّ بالقضية ، ليُبدي رأيه فيها ..

الحل الاول :

هذا الحل يلبي تطلبات الفئات المتطرفة من الجانبين : ففي الجانب العربي ، يلزم الدول العربيــــة برفض كل تفاوض مع إسرائيل لإيجـــاد حل لمشكلة الفلسطينيين (!) وفي الجانب الإسرائيلي ، يلزم الحكومة الإسرائيلية بالاحتفاظ بالمناطق المحتلة ، لأنها تشكل حدوداً آمنة !!

الحل الثاني :

يقترح هذا الحل بعض المنظمات الفدائية التي لا تدري كيف تعالج مشكلة مليونين ونصف مليون يهودي يعيشون في إسرائيل ، فيما لو انتصر العرب يوماً ما ! ولذا يقترحون ان يقوم مقام الكيان الإسرائيلي ، كيان فلسطيني علماني يعيش فيه العرب واليهود والمسيحيون – لاحظ اللؤم في جعل المسيحيين طرفاً ثالثاً يختلف عن العرب ! – معاً في مساواة تامة .

THE UNLIMITED NEED FOR UNIVERSITY GRADUATES

A country such as the UAR may require in the year 2000:

30 000 architects to plan and design new urban and rural projects down to the single housing unit.

50 000 social scientists and social workers to plan and carry out the transformation of urban and rural slums into model projects.

500 000 teachers for secondary education to all children and for adult education.

40 000 agricultural experts to participate in research, planning and development of the agricultural sector.

50 000 programmers for computers.

100 000 mathematicians, physicists, chemists, biologists, to do pure and applied research, and to teach in universities and in schools.

الحل الثالث :

يقترح هذا الحل بعض غلاة الإسرائيليين في مواجهة الحل الثاني السابق ، بضم جميع المناطق المحتلة في حرب حزيران إلى إسرائيل ، على أساس ان إسرائيل إنما تستعيد بذلك أجزاء تاريخية من أرضها ، أجليت عنها بالقوة من قبل الاستعمار الروماني ثم الاستعمار العربي ، وبذا يصبح المليون فلسطيني الذين يعيشون اليوم في إسرائيل والمناطق المحتلة ، مواطنين إسرائيليين ، أو يترك لهم الخيار للاحتفاظ بهويتهم العربية ، ويشكلون إدارة مستقلة ضمن دولة إسرائيل !

الحل الرابع :

يفترض ان الفلسطينيين يكوّنون « أمة Nation » – لاحظ اللؤم في هـذا التصوّر – وان عليهم ان يطوّروا ويبرزوا إطاراً خاصاً بهم في نطاق محيط عربي ، يلبّي مطالبهم القومية والسياسية التي لا تتعارض مع الوجود الإسرائيلي والكيان الإسرائيلي ، وعندما يتوصّل الفلسطينيون إلى تسلّم السلطـة ، ويحققون أطماعهم في الحكم ، يمكنهم البدء بحوار مع إسرائيل للتفاوض على حل المشاكل الأخرى .. وقد ظلت إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ للآن تنتظر وجود مثل هذه السلطة القادرة والمريدة لحل الخلاف .. وكل مطلٍ أو تسويفٍ في الأخذ بهذا الحل ، سيُغري إسرائيل بالاحتفاظ نهائياً بالأجزاء المحتلة كائنة ما تكون النتائج !!

ويعتقد واضعو الكرّاس ان هـذا الحل الأخير هو أفضل الحلول ، وعلى الفلسطينيين السعي لإزالة العقبات التي تعترض سبيله لأنه المفتاح الوحيـد نحو تسوية سلمية دائمة ..

اما قضية اللاجئين فيعتقد الكرّاس ان المحاولات المبذولة لحلها على أساس القرارات الدولية في العودة أو التعويض ، غير عملية ، لأن دوافعها سياسيـة لا إنسانية ، فعودة جماهير غفيرة من اللاجئين يورث مضاعفات وتعقيدات كثيرة داخلية وخارجية ، من شأنها أن تطيل المأساة وتؤخّر التسويـة ، اما الحلّ الإنساني فهو توطينهم في محيط عربي يسهل انتماؤهم إليه ، وبدلاً من أن تنفق إسرائيل والدول العربية ألفي مليون دولار في كل سنة على الأغراض العسكرية فان نسبة معقولة من هذا المبلغ الكبير ،تنهي المأساة ، وتحدث تطوراً وازدهاراً للاجئين والدول العربية التي تحتضنهم على السواء !

وأنا لست بصدد تفنيد الحجج اللئيمة المتداعية التي أوردها الكراس لتوكيد أهدافه ، ويكفي أن أركّز على ما تفترضه العقلية الإسرائيلية من استمرارية تمزّق القوى العربية والطـاقات العربية دولاً وجيوشاً وفدائيين .. وعجزها الدائم عن أملها في الوحدة لمواجهة التحدّي ومجابهة العدوان ، وينطلقون من

هذا الافتراض الخبيث إلى التلاعب بقضايانا المصيرية ، ووضع مخططاتهم الرهيبة في وضح النهار للإجهاز على أملنا من الوحدة وأملنا في التحرير .. بل أملنا في البقاء ! ونحن في غفلة عما يصنعون !!

*

يا أخي القارىء

إذا لم تكتمل في ذهنك بعد ، صورة المؤامرة بمحتواها ومضمونها ، مؤامرة الصليبية الجديدة ، والغزو الصهيوني ، وما وَطـّأ لتلك المؤامرة ومهّدَ لذلك الغزو ، من شعارات وايديولوجيات ، وألاعيب فكرية بهلوانية ، لا تمت بصلة إلى ماضيك وحاضرك .. إلى ضميرك ووجدانك .. إلى تراثك وعقيدتك ، حتى لقد أصبحنا من الهوان بحيث يجلس بضعة نفر من أعدائنا في قدس أقداسنا ليرسموا لنا مستقبلنا ، ويحدّدوا لنا أهدافنا ويقرّروا لنا مصيرنا..

إذا لم تكتمل في ذهنك الصورة ولم تهزّك الأحداث ، فافهم عني ، وخَلاكَ ذَمٌ ، ان من لا ماضي له لا مستقبل له ، وان من لا تراث له لا بقاء له .. وان من لا دين له لا وطن له ، وان من لا يخشى الله ، قد يغدو أي شيء : خائناً أو مجرماً ، أو عميلا .. ذلك ان الدين ، رادع وحافز ، وحين يذهب الدين تخبو إنسانية الإنسان وتهون كرامته ولا يبقى إلا خراب الضمير ، وجدب العقول ، وعفن النفوس .. تلك معادلة بسيطة كالحق ، تجب نباح النابحين وطنين الذباب وتجتث كيد المتآمرين .

وأرجو أن تفهم عني ، ان أمضى أسلحة المعركة هو الإيمان ، وان لا معنى لصراعنا مع عدونا إلا إذا كان مروءة ونخوة ، وجهاداً وثأراً ، ولذا وجب علينا ان نوطـّن أنفسنا بسلاح التقوى واليقين ، على حرب طويلة أزلية سرمدية بين إسرائيل والعرب ، بين الصليبية والإسلام ، لا نستسلم ولا نستخذي ولا نتخاذل حتى يأتي أمر الله ..

لقد رأيت كيف توهن المؤامرة عرى ارتباطنا الأخلاقي بمفاهيمنا الحضارية ،

فنهزم أنفسنا قبل أن يهزمنا الأعداء ..

وعرفت كيف يخطّطون للقضاء على وجودنا كأمة بحضارة وعقيدة ، ونحن كالأنعام الضالّة تدبّ في الأرض على غير هدى ، لا تعي تفاقم الخطر ، ولا تدري كيف تتقيه ..

يخططون لسنة الألفين ، ونحن نمضغ ذلنا ، نصطنع كل شهر موقفاً ، ونعلن كل يوم خطة ، ونهدم كل ساعة طاقات !

بنادقنا مسددة إلى صدورنا، ورصاصنا يمزّق أجسادنا .. قد دمرت مجتمعنا الكراهية ،ولوّثت نفوسنا الأحقاد..وإذا لم نعد إلى إيماننا بالله وبأنفسنا وبقضيتنا وبأرضنا ، وبغدنا ، لن يثبّت الله أقدامنا في صراع البقاء ..

ووالله لكأني أسمع من مشارف الأفق إلى صوت أبيض ، ينادي للجهاد ، فتعال معي يا أخي متخلّى من هموم دنيا مدبرة قد آذنت أهلها بصَرْمٍ ، نبلي في الله حقّ بلائه ، ونأخذ مكاننا في الصابرين ، ونتلمس طريقنا إلى الخير من جديد ونهتف كما هتف آباؤنا : الله أكبر والعزة للمؤمنين !

١٤

نحن وهم في عواصم العالم

وبعد .. ان الحديث بقية ..

في حياة كل إنسان ، أيام سعد .. وأيام نحس ! وفي حياتي الشقية أيام شؤم ثلاثة ، وددت والله ، حين شهدتها وعانيتها ، ان لم تلدني أمي : اليوم الأول : يوم فقدنا القدس في السابع من حزيران ١٩٦٧ .. واليوم الثاني، يوم السابع عشر من أيلول سنة ١٩٧٠ يوم اقتتال اخوة السلاح .. اخوة الدم والدين ، في شوارع عمان على بعد نصف ساعة من عدوّنا الأزلي ..

واليوم الثالث ، هو يوم السادس عشر من حزيران سنة ١٩٧٠ حين دخل علي مكتبي في لندن المدعو « باري وين Barry Wynne » ولم أكن رأيته من قبل ، ليقول لي — وحوادث حزيران الدامية في الأردن هي موضوع الحديث — ؛ بعد مقدمات طويلة ظاهرها حسرة وباطنها لؤم : ان الدول الغربية معنيّــــة ببقاء الأردن ، وكذلك إسرائيل (!) ، وهو يعتقد مخلصاً (!) فيما بلغه من مجرى الأحداث ، ان السلطة في عمان بعد ان استشرى العمل الفدائيّ ، وآضَ ابتزازاً

وانتهازاً ، وبلاء على المواطنين – كما قال – قد أضحت عاجزة عن وضع حد لتلك الفوضى ، حرصاً على علاقة الأردن بشقيقاته العربيات.. ولذا جاء ليطرح فكرة خطرت له ، ويرى رأيي فيها .. قلت : ماذا تريد ان تقول ؟.. قال : وددتُ لو كان بالإمكان الاتفاق على السماح لجيش الدفاع الإسرائيلي باجتياح المنظمات الفدائية في الأردن ، لمدة ثلاثة أيام « فقط لا غير » ، فيعيد الأمن والاستقرار ويعفيكم نهائياً من مؤامرات الفدائيين !! ثم يعود من حيث أتى ! قلتُ والدم يتفجّر في عروقي : هذه إهانة أحتقرها ، وأردها عليك ، وكل ما أجيبك به : انني أكرم عند نفسي وعند الله من أن أتلقّى منك هذه النصيحة القذرة ؟!! وأؤمن ان ليس في بلدي من يحلم بما تقول .. وان جيشي أشرف من أن يتخلّى عن مسؤولياته في معركة المصير .. وان للبيت رباً يحميه وليس فينا ، من قبل ومن بعد ، من يضطغن على العمل الفدائي الشريف ، فهو بضعة منا ، ونحن بضعة منه .. وقد يكون فيهم من هو منحرف أو دخيل يريد أن ينقل المعركة من حيفا إلى عمان ، غير ان واجبنا جميعاً أن نطرد من صفوفنا العملاء لنسلم وحدتنا من المتآمرين ، ولنموت جميعاً عند مقدساتنا في الوطن الجريح ! ونحن وهم ، شئنا أم أبينا ، وبالرغم من مكائد السفهاء ، رفاق جهاد ، واخوان سلاح .. أما أعداء وطني وقوميتي وديني ، فهم هناك ، على الجانب الآخر من النهر ، فكيف تجرؤ يا هذا أن تطلب مني بوقاحة ، أن أدير ظهري لبقية أملي وقدري ، وأستمين بأعدائي ؟

فتلجلج مستر « وين » وأفلج ، ولم يدرِ كيف يواري سوءته إلا بالجمجمة والاعتذار ، ومضى كسيراً لا يلوي على شيء ..

قلت لصديقي وزميلي في السفارة « نبيه النمر » : ان ذاك اليوم الأغبر ، هو أشأم أيام حياتي الشقيّة ..

يا إلهي ، أيبلغ من ضيمنا بأنفسنا ، أن يأتي من يساومنا على شرفنا ؟

أرأيتم ضراوة المؤامرة التي تطبق علينا من كل صوب !؟ .

إنما نقصّ عليك ما نُثبّتُ به فؤادك ، وننذر به قوماً لُدّاً ، فلا تكوننّ

من المعترين ..

ولقد انطويت على نفسي .. أفكّر فيما يدبّر لنا ونحن في غفـلة عنه . فاستبانت الجريمة في عقلي ووجداني ، ووضح لي ما تنسجه الأيدي المجرمة في الخفاء .. يستمر الصراع في عمان ، من أجل السلطة لا من أجل المصير ، وتتراكم الأحقاد بين شرقي وغربي فلسطيني وأردني ، وتنزف الدماء ، وتهدر الطاقات لا في سبيل استعادة القدس ، بل في سبيل تدمير الأردن ، وفي اللحظة التي يتم فيها انهيار منطلق الثأر ، لا سمح الله ، ينسل إلينا جيش إسرائيل ، ليجهز على ما بقي من أشلاء ويجيء بنفر من صنائعه ، المعدّين لمثل ذاك اليوم ، ويقول لهم يمنّيهم : هذه أرض لكم فاحكموها كيف تشاؤون ، وتعالوا نتعايش لنكون نحن السادة ، ، وتكونوا أنتم الأقنان والعبيد .. وتعـال أنت يا جعبري .. ويا زعبي ، خذوا عظمة معروقة .. خذوا ما حلمتم به من مجد عريض ، أنقاضاً وركاماً ، ولا غضاضة عليكم بعد اليوم ان تسموها الجمهورية الفلسطينية الشعبية الديمقراطية .. ووداعاً يا شرف .. بل وداعاً يا قدس ويا فلسطين !..

ولست والله أذكر وأنا أخطّ هذه الأحرف الباكية إلا أضرحة الشهداء من صحابة رسول الله ﷺ المنثورة في هذه الرحاب المقدسة : زيد بن حـارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وحذيفة وشرحبيل وأبي عبيدة عامر بن الجراح، وغيرهم ممن تستضيء بنورهم هذه الربى .. ممن لم تلههم تجارة الدنيا عن عزّة الآخرة .. ممن جاهدوا تحت راية محمد لا رايـة « نيكسون و كوسيجن وماوتسي تونج » ماذا ترى يقولون لنا لو نفضت عنهم أكفانهم فرأوا ما نحن فيه من فتن يأخذ بعضها برقاب بعض ، وأحقاد كقطع السحاب وصخب يطاول السماء ، فكم من وشائج قربى قد صوّحت ، وكم من شوابك أرحام قد قُطّعت ..

لكأني بهم يبصقون في وجوهنا ويصيحون بنا :

— كلكم طالب صيد ، يا كذبة .. يا فجَرَة .. يا أشباه الرجال !!

*

والقصة بقايا ..

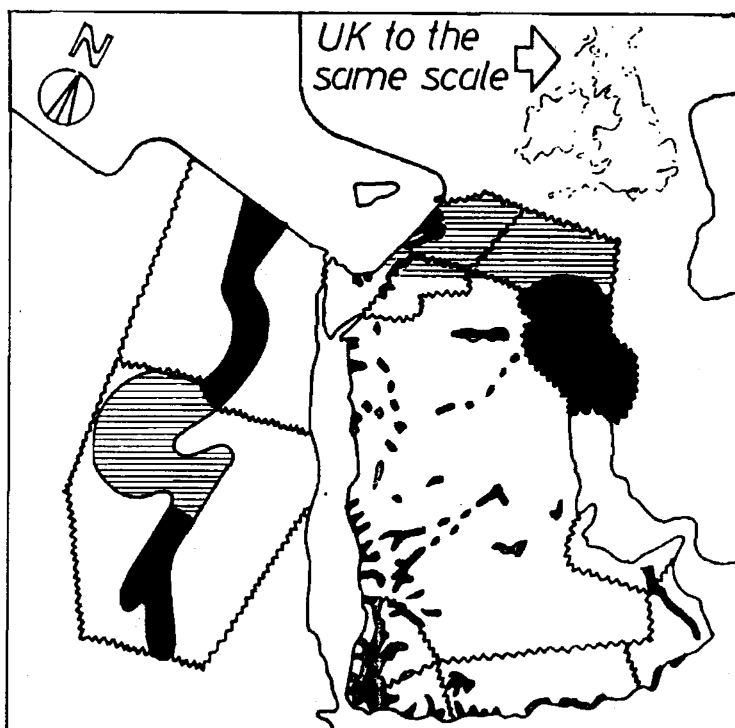
بتاريخ ١٠ — ١ — ١٩٧٠ ، زارني في مكتبي بلنـــدن المدعو « إدْ لويس Ed Lewis » ولم أكُ رأيته قبل ذاك .. وبعد حديث قصير عن ويلات الحرب ومحاسن السلام في الشرق الأوسط ، قال لي : ان زيارته لي هي زيارة محض علمية ولا علاقة لها بالسياسة .. وانه يحمل مشروعاً مدروساً مكتمل النهج لخطة تعاون زراعي بين الأردن وإسرائيل في منطقة من الأغوار جنوب بحيرة طبريا ، مساحتها مئة ميل مربّع ، كجزء من مشروع ريّ متكامل في منطقة الشرق الأوسط ..

واستطلعت هويّته ، فعرفت انه يهودي !

فقلت له : ان الأراضي الغورية التي يشير إليها مشروعك ، هي جزء من الأردن ، ولا علاقة لإسرائيل به ، وإذا كان بعضها اليوم هو جزء من الأراضي المحتلة ، فليس يعني ذلك ان تكرّس ملكاً باقياً لإسرائيل .. وكيف تريدنا أن نتعاون مع عدو يحتل بلادنا ونحن في حرب معه لن نلقي سلاحنا حتى نحرر أوطاننا .. ومع ذلك تريد أن نعترف له بمشاركتنا في أرضنا ؟

قال : انه سبق ان قدم هذه الدراسة لسفيرين سابقين وانهما أعجبـــا بها ووعدا بإرسالها إلى الحكومة الأردنية .. وبعد مماحكة وجدال قلت له : انني أرفض حتى بمجرد النظر في مشروعه ، لا إرساله إلى عمان ، واستفزّني إلحاحه المريب ، فعنفت به وقسوت عليه .. فنهض يشدّ على يدي ، غير يائس ، ويهمس راجياً أن أقبل دعوته لي للعشاء في اليوم الذي أختار ، ويأمل أن يكون قبولي مناسبة طيبة ليجمعني في منزله بالسفير الإسرائيلي لنتحدث في خـــلوة هادئة لا يدري بها أحد في قضايانا المشتركة (١) وعقّب قائلاً : ان السفير صديق له ، وهو يعرف عني انني كنت رئيس وزراء الأردن أثناء حرب حزيران ، وانني ألّفت كتاباً عن الكارثة ، ويودّ السفير أن يناقشني كذلك فيما احتواه الكتاب !

قلت : اسمعْ يا هذا ، لا أريد دعوتك ، بل أرجو أن لا أرى وجهك بعد اليوم .. أنا امرؤ مسلم لا أخشى غير ربي ولا أرضى لنفسي أن أنهض لعمل



MIDDLE·EAST·RENEWAL·REGIONAL·PLANNING
agricultural and food production summary

intensive cultivation
secondary cultivation
fertile areas actual & potential

متخفياً بجنح الظلام ، متوارياً عن الأنظار .. وشرفي يمنعني أن ألقى من يحتل مقدساتي ، وبيني وبين سفيرك ثارات ودماء ، وكيف أقابله ؟ ولماذا ؟ وماذا أقول له ؟؟..

ونفضت يدي من يده وأنا أكرر : أرجو أن لا أراك بعد اليوم !!

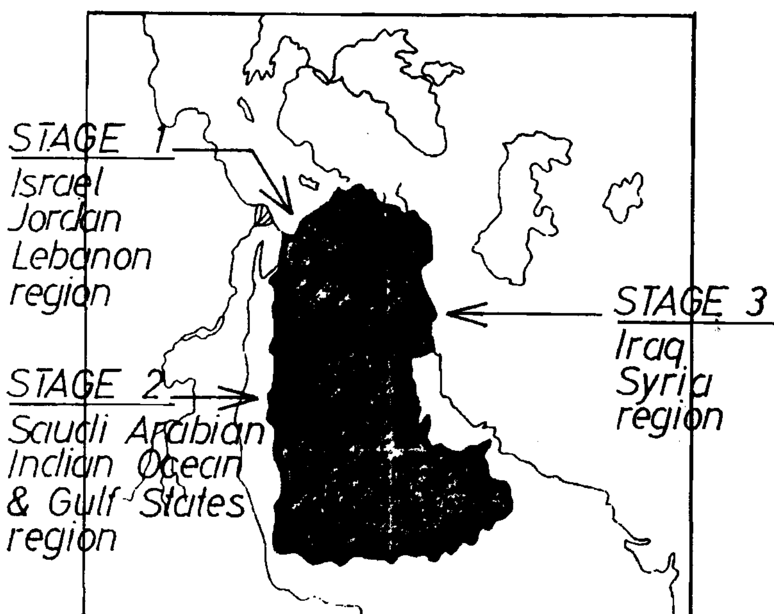
وعجبت لصفاقته حين تلقيت منه بعد يومين اثنين رسالة طويلة تفسّر مشروعه اللئيم ، مرفقة بمصوّرات مصغّرة ، أنشرها مع كلماتي هذه ، ليرى القارىء كيف يخططون لنا وكيف يتآمرون بنا ، وكيف يستغلّون كل فرصة لائحة ليقحموا أنفسهم علينا دون حياء ..

وتصدق فينا قولة من قال : الخطأ هو من طبيعة الإنسان اما الاستمرار في الخطأ فهو طبيعة الحمقى والمغفلين !!

كتب المحرر السياسي لجريدة «التايمز» مستر «هودجكن» في ٢٨-١٠-١٩٦٩ مقالاً طويلاً يصف فيه مشاهداته في الضفة الغربية المحتلة .. أحدث ضجة في الأوساط السياسية في العالم، واتخذته هيأة الأمم المتحدة، وثيقة تدين إسرائيل، تحت رقم ٥ – ٩٥٠١ تاريخ ١٠-١١-١٩٦٩ .

وهذا هو المقال ، أسجله بنصه الكامل نظراً لأهميته ، وقدرة كاتبه وتجرّده ومكانة الجريدة التي نشرته :

« يعيش العرب في الضفة الغربية وفي قطاع غزّة تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ سنتين ونصف تقريباً ، وليس من المتوقّع أن يكون احتلال كهذا مقبولاً ومحتملاً ، ولكن الذي أدهشني حقاً ، هو عمق الكره لإسرائيل ، وتشبه الحالة النفسية للمواطنين العرب حالة الفرنسيين تحت الاحتلال النازي أوائل عام ١٩٤٢ .. الشعور السائد ، فقدُ الأمل في قبول الناس له ، فالمظالم التي ترتكب قاسية ، وحركة المقاومة تنمو وتتضاعف ، وكلا الأمرين يزيد النار اشتعالاً .. ومع ان أساليب القمع الجماعية والعقوبات المشتركة ، لم تصل إلى نهاية الشوط بعد ، فان استمرار الوضع على ما هو عليه ، سيؤدي حتماً إلى تلك النهاية .. وبالرغم من كل ما قيل ويقال بأن الاحتلال الإسرائيلي عادل ورحيم ، وبأن



ENVIRONMENTAL REVOLUTION AUTHOR — SEE ALSO "TIMES" FEATURE ARTICLES FOR JANUARY 2nd AND 3rd 1970 — MAX NICHOLSON'S SUGGESTED AMENDMENT TO ED LEWIS "MIDDLE EAST RENEWAL" REGIONAL PLANNING INQUIRY PROJECT INVOLVING ARAB—ISRAEL CONSTRUCTIVE COOPERATION

---

* in the Dec 16th 1956 "Observer" Max Nicholson published his "Plan For The Middle East".

"Israel must submit a constructive counterplan for lasting peace" from Jan 1970 Israel 'Al Hamishmar' —— "I still believe that a political settlement would preserve us from incalculable catastrophes" Nasser to Jan 1970 'Africasia'.

العرب قد رضخوا له ، فان ذلك بعيد عن الواقع . ان الإسرائيليين مصممون على قمع كل معارضة ، كتصميم روسيا على قمع حركة التحرر في تشيكوسلوفاكيا ! والفرق بين الحالين ان الإسرائيليين هنا في وضع أفضل ..

الاجراءات التي يمارسها الإسرائيليون تشمل :

١ — الطرد والاقصاء : فقد استطعت أن أسجّل تسمين حادثة عن قذف مواطنين عرب ، عبر الحدود الأردنية ، معظمهم من ذوي المكانة والنفوذ في حياة الضفة الغربية ، كرئيسي بلديتي القدس ورام الله . وعدد من القضـــاة والمحامين والأطباء والمعلمين ..

٢ — هدم المنازل : قبل حادث « حلحول » تم نسف نحو ٧١٤٠ منزلاً في الضفة الغربية .. ودمّرت قرى بكاملها بحجـة ضرورات الأمن . وفي حالات كثيرة ، نسفت بيوت بزعم ان بعض المتعاطفين مع العمل الفدائي يسكنونها . والذي يثير ثائرة العرب ، ان النسف كثيراً ما يرتكب على الظن أو الشبهة ، قبل الادانة ودون تحقيق ! بل دون مراعاة ما إذا كان موضع الشبهة لا يملك العقار .. مستأجراً أو مالكاً ، مذنباً أو بريئـاً ، بحيث يصبح الاستيلاء على الممتلكات عنوة أقل ضرراً مع ما في تحويل مستشفى جديد في القدس العربية مثلاً ، إلى مركز شرطة ، من إهانة متعمّدة .

٣ — السجن : تكثر حالات السجن الاحتياطي لمدد طويلة دون محاكمة .. وإخفاء أماكن الأظناء ، ورفض السماح للأقارب أو محامي الدفاع بالاتصال بهم . وكثيراً ما يقدّمون لمحاكمات عسكرية ويتولّى الدفاع عنهم محامون إسرائيليون . وغني عن الذكر ان الأحكام الصادرة في محاكمات صوريّة كهذه تكون بالغة القسوة . في اليوم الذي زرت فيه نابلس مثـــلاً ، ذكرت جريدة « جيروزاليم بوست » ان المحكمة العسكرية حكمت على أربعة أفراد من خليّة فدائية ،لا تزيد أعمار اثنين منهم على سبع عشرة سنة وإحدى وعشرين بالسجن المؤبد .. وعلى آخر في الثامنة عشرة بالسجن ثلاثين عاماً ، وعلى الرابع وهو في السادسة عشرة بالسجن خمسة وعشرين عاماً . والذي لم تذكره الجريدة ان

المحكمة اعتبرت صغر سن المتهم الأخير واعترافه بجرمه ، أسباباً مخففة ، ولست أدري ما إذا كانت المحكمة فيما قالت جادة حقاً أو هازلة !! مثل هذه المحاكمات والأحكام ترتكب كل يوم !

٤ – **التعذيب** : الاعتقاد السائد لدى كافة المواطنين في المناطق المحتلة ، لا العرب وحدهم ، بأن كل من يشتبه بانتمائه إلى منظمة فدائية أو مساعدتها بأية صورة من الصور ، يخضع للتعذيب كإجراء روتيني يومي . والشواهد والأدلة ، تؤيد هذا الاعتقاد ، أما الأساليب التي تتبع فتعيد إلى الأذهان ما جرى في الجزائر ورومانيا ، وفيتنام وغيرها ، من تعذيب بالشحنة الكهربائية إلى كل ما عرف من أساليب الضرب .. ويقال ان عمليات التعذيب هذه تجري في مراكز التحقيق في الساحة الروسية في القدس ، وفي معسكرات صرفند وعسقلان !

٥ – **الاحكام العرفية** : تلجأ السلطات في كل مكان وفي ظروف خاصة إلى تقييد حريات المواطنين كإجراءات أمن. أما الإسرائيليون فيستعملونها عقوبة .. حادثة بيت ساحور هي مثال حيّ في أذهان الناس .. هنا مجتمع قبلي متحضر ، تعيش كل عائلة في منزل منفرد . أقام الفدائيون في مشارف القرية قواعد للصواريخ أطلقوا منها عدداً من القذائف ، فسقطت اثنتان منها في القدس في آب الماضي . ادّعى الاسرائيليون ، وادّعاؤهم لا شك معقول ، ان بعض القرويين كان يعلم عن تلك القواعد .. ففرضت الأحكام العرفية على القرية كلها لمدة أسبوع ، لا يسمح لأحد أن يغادر منزلاً أو حق أن يفتح نافذة . ولك أن تقدّر الحالة الناجمة حين تعلم ان المراحيض كانت خارج الدور وان الحرّ خانق ، بالاضافة إلى ان جميع الماشية التي يملكها القرويون قد نفقت أو استهلكت . واستمر الوضع أسابيع أخرى بصورة أخف ..

٦ – **الرخص والتصاريح** : لا يسمح بالتنقل إلا بموجب ترخيص ، من وإلى شرق النهر أو منطقة القدس التي ضُمّت إلى إسرائيل ، مع العلم بأن أكثر من نصف سكان فلسطين قد تشتّت نتيجة الحروب ، وبعد الحرب الأخيرة

ازداد تمزق العوائل أكثر من أي وقت ، وأصبح « جمع الشتات » بصورة مؤقتة أو دائمة بالغ الصعوبة . ومن الطبيعي ان الاسرائيليين يلقون اللوم في كل شيء على العمل الفـــدائي ، ويزعمون ان أعمال القسوة والعنف ستنتهي عند تلاشي هجمات الفدائيين . وربما كان هذا الزعم كاذباً ، لكن يبـدو من غير المعقول توقّع استسلام الفلسطينيين للأمر الواقع ، وعدم مقاومتهم للاحتلال العسكري الغريب كما يصنع أي شعب آخر . ويبرر ردّة الفعـــل هذه عندهم اعتقادهم – قياساً على السابقات – ان هذا الاحتلال هو مقدمة للضمّ . ويجب أن أعترف هنا بأنني خلال تجوّلي في الضفة الغربية ، وجدتني مضطراً لقبول وجهة النظر العربية ، بأن ذلك هو هدف إسرائيل ، وانها ترى ان نهر الأردن هو الحدّ الطبيعي التاريخي الاستراتيجي الآمن ، ولذا تشيّد المستوطنات بكثرة في الضفة الغربية ، وتتزايد المنشآت والأبنية حول القدس ، وتشقّ الطرق ، والمواصلات العسكرية باستمرار ، ودلالة ذلك تصميم القوم على البقاء حيث هم .. والعائق الوحيد لهذا المخطط ، تواجد نحو مليون عربي في الضفة الغربية وغزة ، ولذا تبذل كل الجهود لإقناعهم بالرحيل ، وبما ان محاولات الإقناع والإغراء ، تصطدم بصمود المثقفين وذوي النفوذ في المجتمع العربي ، نرى إسرائيل تقـــذف بهؤلاء عبر الحدود ، وتلحق بهم عوائلهم ، وتحطّم تماسك الآخرين بجعل الحياة غير محتملة ، اما لأنهم لا يجدون كفافهم ، لتعـذّر مجالات العمل ، أو لتزعزع قدرتهم على احتمال مكاره الاحتلال .. ويقلق جميع طبقات الشعب ، بصورة خاصة – حرصهم على مصير أبنائهم ! ما هو مصير المدارس العربية ؟ وماذا سيحدث لهم وهي مهددة بالتعطيل إذا أضرب الطلاب أو تظاهروا ضد سلطات الاحتلال ؟ .. لقد أقفلت مدرستان في نابلس وأخرى في جنين تديرها هيأة الإغاثة أثناء زيارتي ، وأكرهت جميع المدارس في القطاع العربي من القدس الذي ضمّته إسرائيل على تغيير المناهج والكتب الأردنية إلى إسرائيلية ، فيبـدأ الطالب العربي درس القراءة العربية بجملة : « أنا مواطن إسرائيلي » وتصبح هـــذه المهانة ومثيلاتها حافزاً لهجرة أكثر الناس وطنية ، ناهيك بالمواطن العادي .

ولا تغادر السلطة وسيلة لا تستعملها لتشجيع وتسهيل الهجرة .. أثناء حوادث « بيت ساحور » المار ذكرها ، مثلاً ، أعلن ان السلطة مستعدة بوسائط النقل العسكرية ، إيصال من يرغب بالذهاب إلى « الملك حسين » ! ولجأت حتى إلى الرشوة لحث المواطنين إلى الهجرة .. ولا تحتاج إسرائيل إلى إقصاء المليون عربي جميعهم بل يكفي تهجير وطرد نصفهم أو ربعهم ، وتتكفل بتشتيت شمل المجتمع العربي المتبقّي قانونياً وجغرافياً بحيث يغدو ضئيل الأهمية !..

هذه الصورة الكئيبة لواقع الاحتلال الاسرائيلي في الضفة الغربية هي صورة داكنة حقاً ، خاصة عندما تقاس بمعاملة إسرائيل المثالية لأبنائها .. وكثير من الناس هنا يعتقدون بسذاجة ان تلك المظالم لا يمكن تصور حدوثها !.. ولعل تلك اللامبالاة تشكّك العرب بازدواجية السلوك الغربي ، ويدلّلون على ذلك بأمثلة كثيرة ، فيقولون لنا مثلاً : انكم تهلّلون عندما تتظاهر « براغ » ضد الاحتلال الروسي ، وتلحّون على ضرورة التحقيق في ما تستعمله السلطة من أساليب القمع والإرهاب في اليونان .. وتؤيدون تحدّي المقاومة للسلطة في اثينا .. وتحتجون إذا احتجزت حكومة جنوب أفريقيا بعض من تشتبه بهم من المخرّبين في السجون أشهراً دون محاكمة .. غير ان مثل هذه الجرائم ترتكب يومياً في الأجزاء المحتلة دون أن يباليها أحد !!

٧ — **استعمال القوة** : ان السبب الرئيسي لتزايد النشاط الفدائي ، هو اعتقادهم بأنه على الرغم مما تدّعيه معظم الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة وبريطانيا من إيمانها بضرورة انسحاب إسرائيل ، فان تلك الدول لم ولن تمارس ضغطاً حقيقياً يؤدي إلى ذلك . ولذا وجب على العرب أن يتولّوا أمرهم بأنفسهم خاصة أصحاب القضية الذين لم يستشاروا قط فيما حلّ بهم منذ كانت القضية !! والفكرة السائدة في المنطقة المحتلة انه ما حكّ جلدك مثلُ ظفرك . وان هذا يعني منطق القوة ، لكن هناك نظريات وآراء مختلفة حول الأهداف السياسية ، فالبعض يشعر ان عليهم التضحية بكل شيء في سبيل

الخلاص من ربقة الاحتلال ! والبعض الآخر يقول ان انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل حزيران لن يُنهي المشكلة وهناك رأي ثالث يلقى انتشاراً ويقول بتسليم الأجزاء المحتلة إلى عهدة الأمم المتحدة لفترة انتقالية .

هذا الرأي الأخير ، في اعتقادنا ، يطرح الأمل الوحيد .. ان لم يكن أمل السلام ، فهو على الأقل يحاول تجنب الآلام المتراكمة عند أطراف النزاع وإلا فلا بد من استمرار الصدام .

ان جميع أنواع الاحتلال سيئة إذ تؤول القوة إلى أيدي المتطرفين .. عصى غليظة في جهة ، وقنبلة في الجهة الأخرى . ذاك هو واقع الأشلاء المتبقيـــة من فلسطين اليوم .. وعلى العموم فان عرب فلسطين هم أكثر أبناء جنسهم ذكاءً وانضباطاً واعتدالاً ، وجلّ ما يطمحون إليه أن يميشوا ويسعدوا في الأرض التي هي وطنهم منذ زمن طويل . ومأساتهم اليوم انهم يعذبون أو يحملون على التشتّت والتشرّد من قبل .. شعب وجيش إسرائيل » !!

ومن مقال للكاتب الانكليزي « بريان ماجي Bryan Magee » نشر في مجلة « المستمع » التي تصدرها دار الإذاعة البريطانية في ١٩–٣–١٩٧٠ وأذيع في سلسلة تعليقات سياسية بعنوان « آراء شخصية » :

« من المؤسف اننا في هذه البلاد – انكلترا– نعالج مشكلة الشرق الأوسط والنزاع العربي – الاسرائيلي من زاوية واحدة .. زاوية إسرائيل !!.. ولذا تتصف آراؤنا على الغالب ، بالتحيّز والتعصّب . فمثلاً ، كانت وسائل إعلامنا أثناء حرب الأيام الستة ، منحازة كلياً لجانب إسرائيل ، دون معارضة ،وعندما انتهت تلك الحرب، قدّمتُ برنامجاً تلفزيونياً حاولت فيه أن أجيب على سؤال : « كيف يشعر العرب في أعقاب تلك الحرب ؟ وما هو رد الفعل المباشر للهزيمة ؟ وكيف ينظرون إلى المستقبل ؟.. وقبل انتهاء عرض البرنامج انهالت المكالمات الهاتفية على المؤسسة ، تحتجّ على التحيّز – فيما زعمت – لوجهة النظر العربية ، وتبع ذلك أكداس ضخمة من الرسائل ، والشكاوى .. ولم يقف الأمر عنـــد هـــذا الحدّ ، بل أثير الموضوع في مجلس العموم ، وعندما رغبت إلى الشاكين

والثائرين تحديد شكاواهم موضوعياً ، كان جوابهم الدائم ، انني قصرت برنامجي على القضية العربية ولم أشر إلى إسرائيل !.. مع ان غرض البرنامج كما ذكرت كان محاولة التعرّف إلى المشاعر العربية بعد الهزيمة ! ومع ان محطـــة التلفزة نفسها قد كانت قدمت في الأسابيع السابقة برامج متعددة ، تؤيد وجهة النظر الاسرائيلية ، فلم نتلقَ أكداس الشتائم ولم تصل القضية إلى البرلمان ؟!

هذه الحادثة تلقي الأضواء على موقفنا الظـــالم المتحيّز لإسرائيل ! ذلك الموقف الذي لا يتّسع لسماع القصة العربية ، حتى ان الكثير من الناس في هذه البلاد لم يتمكّنوا من أن يعرفوا ان للعرب قضية على الإطلاق .. ولقد تأكد لي بالتجربة والمعاناة انك تعتبر محايداً إذا أبرزت وجهة النظر الاسرائيلية .. أما إذا تجرّأت على إبراز وجهي المأساة ، فأنت متحيّز ضالع مع العرب .. ففي مدى السنتين الماضيتين بعـــد حرب الأيام الستة ، تحركت عواطف الرحمة بالمهزومين وقضيتهم ، وطفا ميْلٌ واضح بالرغم من ضآلته نحو العرب .. لكن هذا الموقف – كما يبدو لي – هو تجاوب هامشيّ لا يتعمّق القضية ، وبذا يبقى التحيّز لإسرائيل هو القاعدة الأساسية والطابع العام، ففي هذه اللحظة بالذات، تقوم منطقة انتخابية تابعة لحزب العمال لتطالب بإقصاء ممثلها في مجلس العموم لانتصاره لحق العرب .. وليت شعري ماذا يحدث لو قامت منطقـــة أخرى تطالب بإقصاء ممثلها لانتصاره لباطل إسرائيل ؟! لو وقع هذا – وهو افتراض غير وارد – لتعرض عدد كبير من أعضاء المجلس لمشاكل خطيرة.. ومن البديهيات والمسلّمات ان الأغلبية الساحقة من وسائل الإعـــلام ما تزال مع إسرائيل ، بالرغم مما قد يشعر به بعضنا من فراغ صبره لغطرسة إسرائيل !

انها لتجربة مثيرة حقـــاً أن يحاول أحدنا معالجة القضية من وجهة نظر عربية ؟

عندما أنشأت هيأة الأمم إسرائيل إنشاء مفتعلاً مبتسراً سنة ١٩٤٧–١٩٤٨ لم تكن المنظمة الدوليـــة ، ما هي اليوم .. كانت صنيعة الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة . ولقد كان المناخ الدولي برمّته مختلفاً جداً . ولست

أعتقد أنّ من الممكن أن يحدث اليوم ما حدث بالأمس : تلتقي الدول الكبرى لتنحت لقوم مشردين وطناً يخصّ آخرين – دون التفات لمصيرهم ، واستشارة لجيرانهم – وترسم له الحدود خبط عشواء .. مثل هذا التصرف الفاضح يعود إلى عصور الأمبريالية التي انتهت بالقرن التاسع عشر .. وفي اعتقادي ان ذلك الاجراء كان آخر إجراء أمبريالي بذلك المفهوم ! ولقد كان من الطبيعي ان يحتج العرب وان يرفضوا قيام دولة هجينة في أراضيهم ، فأعربوا عن مخاوفهم المرة تلو المرة بأن زرع الدولة الجديدة الغريبة في قلب وجودهم ، هو بمثابة رأس جسر أمبريالي يعوّض عن انسحاب بريطانيا وفرنسا من المنطقة ، وقد قوبلت تلك المخاوف حينذاك بالهزء والسخرية والتجاهل التام .. ولكن الأيام حققت ظنون العرب بعد أقل من عشر سنين في عدوان السويس » !

ونشرت المجلة إلى جوار مقال الكاتب حادثات غريبة تؤكد ما ذهب إليه ..

– منذ سنين ذكر تقرير صادر عن دائرة البوليس أذيع بالراديو ، يعيّن أوصاف مجرم فار : « ان له ملامح يهودية » . ولم تكد المحطة تكمل إيراد البيان حتى انهالت الشتائم والاحتجاجات في سيل عرم من المخابرات الهاتفية الغاضبة .

– نشرت جريدة « الغارديان » مقالاً يتضمن سخرية بزوجة يهودية ، فانثالت الرسائل « إياها » تتهم الجريدة باللاسامية ، وبينها رسالة من لجنة النواب اليهود .

– حاولت محطة تلفزة ، تقديم إعلان عن بعض المأكولات ، واستخدمت من يقدمه بلهجة يهودية ، وقبل إخراج الإعلان على الشاشة ، قررت الهيأة المشرفة على البرامج ان الأفضل تحاشي المساس بكل ما هو يهودي ، فقدم الإعلان بلهجة اسكتلاندية !

ومقابل هذا الإرهاب الفكري المخيف ، تفتمل محطات التلفزة كل يوم برامج تحشر فيها العرب للتندّر والسخر .. ومن النكات الساقطة في برنامج « فروست » مثلاً : « قامت طائرات سلاح الجو المصري بالإغارة على إسرائيل ، فلم تلقَ

مقاومة ، وعلم بعد ذلك ان نصف القاهرة قد دُمّر » !

ويكتب « لورد اران Lord Arran » في إحــدى الصحف الصادرة في ١٨ – ٢ – ١٩٧٠ دون تحوّط أو مبالاة : يحثّ إسرائيل على إغراق جميع المصريين السفلة في « منخفض القطارة » ، – وما مثله سافل في الناس – !!

هذه الحادثات ومثيلاتها كثير تؤكد أمرين : الأول ان مناخ عدم التحيّز وعدم التفريق في الرؤية وفي التناول بين اليهود والعرب الذي كان سائداً في الثلاثينيات قد اختفى الآن ، بل قد غُطّيَ عليه بتعمد صارخ .. والثاني ان في كل مجتمع يهودي في هذه البلاد هيأة نشطة عالية الثقافة شديدة المراس بالغة الأثر والنفوذ تتصيّد كل لحظة ، أي مساس ، ولو كان وهم واهم ، بكل ما هو يهودي أو صهيوني أو إسرائيلي ..

هنا في هذه البلاد مثلاً : «The Labour Friends of israel» «Zionist Federatiou» « The Board of Deputies» . « The Anglo-Israel Association » , « The Jewish National Fund » وخلافها .. وخلافها . .هي هيئات ومنظمات تؤثر بفعالية مخيفة في كافة نواحي المجتمع .. في السياسة والاقتصاد والصحـافة والنشر والترفيه ..

أما العرب في الجانب الآخر ، فيجدون أنفسهم لعجزهم ، فريسة أكاذيب الدعاية الصهيونية وإرهابها الفكري والنفسي .. ويرون الرأي العام في هذه البـــلاد يتطوّح من النقيض إلى النقيض .. في الأربعينيات مثلاً ، حينما كانت المنظمات الصهيونية السريــــة ، « كالأرجون » و « اشترن » تفتك بالقوات البريطانية في فلسطين ، كان من المستحيل كما يقول « هارولد نيكلسون » في يومياته : أن تجد صحيفة بريطانية تنشر ما يشتمّ منه العطف على الصهيونية .. اما في سنة ١٩٦٧ فقد أثبتت الاحصائيات ان ٥٩ بالمئة من الشعب البريطـاني يؤيد العدوان الإسرائيلي مقابل ٤ بالمئة فقط للعرب !!

ان لهذه الظاهرة العجيبة أسباباً عديدة تتراوح من عقــــدة الذنب لدى الشعوب الغربية من جرائم النازية إلى تشويه فكرة القوميــة العربية وعدم

تقديمها في الإطار الصحيح .. لكن السبب الأهم في نظر أصدقاء العرب هو تفاقم الدعاية الصهيونية في المحافل البريطانية ، وعجز الدول العربية عن مواجهة ومجابهة ذلك التيار الجارف الذي لا يعفّ عن التزوير ، وتزييف الحقائق التاريخية وترويج الأكاذيب.. حتى ان الكتاب والفنانين اليهود الذين يعارضون الأساليب الصهيونية « كوشي مينوهين ، وستون ، وألمر بيرجر ، وساخسن » وغيرهم يتّهمون بالزندقة والكفر .. أما الأصوات البريطانية التي تؤيد وجهة النظر العربية مثل « كريستوفر ميهيو ، ومايكل آدامز ، وشيلدرز » ، وغيرهم ، فتوجه إليهم كل صباح تهمة العداء للسامية ، ويشوّه ما يكتبون ، وكثيراً ما يحال بينهم وبين نشر ما يريدون !

ونشاط الأقلية اليهودية الضئيلة في بريطانيا وفعالياتها الرهيبة في المجتمع لدعم وجهة النظر الاسرائيلية ، ظاهرة بالغة الخطورة ، كما أسلفنا ، ومع ان عدد اليهود في بريطانيا لا يتجاوز نصف المليون ، ونسبتهم إلى الشعب البريطاني لا تزيد على (١/١٢٠) فان لهم في مجلس العموم الحالي أربعين عضواً أي بنسبة (١/٨) من مجموع الأعضاء ، وبذا تستطيع تصوّر نفوذهم في أعظم المؤسسات البريطانية على الإطلاق ..

هذا في بريطانيا ، أما في أميركا ، فقد سبق ان حدثتك وأفضت ، وقد اطّلعت عرضاً على مقال للكاتب اليهودي : « ألفرد ليلينتال » يعطيك أفضل وأوضح صورة عن النفوذ الصهيوني المتغلغل في جميع مؤسسات المجتمع الأميركي. يقول : « ان عدم قدرة الأمم المتحدة على إجبار إسرائيل على الانسحاب ، وعدم السماح لها بجني ثمار العدوان ، سوف يشكل سابقة خطيرة في العلاقات الدولية ، تهدّد الدول الصغيرة بالدمار ، وتهدّد المنظمة الدولية بالانهيار ..

ولكن على العرب أن لا يستكينوا للوهم أو اليأس في انتظار إنصافهم من لدن المنظمة الدولية أو الدول الكبرى ، وعليهم أن يتحرّكوا بوعي وتخطيط موحّد منسّق .

عليهم أن يعوّضوا ما فاتهم بشرح وجهة النظر العربية للعالم وللشعب

الأميركي خاصة الذي لا يعرف عنها الكثير ، حتى الآن ، لأن الجانب الآخر كان يحتل وحده ذلك الميدان .. ففي أميركا وحدها مثلاً ٢٨١ منظمة قومية يهودية و ٢٥١ اتحاداً ولجنة وهيأة محلية يهودية . وكل هذه الخلايا والمنظمات واللجان تعمل معاً في جو من التناغم والتنسيق .. كما وان هناك ٢١٨ مجلة ونشرة إخبارية دورية تصدر بانتظام لتزويد الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى بالصور والدراسات والاحصاءات التي تساعد على خلق الصورة التي تريدها إسرائيل لنفسها في المجتمع الأميركي ، وفي كل مجتمع آخر ، ومقابل هذا الإرهاب المقنّن المدروس ، لا تكاد تلقى أي جهد عربي إعلامي يطرح قضيته الحقة طرحاً علمياً مقنعاً .

انك في أميركا تستطيع مثلاً ان تطالب بمعاقبة رئيس الجمهورية ، لكن كان الله في عونك إذا تجرّأت على توجيه أقل نقد إلى الصهيونية أو إلى إسرائيل.

ان سياسة الحكومة الأميركية حول أية مشكلة في العالم مفتوحة للمناقشة الحرّة ، باستثناء الشرق الأوسط ، ذلك لأن أجهزة الدعاية الصهيونية جعلت هذا الموضوع منطقة حراماً محظورة على المناقشة والاهتمام .. وإسرائيل تخاطب المجتمعات كلها وعلى كافة المستويات .. أساتذة ، صحفيون ، وزراء ، أدباء ، حتى موسيقيون وراقصات . اما العرب فيكتفون بإرسال موظفين » .

ذلك حال النشاط العربي في الولايات المتحدة أما حاله في بريطانيا فحدّث ولا عجب عن مجتمع الكراهية الصغير الذي يعكس صورة صحيحة وصادقة لمجتمع الكراهية الكبير .. سفراؤنا يجتمعون وينفضّون دون أن يصنعوا شيئاً ، وأعترف اننا خلال سنة السبعين ، ولعلها أحرج وأتعس وأشقى سنة في تاريخ الأمة العربية كلها ، اجتمعنا خمسين مرة لمعالجة قضايانا المصيرية وخرجنا بلا شيء خلا تكريس الفرقة والشقاق والكسل والفوضى ، ذلك لأن لكل دولة عربية خطة وقضية ، بعضها يقبل بقرار مجلس الأمن ، وبعضها يرفضه .. بعضها يريد الحرب الشعبية ، وبعضها يريد حرب العصابات .. بعضها يدعو إلى استعادة الأجزاء المحتلة في حرب الأيام الستة ، وبعضها يدعو إلى تحرير فلسطين كلها ..

وبعضها الآخر يدعو إلى دولة علمانيـــة يعيش فيها العرب واليهود مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات .. وبعضها .. وبعضها ، وبعضها !! إلى ما لا نهاية ، إذ ليس لنا قضية واحدة ، وخطة واحدة ، بل ان لنا عشرين قضية ، وعشرين خطة ، وعشرين رأياً وأسلوباً . نقول القضية الفلسطينية ، ولا ندري ماذا نعني بما نقول . لكل زعيم قضية ، ولكل ملك قضيــة ، ولكل رئيس قضية ، ولكل منظمة قضية .. وفي مواجهتنا عدو شرس ، ذو قضية واحدة وخطة واحدة ، وذو بنيـان متلاحم ، ومجتمع متماسك ، وذو جيش يعرف ماذا يريد !!

وكنت بعد مكوثي في لندن أسابيع ، رأيت ان الخطوة الأولى في بناء إعلام عربي مؤثر ، هو إصدار صحيفة أسبوعية بالانكليزية للتعريف بالقضيـة العربية والحق العربي ، في محيط تطرح فيه قصة الصراع من خلال أبواق الدعاية الصهيونية الجهيدة وحدها فوجهت الرسالة التالية إلى مدير مكتب الجامعـة العربية في بريطانيا :

سعادة الدكتور بديع الشريف

مدير مكتب الجامعة العربية — لندن

تعلمون ولا شك ما للرأي العام الدولي من تأثير في القضايا السياسية خاصة كالقضية الفلسطينية ، لأن الصهيونية العالمية تمارس ضغوطها السياسية بالوسائل الإعلامية وتسلك في سبيل ذلك مختلف الأساليب التي تجذب الرأي العام دون وازع من خلق أو رادع من شرف وضمير ، وقد لحظت منذ مجيئي إلى هذا البلد ان الصحف الصهيونية أو الضالعة معها تمارس حملاتها الدعائية في إطار تزوير الحقائق وتصوير القيم ومخالفة بدائه المنطق والعقل فتنسل إلى جميع قطاعـات الشعب البريطاني دون ان تلقى ما يفند باطلها ويصفع غرورها ويكشف خطورة الوضع في المنطقة وحقيقة قصتنا مع الصهيونية والاستعمار ، وبذا تسيطر الدعاية الإسرائيلية وتهيىء الأجواء لمشاريعها العدوانية وبرامجها التوسعية والحصول على مزيد من الدعم والتأييد ، وتعميق الحقد والكراهية بين الأمة العربية والغرب ،

وتصبح الدعاية اليهودية بالتالي سلاحاً من أمضى الأسلحة التي توجّه إلينا والتي لم تستطع أمتنـــا وبلادنا الآن مع الأسف الشديد فهمها على حقيقتها ومجابهتها بالتعقل والحكمة والاتزان .

وقد بدا لي فيما يتعلق بعملنا في بريطانيا ان دعاية كهذه لا يمكن مقارعتها إلا بدعاية في مستواها وقوتها،خاصة وان حقنا الواضح يجعلنا أقدر على العرض الموضوعي والتركيز الهادىء السليم ومحاولة استقطاب الجماهير بالتعاطف معها وكشف خبث الدعاية الإسرائيلية واعتمادها على التجهيل والتزوير والكذب .

واني أعتقد ان هذا النقص في موقفنا لا يمكن معالجته إلا بطريقة واحدة هي إصـــدار جريدة أسبوعية عربيـــة من طراز Jewish Observer أو Jewish Chronicle يتولى تحريرها نخبة من أصدقائنا البريطانيين في لندن بحيث يتمكن المواطن العادي هنا من وزن الأخبار وتقييمها والاطلاع على الوجـــه الآخر للمأساة .

وقد بحثت هذا الموضوع مع بعض ذوي الخـبرة الصحفية والإعلامية من أولئك الأصدقاء فزوّدوني بموازنة سنوية تقديرية لنفقات مثل تلك الصحيفـة لا تزيد على مائة ألف جنيه ، وهو مبلغ ضئيل إذا قيس بما يهدر ويصرف من مال عربي معدولاً به عن وجهته الحقة .

اني أقدر الأوضاع المالية للجامعة العربية ، وأعرف ان مكتب الجامعة في لندن ، مع بالغ تقديري للمسؤولين فيه ، لا يملك الوسائل المادية والمعنوية الكفيلة بإنجاز مثل هـــذا المشروع ، ولكنني أعتقد ان بالإمكان إقناع حكوماتنا للمساهمة فيه بقدر إمكاناتها أو نسبة أنصبتها في موازنة الجـــامعة ، أو محاولة الحصول على المبلغ عن طريق التبرعات الفرديـــة من بعض أثريائنا ، خاصة في منطقة الخليج العربي ، وإذا كان الشيخ زايد قد دفع لمسز « ماكاي » مبلـغ ٥٠ألف جنيه دون توقف من أجل مشروع مجهول الهوية ،فلن يعز علينا جمع مائة ألف جنيه لإصدار جريدة محترمة في لندن ، تفضح نوايا أعدائنا وتكشف حقنا للعالمين .

ان هذا الموضوع بالغ الأهمية خاصة ونحن نعلم ما يعانيه الإعلام العربي من تردٍ وضعف وتناقض ، يستمين بها أعداؤنا لبثّ سمومهم ، ونشر أباطيلهم ، وتخطيط دسائسهم. هذا بالإضافة إلى ان القوى الانتخابية الشعبية من مؤسسات حزبية ونقابية وخلافها هي التي توجّه السياسة في الدول الديمقراطية ، وما لم نحسن عرض قضيتنا لتلك القطاعات، ونقيم الجسور بيننا وبينها بالحجة والمنطق والأسلوب الموضوعي الهادف لن نحقق ما نطمح إليه ، وكل الأحاديث الفردية مع المسؤولين داخل الجدران المغلقـــة لا تجدي في كثير مع سيطرة الإعلام الصهيوني على عقول الجماهير .

أرجو ان تدرجوا هـــذا الموضوع في جدول أعمال الاجتماع القادم لمجلس السفراء العرب وان تتفضلوا بإيصال كتابي هذا مع قرار الاخوة المجتمعين إلى الجامعة العربية لاتخاذ الاجراءات المناسبة حياله .

واقبلوا فائق التحية والاحترام .

السفير : سعد جمعة

وغنيّ عن الذكر، ان أصداء صوتي شالتها الرياح ، وطويت الرسالة في درج مدير المكتب في لندن ، أو مكتب السيد أسعد الأسعد في القاهرة ، ان لم أقل في سلة المهملات !

فاستخرت الله وقمت باتصالات شخصية مع أصدقائنا الكثر هناك ، محاولاً إقناعهم بالفكرة ، خاصة وان بعضهم كان يشكو من إهمال الصحف البريطانية أحياناً كثيرة لما يكتبون دفاعـــاً عن أنفسهم وتبريراً لمواقفهم العادلة في جو الإرهاب المخيف .. وهم لو استطاعوا أن يجدوا منبراً حراً يعلنون فيه آراءهم دون تحوّط لتغيّر الموقف لمصلحتنا ولما بقي مجال الدعاية خالياً أمام الأكاذيب الصهيونية ، تصول فيه وتجول !

وفي شهر أيلول ١٩٧٠ زارني السيد « كريستوفر ميهيو » وهو وزير سابق وعضو في مجلس العموم ، وشخصية بارزة في حزب العمال ، وهو الذي أنشأ جمعية الصداقة العربية – البريطانية في المجلس .. زارني بشيراً بأن فكرتي التي

أجهضت بين مكاتب الجامعة العربية ، سترى النور .. وان نخبـــة من الأقلام البريطانية النظيفة قد اتفقت على إصدار مجلة موضوعية تتولى عرض القضيـــة العربية من زواياها الصحيحة ، وعزا إليّ مشكوراً فضل التنبيه إلى هذا العمل الجادّ .

ومما هو بسبيل من هذا الحديث ، انني كنت شهدت في تلك البرهة تمثيليـة بعنوان « Fidler On The Roof » ما تزال تعرض في أكبر مسارح لندن منذ حرب الأيام الستة .. في إطار موحٍ شديد الفعالية والتأثير في عواطف الجماهير ، وهي تروي قصة اضطهاد اليهود في روسيا أواخر القرن الماضي ..

وتقوم فكرة الرواية على ان السبب الذي حفظ لليهود وحدتهم وإرادتهم بعد تبعثرهم في زوايا الأرض ، وانعزالهم المغلق عن المجتمعات التي عاشوا بينها ، هو إيمانهم بأن مبادىء دينهم التي أنزلها الله على نبيّهم موسى في التوراة .. ومبادىء حكمائهم التي صاغوها شرائع لهم في « التلمود » ، تدفعهم إلى الايمان بأنهم شعب الله المختار ، ومن ثم يرفضون كافة القوانين الوضعية ، ويستعلون على كافة الشعوب .. وتحفزهم على التعصّب المطلق لتراثهم وتقـــاليدهم .. فهم قد يغتفرون كل شيء إلا التفريط بالعقيدة والتراث ..

وخرجت من المسرح ، مثقلاً بأحزاني ، لما رأيت من روعة العرض وجمال الإداء ، وبلاغة السرد ، وعمق الإيمان .. وقلت لنفسي : يا إلهي هل جفّت الأقلام العربية ، وأجدبت العقول العربية من المحيط إلى الخليج ، بكل ما تثيره من زوابع ، وتنثره من غبار .. فعقمت عن تقديم صورة فنيـــة كهذه للمأساة العربية في فلسطين ؟

فإذا قلت ذلك لقومك .. قالوا : انك سلفيّ ..

وماذا في السلفية بمفهومكم ، حين يكون أسلافنا هدى لنا ونوراً لقد كانت عمائمهم تنضح كرامة وشهامة ، وعمائمنا لا تنضح إلا القيح والصديد !!

وما قولكم دام فضلكم ! إذا قلت لكم ان بعض أبطال الرواية كانوا أبطالاً حقيقيين في حرب الأيام الستة ..

بل ما قولكم .. وأرجو أن يمسك المؤمنون أنفسهم ان تطير شعاعاً، وقلوبهم ان تذوب حسرات !.. ما قولكم ، إذا قلت لكم ان أحد مموّلي المسرحية عربي ؟!!

هكذا يصنعون .. فكيف تصنع جامعتنا العربية المكدودة !

إقرأ ولا تعجب .. وهل بقي فينا ما لا يدعو إلى العجب العجاب !؟!

طلبت جامعتنا الموقرة من شركة انكليزية إعداد فيلم قصير للتلفزة ، عن القضية الفلسطينية ، مقابل جُعل كبير ..

وقامت الشركة بالمهمة ، وجاء الفيلم ممثلاً لوجهة النظر البريطانية والغربية لا وجهة النظر العربية ، ولفـّقته ، مقتطفات ومصورات ومواقف وتناقضات، تظهر العربي بقيـّة من بقايا القرون الوسطى ، والاسرائيلي رائد فجر جديد .. العربي يرعى غنمه ويغنـّي بمزماره ، واليهودي يبني ويشيد ! وجعلت القضية العربية برمتها ، قضية لاجئين يستدرّون عطف الأمم المتحدة لمدّهم بأسباب المعيشة البدائية التي ترفعهم من مستوى البهائم إلى أدنى مستويات البشر !

وصعق السفراء العرب حين شاهدوا الفيلم واجتمعت كلمتهم على منع عرضه ، وبعد أخذ وردّ من الجامعة العربية في القاهرة التي أعجبت بالفيلم ، طوينا الفيلم ، وضاع المال العربي !

جاء في عدد « آخر ساعة في ٢–١٠–١٩٦٨ :

« ان الجامعة العربية قد تعاقدت مع إحدى الشركات الانكليزية لإنتاج فيلم بسبع لغات مختلفة ، لإبراز الرقص الشعبي بمضمونه القومي ، وفي إطار وحدوي ، مقابل خمسة آلاف جنيه استرليني » .

يا إله العالمين .. إسرائيل تذلـّنا كل صباح ، ونحن نبرز الرقص الشعبي بمضمونه الوحدوي !.. ويرقص الطير مذبوحاً من الألم !!

*

تعاقدت جامعتنا الجليلة مع شركة علاقات عامة في لندن ، للقيام بنشاط

دعائي في أروقة المؤسسات السياسية .. ويسمونه في المفهوم الغربي «Lobbying» بمبلغ كبير ..

مـــدير الشركة غير معروف في الوسط البريطاني السياسي ، بغير علاقاته المريبة بمشيخات الخليج .. ومساعده موظف استخبارات في السفارة البريطانية ببغداد لبضع سنين خلت ..

وحلا لنا — للسفراء العرب — يوماً أن نعرف ماذا صنعت لنا الشركة خلال سنة كاملة ، بالمال الوفير .. فوافانا مديرها بسجل طويل عريض ، يطاول بـه ويفاخر ، أعاذك الله من كل مكروه!!.. كل ما صنعته الشركة خلال سنة يجري مجرى التفاهات التالية :

تدبيج مقالة سخيفة لإحدى الصحف البريطانية بتوقيع « حسونة » ..

طبع وتوجيه بطاقات الدعوة لحفلات مكتب الجامعة العربية بلندن ..

حضور الحفلات الموسمية للسفارات العربية ..

القيام بوظيفة مرشد سياحي لبعض كبار الزوار من العرب ..

مرافقة كبار الزوار لحضور اجتماعات مجلس العموم ..

الدعوة لمؤتمر صحفي يعقده الوزير الفلاني أو السفير الفلاني !!

وضع السرد القصصي للفيلم السالف الذكر ..

إلى آخر ذلك من التفايات التي هي في مجملها سخرية منا واستخفاف بعقولنا. فكتبنا إلى الجامعة العربية في القاهرة نطالب بعدم تجديد العقـــد ، مع ذلك الرهط المنتفع بآلامنا المستهزىء بأحلامنا .. فكان جواب الجـامعة ، تجديد عقد الشركة لمدة أطول ومبلغ أضخم .. والله يحب المحسنين !!

*

تلك بضع قصص سقناها لك من تجربتنا الخاصة ، خـلال سنة واحدة في لندن ، ولست أشك في ان هنـــاك مئات بل ألوف القصص المشابهة التي لو تكشفت لملأت مجلدات .. وكلها تشير إلى استهتارنا بمسؤولياتنا ، واستخفافنـا

بصيرتنا وتفريطنا بواجبنا ، والاستغناء عن الجهد البنّاء والنشاط المثمر ، بما رأيت من سخافات وتفاهات ..

ألم أقل لك انها مؤامرة ليس لها أول وليس لها آخر ..

وان الساحة قد خلت من العقلاء !!

-١٥-

الإيمان هو الشعار الأول والأخير

يا أخي المؤمن :

لعلك قد عرفت مما قصصناه عليك ، اننا نلتزم في قضيتنا المقدسة بعقيدة وموقف ..

اما العقيدة فهي ان معركتنا مع الصليبية الجديدة والصهيونية العالمية هي معركة طويلة شرسة ضارية لأنها معركة وطن وقومية ودين .. ثلاثة في واحد ، فلا خير في وطن بلا قومية ولا خير في قومية بلا تراث ..

واما الموقف ، فهو وَلَهُ الثأر .. وتوقُ الانتقام ..

ولا يسلم الشرف من الأذى .. إلا أن يراق على جوانبه الدم

هو موقف الرفض الحاسم للحلول السلمية لأنها في أهدافها البعيدة ذلّ واستسلام ، وضياع ، مهما أضفى عليها الجبن من بهارج وتزاويق !

لو كان الذلّ الذي نتمرّغ في حمأته ، قد أتانا من هزيمة حزيران ، إذن لقلنا إنما هي معركة واحدة في صراع طويل !

لكن ذلـّنا اننا لم نتـعظ ولم نعتبر .. وان الهزيمة لم تهزّنا من الأعماق ، بل تثاقلنا وتبوّأنا المهانة واخترنا الأخسّ نصيبــاً ، حتى دفعتنا خيبة اليأس إلى افتعال أسباب الرجاء .. واستعضنا عن قــدرة الرفض بإرادة السلام ، بل الاستـسلام ، ومن ترى يعطيك سلاماً ترضاه في دنيــا مأفونة إذا كنت تكره الموت وتعشق الحياة !!

هتافنا اليوم : القرار المشرّف ! والضمان الواقي ! وعـدالة مجلس الأمن ! وشهامة الدول الأربـع .. شعارات نكوص واستخذاء نضمها في قرار مهـين فتعطينا سُماً مميتاً ..

حينما نهد صلاح الدين لرسالته الإلهية كان في الشام وحدها ثلاثون دويلة مستضعفة ، لكل منها قصة وقضية وشعار ، وبينها من الصراعات الداخليـة والخلافات المذهبية ، أكثر مما بيننا اليوم .. لكنه ما كاد يرفع راية الجهـاد وينادي للثأر .. حتى اختفت الانقسامات وانطوت الأحقاد ، وعاد القوم إلى أصولهم وجذورهم وينابيعهم ، ينافحون عن أرض ويدافعون عن عقيــدة وانتظمت صفوفهم تحت راية الإسلام ..

ولذا نرى اليوم بين مفكري اليهود أنفسهم من يرأفون بنا جهراً ، ويساومون علينا سرّاً . ! يذكرون من سابقات أيامنا الخوالي ما نسيناه نحن أو أنسيناه ، فيخشون ان تسوق غطرسة إسرائيل المجنونة إلى انتفاضة عربية إسلاميــة جديدة لا تبقي ولا تذر ..

وأنا لو شئت أن أنتقي لك الشواهد ، لأكثرت عليك ، ولذا أكتفي بقصة واحدة تعطيك الدلالة ان كنت في مرية منه ..

« سالي ساخس » كاتب يهودي بريطاني ، عاش في جنوب أفريقيا زمناً ثم طرد منها لموقفه من قضايا التمييز العنصري ، فعاد إلى لندن ، يكتب ويحاضر عن مشاكل الشرق الأوسط .. المرتكز الأساسي فيما يكتب هو الحرص على بقاء إسرائيل والحرارة التي تشيع فيما يقول مستنزلة من إيمانه بالكيان الإسرائيلي ، وتخوفه من أن يؤدي التعنت الإسرائيلي والغرور الصهيوني .. إلى تفتّت ذلك

الكيان المفتعل وضياع حـلم حكماء صهيون ! ولذا فهو يرى في قرار مجلس الأمن (٢٤٢) غاية الغايات ، في تثبيت الوجود الإسرائيلي في الأرض ، وتمكين الصرح الصهيوني من النماء ..

ويلتقي ساستنا مع « ساخس » وأمثاله في الوسيلة ، ويعفون أنفسهم من مغبّة التفكير في الغايات السود ، حرصاً على السلامة والبقـاء ، فهم لهذا ، ينجذبون إلى شعاع العـدالة الزائف ، وبريق الانسانية الخادع في اتجاهات لا تؤدي إلا إلى جعل إسرائيل القوة الوحيدة القادرة في منطقة الشرق الأوسط.

وكنت ألقى في الساسة العرب من يهشّ لموقف « ساخس » وأمثـاله ، ويستحسنونه ويشجعونه ، ويؤيدونه مادياً ومعنوياً .. لأنه يسترحم قـادة إسرائيل أن يرأفوا بالعرب ويشفقوا على ضعفهم .. ولأن القضية المقدسة عندهم قد ضوّتْ وهوّتْ وهزلت واختزلت في قرار « جورج براون » الذي يجعل إسرائيل سيدة المنطقة دون منازع ، يعطيها أضعاف ما كان لها في قرار التقسيم ، ويفتح لها المضائق والممرّات ، ويمهّد لها الآفاق الاقتصادية في ميادين التخلـّف العربي .. يمنحها كل شيء لتصبح ربّة المستقبل ، وربّة النماء والازدهار بـين جوار ووصيفات في صورة دويلات فسيفسائية طائفية عنصرية ليست العروبة والإسلام عندها إلا ذكريات محنـّطة في متاحف التاريخ !

كتب « ساخس » مقالاً لم يجد في الصحافة البريطانية من ينشره له لأن المؤسسات الصهيونية التي تسيطر على تلك الصحافة تريد سلماً على الطريقـة الإسرائيلية ، حتى قرار الذلّ ذاك ، لا ترضى به إسرائيل !

يقول « ساخس » تحت عنوان : « ماذا كنت سأقول للكنيست ، لو كنتُ رئيس وزراء إسرائيل » :

« لقد بحثت حكومتي ملياً في الظروف المستجدّة المحيطة بنا ، واستهدت إلى النتائج التالية :

١ — ان حرب الأيام الستة لم تجلب لنا السلم الذي كنا نهفو إليه .

٢ — في حزيران سنة ١٩٦٧ أعجب العالم بشجاعتنا وبطولاتنا ، أما اليوم

فيؤسفني ان أقول ان لنـــا أصدقاء قلّة ومعجبين أقلّ .. من المتوسط إلى « الباسيفيكي » حيث يعيش نصف سكان المعمورة ، لا نكاد تقع على أصدقاء لنا بين ملايين الأعداء . وفي الشعوب الملوّنة التي تسمى بالعالم الثالث لا نكاد نلتقي بصديق ! قد نحتجّ بحق اننا بذلنا كل جهد ممكن لكسب ودّ تلك الشعوب ، لكن منطقنا لن يغيّر من الواقع شيئاً..ولقد كان لنا يوماً بين الحركات التقدمية العمالية أصدقاء كثر ومعجبون صادقون لأننا نمثّل طلائع المجاهيد التعاونية ، وروّاد العدالة الاجتماعية في « الكيبوتسات » .. وننظر اليوم فلا نكاد نجد لنا في تلك الحركات أصدقاء !

٣ – ان علاقتنا مع المعسكر الاشتراكي حيث يعيش ثلث يهود العالم ، سيئة للغاية ، بل مبتورة أصلاً ، ورومانيا هي الدولة الوحيدة في ذلك المعسكر التي تتبادل معنا التمثيل الديبلوماسي ..

٤ – كانت فرنسا لسنين طويلة صديقتنا التقليدية ، فأصبحت الآن صديقة أعـــدائنا ، وخسرنا مساعداتها العسكرية .. اما بريطانيا بالرغم من كثرة العاطفين علينا في حزبي المحافظين والعمال ، فانها حريصة على مصالحها العربية .. فوق انها لم تعد قوة مرهوبة في منطقة الشرق الأوسط .

٥ – الولايات المتحدة الأميركية ، هي وحدها الصديقة الوفيّة ، تمنحنا دون توقف كل ما نحتاج إليه من مساعدات مادية وعسكرية وسياسية ،ونحن مدينون لها بذلك على الدوام .. لكن من يضمن استمرار تلك الصداقة ؟ وعلينا أن نتساءل : هل يجب ان نعلّق بقـــاءنا وقدرنا على الولايات المتحدة ؟ وماذا لو تسلّم الحكم فيها دعاة العزلة ؟ وماذا لو انتخب رئيس عنصري من الجنوب ؟

وكيف نأمل في استمرارية عطاء من يحتضنون الجماعات الفاشستية المتطرفة ، كجماعة « كلوكس كلان » ؟ هـــذا بالإضافة إلى الدلائل التي تشير إلى أن العملاقين : أميركا وروسيا ، مقبلان على التفاهم والتعايش السلمي ، وقد تستفيد الإنسانية من ذلك ، لكنه بالتأكيد سيضعف موقفنا الدولي .

ويجب ان نعترف من ناحية أخرى باحتمال تغيّر سياسة واشنطن . ان لأميركا

استثمارات مالية ضخمة في العالم العربي ، والمؤسسات الرأسمالية تمارس ضغوطها للتوصل إلى حلّ عاجل وسريع لمشاكل الولايات المتحدة مع العالم العربي ، وكما ان فرنسا قد تخلّت عن صداقتنا فليس من المستبعد ان تحذو الولايات المتحدة حذوها يوماً من الأيام !!

٦ ـ يجب أن نعترف ان حرب حزيران والبرهة القلقة التي تلتها قد كلفتنا الكثير .. معظم قوانا البشرية في المعركة ، اقتصادنا الوطني يشكو من ضغط التزامات الحرب ، وسينهار إذا استمر هذا الوضع ..

٧ ـ لا أود أن أمضي في تقييم المعارك التي خضناها من قبل .. لقد كانت تقاليد أمتنا التاريخية تنبع على الدوام من مفاهيم العدالة والسلام .. أعظم قادة الفكر في عصرنا الحديث « كسبينوزا ، وهاين ، وماركس ، واينشتين » كانوا مناضلين في سبيل الإنسانية والسلم العالمي .. والقوى التاريخية التي تتحكم في مستقبل البشرية ، لن تقف عندنا ، لتقدّر ما نريد وما لا نريد ، وما دمنا معنيين بإقامة دولة ، وإنشاء قومية ، فان ذلك لا يتحقق في سنة أو عقد ، أو جيل ، بل قرون ..

بناء على هذه الأسباب ، قررت حكومتي إجراء تغييرات ثورية في سياستنا حيال جيراننا .. فسنقلع نهائياً عن حلّ المشاكل السياسية بالحرب ، ونتعهد بأن نصنع كل ما في وسعنا لنعيش بسلام مع شعوب المنطقة .. كثيرون منكم قد يقولون .. حسناً ، لكن هذا الاتجاه لن يعدو الحلم المثالي .. وقد يكون ذلك صحيحاً ، لكن الأفضل لنا أن نكرس طاقاتنا في سبيل تحقيق هذا الحلم المثالي بدل كابوس الحروب وويلاتها ..

سنقولها بصراحة للعرب : لقد اقترفنا أخطاء كثيرة ، وأية أمة لم تقترف الأخطاء ؟.. دعونا ننسَ الماضي ، وننسَ الآلام ، ونعالج مشكلات المستقبل بإصلاح إيجابي بنّاء .. لقد قاسينا نحن والعرب الكثير عبر القرون ، وكلانا محتاج للسلام لبناء مجتمع صحي واقتصاد موزون ، يرفع مستوى المواطنين .. لا نطمح إلى إحراز الرخاء الماديّ فحسب ، بل ننطلق لنسهم في تقدم الجنس

البشري ، كما فعلنا في الماضي البعيد .. وليكن شعارنا استئناف مسيرتنا الحضارية الهادية ..

انني أعلن باسم الحكومة الإسرائيلية ، استعدادنا بصدق وإيمان ، لقبول قرار مجلس الأمن في ٢٢–١١–١٩٦٧ .

وتحرياً للدقة ، وتخلياً عن كل معاضلة وتحريف ، أعلن بصراحة ، ما يترتب علينا قبوله كأساس للسلم :

آ – الانسحاب الكامل من كافة المناطق المحتلة في حرب الأيام الستة ، دون استثناء ..

ب – مقابل ذلك ندعو الرئيس عبد الناصر والقادة العرب الآخرين ليعلنوا بدورهم :

١ – إنهاء حالة الحرب .

٢ – قبول إسرائيل دون قيد أو شرط في المنطقة والاعتراف بها كدولة مستقلة آمنة ..

٣ – حرية المرور في قناة السويس والممرات المائية الأخرى ..

جـ – نتعهد من طرفنا بأن نساهم مساهمة كريمة (أ) بإعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين ، ونلحّ على الأمم المتحدة ان تسارع في الحال بتعيين هيأة مختصة للعمل على ذلك يمثل فيها الفلسطينيون .. ان مساهمتنا ستكون بالطبع محدودة في نطاق إمكاناتنا القومية لخمسين سنة قادمة ، وسيكون هدفنا تأمين سكن ، وعمل وقطعة أرض لكل فلسطيني ، وتثقيف كل طفل وشاب ..

د – القضاء على كل تميز عنصري أو ديني في دولة إسرائيل وفي كافة الدول العربية في المنطقة .

هـ – نعهد إلى الدول الأربع الكبرى ان تبدأ حالاً في وضع أسس ثابتة لهدنة عاجلة تؤدي إلى سلم دائم في نطاق قرار مجلس الأمن. ولهذه الغاية ، نوافق على السماح لقوات دولية أن تتمركز حيثما تدعو الحاجة ، لإقرار السلام » .

انتهى مقال « ساخس » .

ولقد بعث إليّ « ساخس » بعد اطلاعي على مقاله ذاك بأيام ، برسالة يعلمني بنشاطه لتكوين هيأة بريطانية تضم نوابـــاً وكتّاباً ومفكـّرين للذهاب إلى المنطقة في محاولة جديدة لإقناع دولها بأهمية السلام وضرورته للجميع على السواء ..

ولست في حاجة للتأكيد بأن غرض «ساخس» وأمثاله من الذين يتظاهرون بالحرص على تنفيذ قرار مجلس الأمن ، هو بقاء إسرائيل والاعتراف بشرعيـــة احتلالها لضعف ما كان حدّد لها في قرار التقسيم ، على أن يكون ثمن انسحابها من المناطق التي اختلستها في حرب الأيام الستة ، سلاماً دائماً ونعيماً مقيماً !

وليس « ساخس » وأمثاله ، هم وحدهم الذين ينادون بالحلّ السلمي وفـق مشيئة إسرائيل .. بل لقد أصبح القرار المشؤوم عند ساستنا وقادتنا .. وحتى عند منظماتنا هو غاية المراد من الجهد والجهاد .. وغدا استخذاؤنا واستجداؤنا للحلول المخزية هو سبب استعلاء إسرائيل وغطرستها وغرورها ، الذي يدفع المؤسسة العسكرية دفعـــاً إلى مزيد من المساومة والمراوغة والتلكؤ ، حتى تتملـّص نهائياً وتواجهنا بالأمر الواقع ودوام الاحتلال كما أصابنا سنة ١٩٤٨ وما بعدها ..

ونعود نحن من ثم إلى حلقتنا المفرغة ، ودوّامة انقساماتنا وشعـــاراتنا وتمزّق مجتمعاتنا ، وتخلـّف دولنا ، وتخاذل جيوشنا ومنظماتنا ، نفسح المجـــال أمام إسرائيل لاقتحام جديد ، ونحفر لأنفسنا قبورها عند مشارف الصحراء !!

*

ذلك هو منطق الجهالة والعمالة والخور والنكوص عن الجهاد في سبيل الله ..

أما قانون المؤمنين ، فهو رفض للمذلة وإباء على الهوان ، ثم ثـأر للكرامة مهما طال السُرى ، وادلهمّت المصائب وغلت التضحيات ، وإيمان بما أمر الله به من جهاد في سبيله لا يقعد عنه إلا من ضُربت عليه المسكنة ، وباء بخزي الدنيا وعذاب الآخرة ..

فالعودة إلى رحاب الدين هي زاد المجاهدين ، يشعر معها المؤمنون أنهم جند الله ، لا جند الطواغيت ، وأنصـــار الحق ، لا أنصار الحزب الحاكم والجيش العقائدي ، يقاتلون ابتغاء مرضاة ربهم لا ابتغاء عرض زائل ، لا يغني شيئاً يوم تسودّ وجوه وتبيضّ وجوه ، والأمر يومئذ لله !

ويجري هذا المنطق ، كل مجرى ، وفي كل اتـّجاه ..

فالقيادة بلا إيمان خيانة !

والسياسة بغير إيمان دجل !

والتجارة بلا إيمان غش !

والجندية بلا إيمان جبن !

والفداء بغير إيمان انتفاع !

وكل ما عدا ذلك باطل يدفع باطلاً وشبهة تسوق شبهات !

*

يقول « دستويفسكي » في كتابه « الاخوة كارامازوف » : « إذا لم يكن هناك إله ، فكل شيء يغدو مشروعاً حتى الجريمة » !

إذا لم تكن مؤمناً ، فقدت الضابط ، وأصبحت مطيّة ذلولاً لنزوات الحس وضرورات الجسد ، كالبهيمة همّها العلف والسفاد ! وكنت وعاء سوء لا وازع يزعك عن اجتراح الشرّ وارتكاب الموبقات !

وفي قلب كل فرد ، وكل مجتمع فراغ لا يملؤه غير الإيمان .. حتى في روسيا قلعة الإلحاد ، لا تعدم أن تقع على صور من التعبّد ، والتقديس ، هي تعويض عن روحانية الدين ..

ولا تزال الكنيسة تبعث في الشعب الروسي نفحات من السكينة الدينية لم يستطيعوا أن يجدوا بديلاً عنها في أي شيء آخر تفرضه الدولة .. مما يثبت ان جميع إجراءات الدولة وتعليمها لتشويه صورة الدين في نفوس المواطنين قد فشلت ، وان جميع تفسيرات المادية العلمية لم تجدِ فتيلاً في بعث الرضى والسعادة

في القلوب المؤمنة . حتى ان روح الإيمان المتأصلة في المواطنين جعلتهم ينظرون إلى « لينين » بقدسية تشبه نظرتهم إلى السيد المسيح ، ويزور الكثيرون ضريحه ، تعبيراً عن هذه الروح .. وينظرون إلى شخصيته تمثل على المسرح كأنما هو نبيّ بوحي من السماء ..

ولذا يعتبر الانسان العادي المؤمن في روسيا ، العقيدة الشيوعية بديلاً عن المسيحية ، في ملءِ الفراغ الديني في صدره .. واعتبار الحزب ، كنيسة الشيوعية .. مما يعطي الدلالة على ان لكل مجتمع قيماً غائية ذات عبير ديني .

وعليه يمكن اعتبار المجتمع الروسي ، مجتمعاً دينياً ، بل لعله أكثر تقوى وتديناً من بعض المجتمعات الغربية .

وحين هاجم « خروتشوف » « ستالين » حاول ان يمسح ما علق بشخصيته من قدسية مفتعلة ، وتعبّد ديني لإله مزيّف يصلي له الأطفال ، ويموت الجنود واسمه على شفاههم ، كما كانوا يموتون في المسيح !

قد يقول قائل : ان القوانين البشرية تنظم علاقات الفرد بالمجتمع .. فأقول له : اننا من طينة هذه الأرض والبنية الانسانية متمرّدة بالطبع ، لا يكبح جماحها قانون وضعي . ومهما علت أخلاقيات المجتمع ، فالقاعدة هي التملّص من الواجب ، ولا معدى للضعف البشري من قوة فوق قوى النفس وقوى الأرض تلجم الشرّ ، وتحفز على الخير ، وتضع الأوامر والنواهي ، وتحفظ الناموس ، فيحقق المرء نفسه بالتزام النظام ، ويبين له الخطأ من الصواب ، ويكون عقل وقلب وضمير ، تعمل متناغمة في طاعة الربّ ، ويكون شرف ونخوة ، وتكون قيم ومفاهيم ، كلها مستنزلة من خشية الله ، متجهة إلى رضاه .. ويكون من أسلم لله وجهه وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى .. وتكون القوانين الموضوعة انعكاساً لشريعة السماء ، فتكون الحاكمية لله وحده ، وتكون الطاعة للحاكم طالما نفذ حكم الشريعة ، والتزم بالحدود فإذا خرج عليها بطلت طاعته ، وأصبح الانتقاض عليه واجباً والخروج عليه جهاداً ..

فإنكار وجود الله تحلّل من شرف الواجب ، وتخلٍّ عن مبادىء الأخلاق ،

وتنكّر لحافز الإيمان ..

لو تملكت القنبلة الذرية بغير إيمان ، لم تكن شيئاً مذكوراً ..

وبدون فكرة الألوهية لا تستقيم الانسانية ، حتى لقد قال الفلاسفة : لو لم يكن هناك إله لوجب علينا ان نخلقه !! تعالى الله عما يقولون !!

ولو شئنا ان نناقش القضية نقاشاً « برغماتياً » لوجدنا ان الانسانية ، إنما نمت وربت واستهدت بالإيمان بالله ووازع الدين .. ولو لم يكن ذلك كذلك ، لضلّ سعيها وخاب جهدها والتاث سبيلها ، وآضت فوضى عارمة لا ضابط لها ، وطخية عمياء تأكل أبناءها ، وتجتثّ معارج تطوّرها وتقدّمها في معاناتها الطويلة ومسيرتها الهادفة !

المؤمن لا يعتسف الطريق ، ولا يجذبه بريق ، ولا يقنط من رحمة الله مهما اعتاصت الدنيا بما رحبت .

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه فما له من مكرم ..

وصفوة القول ان الإيمان بالله .. بقوة أزلية صمدية ، تنصب الموازين ، وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتحرر الانسان من ضغط الضرورات ، ورجس الشهوات ، ونوازع العبودية والاستغلال والظلم ، واليأس والهزيمة ، وترسم له الحدود ، فلا يجور بعض على بعض ، ولا يعتدي أبيض على أسود.. أو كبير على صغير ، أو غنيّ على فقير ، أو صاحب عمل على أجير ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، والصلاح ، وأكرم الخلق عند الله أرحمهم بخلقه .. والناس أمام الله سواسية كأسنان المشط ، لا يدلّ بعض على بعض بجاه أو نسب ، ولا يتيه بعض على بعض بمال أو قشب ، الكل عبيد لله أحرار في الأرض !

الإيمان إذن حتمية فوق كل حتمية ، وراحة روحية تصنع الأعاجيب وتحقق المعجزات ، يقاتل المؤمن عن ديرته وربعه ، وشرف أمته ومقدسات دينه وكيانه ممتلىء بوجود الله معه ، فلا يرهب العدو ، ولا يهاب الموت ..

لقد رأينا في مفكرينا من يهزأون بالملك فيصل لأنه قال بعد الكارثة : « لقد تخلّينا عن الله فتخلّى الله عنا » !

أولئك الذين سحروا أعين الناس واسترهبوهم، وما نقموا منا إلا أن آمنا..

ذلك هو الغزو الفكري .. يفسرون الكلم على هواهم تفسيراً لفظياً حرفياً، ويتهجمون قبـــل أن يتعلموا، وما نراهم اتبعهم إلا الذين هم أراذلنا .. مُتَبَّرٌ ما هم فيه وباطل، جعل الله على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً!

إنما أراد الملك أن يقول: ان المؤمن يجاهد وقد امتلأ كيانه بوجود الله معه، فلا ينثني، ولا يجبن، ولا يهزم حتى يلقى وجـــه ربه، قد اختار إحدى الحسنيين: النصر أو الاستشهاد .. لكن لا تعمى الأبصار، بل تعمى القلوب التي في الصدور ..

يقول «نديم البيطار»: «ان الدين هو مظهر التخلف في الأمم ولكي نصبح مجتمعاً انقلابياً لا بد من القضاء على الإسلام!!»

ونسأل الدكتور البيطار لماذا لا يكون الدين مظهر تخلف لإسرائيل ؟؟

ويقول الفاجر، ويوافقه صادق جلال العظم، وجميع من يسمون أنفسهم ثوريين: «ان الجندي العربي قد هزم في المعركة، لأنه لم يكن اشتراكياً بالقدر الكافي» .. ولا يقولون لنا لماذا انتصر الجندي الإسرائيلي وهو ليس اشتراكياً على الإطلاق ..

وماذا يقول المرتكسون في الجهالة حين نقول لهم[1]: ان اليهود بعد احتلال القدس، احتشد ألوف منهم في ساحة حائط المبكى، للاستماع إلى نفخ البوق إيذاناً بانتهاء صوم الغفران .. وغصت الكُنُس في جميع أنحـــاء إسرائيل بالمصلين ونصفهم من العسكريين .. الذين مرّغوا كرامتنا في التراب لأنهم آمنوا وكفرنا .. تمسكوا بتراثهم وانحدرنا .. أخلصوا لدينهم، وأنكرنا!!

وماذا يقول الدكتوران الغبيان في قولة «بن جوريون»: «ان على إسرائيل أن تتمسك بمبادىء أنبياء العبرانيين القدامى» ..

---

١ – محمد جلال كشك

يؤمن « بن جوريون » بأنبيائه فينتصر ، ونكفر نحن بربنا ونبيّنا ، فنذل وننهزم !!

وسنظل ننهزم حتى نعود إلى الدين !!

لقد تنكّرنا لتراثنا ومبادئنا وعقائدنا وقيمنا ، فأغرى الشيطان بيننا العداوة والبغضاء ، وجعل لكل منا شرعة ومنهاجاً فذهبنا للقاء العدو ، مسوقين بسياط الهون ، قد هزمنا أنفسنا قبل أن يهزمنا ، لأننا فقدنا طعم الإيمان الذي يجعل للحياة معنى ، وللموت معنى أكبر إذا كان جهاداً في سبيل الله.. وأخذت الذين ظلموا أنفسهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين.. وهزمنا الذين كتبت عليهم الذلة والمسكنة ، لأن فينا من يهزأ بنا حين نقول : ان الله تخلّى عنا حين تخلّينا عنه !.. لأن منا عملاء متآمرين قد زرعهم العدو بين ظهرانينا ، لنتبدّل الكفر بالإيمان ، فننقض عهد الله من بعد ميثاقه ، ونقطع ما أمر الله به أن يوصل ، حتى أصبحنا نكالاً لأهل الأرض جميعاً !

ومن عجب ، ان الذين كفروا لا يزالون في مرية منه .. يعملون السوء بجهالة .. يخافون أن يحيف الله عليهم ، وأي حيف بالله وعته الدنيا هو أشأم من عار الكارثة التي حرقتنا بنارها السفهاء منا ..

ومع ذلك ، هؤلاء هم ما يزالون يخوضون في شرف الأمة ، ويهزأون بمعارها .. لا يألوننا خبالاً ، قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر !

ومع ذلك يصخبون ، ويحتلّون الميادين العامّة ، يعرضون فيها بضاعتهم المأجورة وألسنتهم المسعورة ، وعقولهم المنخورة في خليط متعفّن مليء بالادّعاء .. مليء بالافتعال ، مليء بالتشدّق ، قوامه المهارة الخلقية المقصودة ، لو اطّلعت عليهم لملئت منهم رعباً ! والأكثرية الصامتة تسمع وترى ، ولا تحرك ساكناً ، قد ارتاحت على يأسها ، واختارت الهروب والانطواء .. في مجتمع الكراهية والضلال ..

*

يا قوم !

اما والله ، لن يصلح أواخرنا إلا بما صلح به أوائلنا ..

ووالله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يأتي أمر الله .. صدقت وأصدقت يا رسول الله !

يا ناس :

لقد أبليت عذري وأنا أكرر وأعيد ..

الخير بيّن والشرّ بيّن .. ومعركتنا هي مع أنفسنا ثم مع عدوّنا وما لم ننتصر في معركتنا تلك ، لن يكتب الله لنا النصر في معركة مصيرنا ..

داؤنا التمزّق والكفر ، ودواؤنا المحبة والإيمان .. هما حافزا النخوة والمروءة ، والتصميم على إرادة الموت ، لنحفظ أمتنا من الدمار المحقق ، ونحمي ديننا من الإنهيار المؤكد .. ونمحق المؤامرة التي تأخذ علينا منافذ الأفق !

الإيمان هو الشعار الأول والأخير ، ودواء كل دواء .. الإيمان بربّنا وبأنفسنا وبتراثنا وعقيدتنا .. والانطلاق من ينابيعنا الروحية ومصادرنا الفكرية في مسيرتنا الوئيدة الوطيدة نحو الثأر .. نبني المواطن العربي المؤمن المسلّح بالعلم ، المدجّج بالسلاح .. المنتمي إلى وطنه ، وقوميته ودينه لا المتصعلك على أعتاب المتآمرين !

واني أعيذ نفسي من التعصّب الذميم حينما أدعو إلى الإيمان .. فكل مؤمن بالله حق إيمانه هو رفيق طريقي ، مسلماً كان أو مسيحياً والعبرة في النصوص لا في « الطقوس » .. واخواننا المسيحيون هم أقرب الناس مودّة الذين آمنوا .. وهم جزء من حضارتنا وتاريخ بطولاتنا ، وقد حفظوا لغة القرآن في عصور الظلام .. وكانوا كتّاب الدولة الإسلامية في عصورها الزاهية .. وعشنا معاً في جوّ من التسامح البنّاء نتساوى في الغنم والغرم ، ونتعاون في البرّ والخير ، وكل تعصّب من أي جانب ، خيانة لمستقبلنا المشترك ، وثغرة يفترصها عدونا لتشتيت الشمل الجميع ، وتفتيت الوحدة المقدسة .. وحدة الآمال والآلام ، وشركة السرّاء والضرّاء .. وحينما نقول الحضارة العربية الإسلامية ، نعني حضارتنا وحضارتهم في نسق متصل لا أمت فيه ولا اعوجاج !

يقول الشاعر الماروني رشيد الخوري :

شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت عروبتي مثلي الأعلى وإيماني

ويقول أمين نخلة :

« الاسلام إسلامان : واحد بالديانة ، وواحد بالقومية واللغة ، ومن لا يمتّ إلى محمد بعصبية ، ولا إلى لغة محمد وقومية محمد فهو ضيف ثقيل علينا ، غريب الوجه بيننا .. ويا محمد : يميناً بديني ودين ابن مريم وبخشبات صليبه ، اننا في هذا الحيّ من العرب نتطلّع إليك من شبابيك البيعة ، فعقولنا في الإنجيل وعيوننا في القرآن » .

وأنا لا أدعو إلى تلاقي المسلمين والمسيحيين العرب على خط واحد وهدف واحد فحسب ،بل لعلي أطمح إلى تلاقي أتباع الدينين السماويين المظيمين في جميع أطراف الأرض ، لأن ذلك وحده هو الأمل الباقي لمواجهة ما ابتليت به سيارة الدموع هذه من فساد وإلحاد !

ومن هذا المنطلق .. من أحضان هذا المطمح ، لست أعتقد ان الأربعة ملايين مسيحي عربي الذين يعيشون مع مائة مليون مسلم عربي،اخواناً وأعواناً، قد يحقدون علينا ويضطغنون بنا ان ندعو إلى تجمّع وتكتّل سمّائة مليون مسلم معنا في معركتنا المصيرية ، لنعيد حضارتنا إلى مستأنف ألـَقِها ورونقها وبهائها ...

إن أنسَ لا أنسَ ما قاله لي مفكر انكليزي كبير : « اسمع يا أخي .. لقد فشلت الحضارة الغربية .. كما فشلت الحضارة الشرقية في إنقاذ الانسانية من الدمار والانهيار .. ولم يبقَ لنا إلا ان نأمل الخير من انبعاث حضارتكم الاسلامية التي ملأت الدنيا يوماً ، عدلاً وعلماً ونوراً ، وهي ما تزال في عراقتها وأصالتها .. أصلها في الأرض وفرعها في السماء ، وأنتم لو اهتديتم مدعوون لتزيلوا عنها ركام القرون ، وتميطوا منها جهالات الأدعياء ، والأغبياء، وتدفعوا عنها الشبهات التي رماكم بها الاستعمار، بغزواته الفكرية التي جهدت، استمراراً

لأحقاد الحروب الصليبية أن تطمس معالمها ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .. فنحن وحدنا نستطيع صيانة المصير الانساني من الدمار !!

ويقول الباحث الفرنسي الكبير « جاك أوستروي » في كتابه « الاسلام أمام التطور الاقتصادي » : « إن الاسلام نظام وسط إذ ليس هناك في الحقيقة طريقة وحيدة ضرورية للإنماء الاقتصادي كما تريد أن تقنعنا المذاهب القصيرة النظر، سواء منها الشيوعية أو الرأسمالية في ادعاء كل منها انها النظام الأمثل.. اما الاسلام فهو ليس فردياً ولا جماعياً ، بل يجمع حسنات المذاهب كلها في نظام متكامل لا نقص فيه »[1] .

---

١ – عبقرية الاقتصاد الاسلامي للدكتور أحمد محمد جمال

- ١٦ -

ذلك هو الاسلام، فأين نحن منه اليوم؟

لماذا نرفض كل دعوة مذهبية ، وندعو إلى الاسلام ؟

ولماذا كانت الحضارة الاسلامية منذ القرون الوسطى هدفاً المؤامرات ؟

ان حضارة كل أمـــة هي مجموعة القيم والمبادىء والمفاهيم التي تؤمن بها وتعتنقها ، وتوجّه سلوكها ، وتقوّم مجتمعها .. هي بكلمة واحدة ، تراثهـا الذي استقام لها عبر القرون ..

ولكل حضارة وجهان : وجه ماديّ يدلّ عليه تقدّمها العلمي ، ووجـه خلقيّ ، يبرزه تراثها الفكري والروحي ..

وهما صنوان متلازمان متوازيان إذا اضطرب أحـــدهما اختلّ بنيان الحضارة .. واعتل كيانها ..

فنقول ان الحضارة الأوروبية تشكو من التفسخ والانحـلال .. إذ يشرق وجهها العلمي ، ويظلم وجهها الروحي .. تتقدم في وسائل قدرتها وتتأخر في وسائل حكمتها ..

ونقول ان الحضارة العربيـــة الاسلامية مهدّدة بالزوال لأن المؤامرات المستمرة ضدها قد أعاقتها عن اقتباس المنجزات العلمية .. بقدر ما عطّلتها عن العودة لينابيعها الأصيلة واكتشاف هويتها الروحية من جديد ..

ونقول ان الحضارة اليابانية تزدهر أيّما ازدهار لأنها استطاعت أن تأخذ من الحضارة الغربية أسمى ما وصلت إليه في عـالم الكشوف والتقدم العلمي ، مع محافظتها على تراثها الروحي .. ولا ندري والله لماذا لا تكون اليابان قدوة لنا ومثلاً نحذو عليه !

ومع ان روسيا قد استطاعت أن تهضم أربعين قومية في ظل «ايديولوجية» واحدة ، فقد عجزت عن هضم القومية اليهودية ، ويضجّ اليوم ضجيج الأقلية اليهودية التي لا تزيد على ثلاثة ملايين ، لأن التراث والدين عند اليهود مقدمان على كل « ايديولوجيات » الدنيا ، ولو عـــاشوا في ظلها مئات السنين .. ولذا استغنت الحضارة العبرية بمذهبها وتراثها ودينها ، فبقيت لليهود هويتهم وذاتيتهم ودينهم بالرغم من تشردهم في كافة أطراف الأرض ما يزيد على ألفي سنة ، دون أن يمنعهم ذلك من بلوغ قمة العلم والتقدم الماديّ ..

فلماذا يراد لنا وحدنا ، أن نتنكّر لحضارتنا الروحيـــة والفكرية ضربة لازب وخبط عشواء ؟

لقد سبق ان أجبنا على هذا السؤال بما يقطع كل شيء ، وأوضحنا أن أبعاد المؤامرة ، ما بطن منها وما ظهر ، ضد حضارتنا ، تهدف إلى ابتلاعها وطمس معالمها ، مع اننا أكثر شعوب الأرض – قولاً وفعلاً وممارسة – عرفاناً بتلاقح الحضارات وتفاعلها لا تقاتلها وتصارعها حتى تجهز إحداها على الأخرى وتقتلعها من الوجود أثرة ، وتجبّراً وافتئاتاً ..

فلقد كان غرض الغزو الفكري ، منذ أواخر القرن الماضي ، والارساليات التبشيرية التي رافقت الهجوم الاستعماري ، تزييف حقيقـــة الاسلام بإرساء قواعد سياسية تعليمية ، وضعها الاستعمار الغربي في الشرق الأوسط ، توهن عرى الدين وتشوّه قدسيته وتحيله أذكاراً وعباداتٍ وشبهاتٍ تفتن المسلمين عن

عقيدتهم الصحيحة تنفيذاً للمخطط الرهيب ، وتضع في أذهانهم وقلوبهم الشك في أنفسهم ومقوّماتهم ، وان ليس لهم من سبيل إلا الارتماء في أحضان الحضارة الأوروبية كَلاً عليها وخدّاماً لها ، ففقدنا هويتنا ، وذاتيتنا ، وشخصيتنا ، فلا نرى إلا ما يراه لنا أعداؤنا ، ولا نؤمن إلا بما يصنعونه لنا من أفكار ..

وتسلّلت المؤامرة إلى كل زاوية وركن ، فضللنا وتصدّع شملنا ، وتمزّق صفنا ، وتحطّم مجتمعنا حتى سهل افتراسُنا ولم تسلم ، حتى الشُعلة المقدسة — الفداء — التي كانت .. أنبل ظاهرة قومية دينية ، يوم انبثقت من جراح الهزيمة ، تعلي راية الجهاد ، فقد هجم الحزبيون الموتورون على العروبة والاسلام على العمل الفدائي ، بسلبيّاتهم ، وأحقادهم وشعاراتهم التي تقف من التراث العربي موقف العداء السافر .. ودخلوا المنظمات ، فكانوا دخلاء فيها حقاً ، وانتحلوا لأنفسهم صفات قيادية وتعاليم تنبع من مبادىء غريبة عنا يلوكونها ويمضغونها ويحاولون أن يقيسونا عليها و « يفصّلوها » لنا ويلبسونا إياها ، دون أن يعوا متطلبات المناخ القومي ، ومستلزمات المعركة ، ومعطيات المجتمع وجذوره الدينية ، ومفاهيمه الروحية .

ولذا خبت الجذوة من الداخل ، واعتراها ما اعترى غيرها من ذبول وفساد ، وتشرذم ، واستزلام وانحراف عن الجهاد ضد العدو إلى تأريث وتكريس الفرقة والأحقاد بين الدول العربية والشعوب العربية من جهة ، وبينهم وبين تلك الدول والشعوب من جهة أخرى .

وتلك ظاهرة عجيبة في تاريخ حركات التحرر في العالم ، فلا نعرف قبل اليوم ، حركة فدائية تتآمر ضد نفسها مع المتآمرين ، فتنصرف عن الجهاد والفداء والتحرير إلى معارك جانبية هي امتداد للصراعات الايديولوجية في المجتمع العربي !..

*

وبعد .. لماذا الإسلام ؟؟

الإسلام دين وعقيدة ونظام .. دين إلهي ، وعقيدة أخلاقية ، ونظام

متكامل يجمع بين اقتصاد عادل ومجتمع سليم ، وتشريع مدني وجزائي ودولي . .
وهو يملك من مقوّمات البقاء والنماء في الحاضر والمستقبل ، كما كان في الماضي ، ما لا يملكه أي نظام آخر عرفه الناس [1] !

ذلك لأن التشريع الاسلامي ليس ملكاً لفرد أو لطبقة معينة ، بل هو منزل لا يأتيه التحريف والتأويل والتبديل والتغيير حسب مصالح الطبقات والحكام والأحزاب . .

الايديولوجيات التي تسمى بحرب الطبقات لا يعرفها الاسلام لأنه لا يعرف الطبقات . .

وطبقات الأشراف والنبلاء ورجال الدين المتميّزة بحقوق وشارات ، لا وجود لها في الإسلام . .

واستقلال طبقة واحدة أو أكثر بالتشريع لحماية مكاسبها والتزاماتها لا وجود له في الإسلام . .

والنظرة المقارنة بين الإسلام وغيره ، في سبيل تصحيح المفاهيم الدينية ، وتفسير ما اعترى مسيرة الأديان هنا وهناك ، تزيدنا به استمساكاً ولا تنقص من احترامنا للغير . . فلكل جعلنا شرعة ، ولكم دينكم ولي دين ! !

لقد وقع في بعض أطوار التاريخ الاسلامي ان احتكت الحياة الاسلامية الأصيلة المنبثقة من التصور الاسلامي الصحيح ، بالثقافات السائدة في الفتوحات الاسلامية ، فاشتغل المفكرون بعد ان خلت الحياة من هموم الجهاد، واستكانت للترف العقلي . . وهجموا ينهلون من الفلسفة الاغريقية ، ومن الدراسات اللاهوتية التي تجمّعت حول المسيحية ، فنشأ عن ذلك انحرافات غريبة على التصوّر الاسلامي الصحيح ، وهو الذي جاء أصلاً لإنقاذ الإنسانية من مغبة تلك الانحرافات .

ولما كانت هناك جفوة بين منهج الفلسفة ، ومنهج العقيدة ، فقد كانت تلك

---

١ – سيد قطب ومحمد قطب ومحمد جلال كشك

الانحرافات ، نشازاً في لحن القصيدة الأزليّ شاب صفاء التصور الاسلامي .

فلا بد ، لإعادة الألق والنقاء إلى التصور الاسلامي وإنقاذه من التشويه والمسخ ، أن تزيل عنه تخبطات الوثنية ، علوم الكلام ، وكل ما ثار من جدال ، بين الفرق والنحل الاسلامية ونعود إلى القرآن نستمدّ منه مباشرة مقومات التصور الاسلامي ..

« أما مناهج الفكر الغربي فهي مستمدة ابتداءً من الفكر الإغريقي المشحون بالأساطير واللوثة الوثنية الرومانية ، ثم مستمدّةٌ من عدائها للكنيسة والتفكير الكنسي .. مع العلم بأن التصوّرات الكنسية بصفة عامة لم تكن في يوم من الأيام ، تمثّل النصرانية الحقيقية ، ذلك ان الملابسات التي صاحبت نشأة النصرانية في ظل الحضارة الرومانية الوثنية المنهارة ، ثم دخول الدولة الرومانية في النصرانية كمظهر وشارة ، لا عن إيمان صادق قد جني على قداسة النصرانية ومثلها وأدخل فيها تحريفات خطيرة لا تمتّ إليها بصلة ، مما جعل النصرانية تعبيراً عن التصور الكنسي ، أكثر مما هي تعبير عن الديانة المنزلة على السيد المسيح من عند الله .

ولذا وقف الفكر الأوروبي موقفاً عدائياً ، لا من التصوّرات والأفكار الكنسية التي كانت سائدة يومذاك ، بل من الأفكار والتصوّرات الدينية على الإطلاق ، هدفه التخلّص من الكنيسة ومن إله الكنيسة ، بل من كل إله ..

وعند انبثاق النهضة الأوروبية في أواخر القرون الوسطى رأت الكنيسة ما يهدّد سلطانها ، أمام كشوفات الفكر الحديث ، وكانت سلطة الكنيسة تفوق سلطة الملوك والأمراء ، وتتفق معهم في التجهيل ، والاستغلال ، وفي الاستقلال بالمزايا والثروات على حساب الدهماء ، فهبّت تجاهد لتعطيل حرية الفكر ، ومحاربة التقدم العلمي بكل وسائل القمع والكبت ، ولا ننسى هنا جرائم محاكم التفتيش تحت شعار الزيغ والإلحاد ، ولذا وقعت الجفوة في أوروبا بين الدين والعلم ، بين الكنيسة والمجتمع .

وعندما جاءت الثورة الصناعية ، وانقسم المجتمع إلى ملاّكين وأرقاء ،

أصحاب عمل وعمال ، حرصت الكنيسة على الاحتفاظ بما تبقّى لها من مراكز القوة ، فانضمت في الصراع الذي لا محيص عنه إلى أصحاب العمل ، فازدادت الهوّة اتساعاً بين الكنيسة والمجتمع، ثم جاءت الثورة « التكنولوجية » فتخلت الحضارة الأوروبية ، نهائياً عن التصوّرات الدينية ، وتحللت من سلطان الكنيسة واعتراها الانحلال الخلقي ، وابتعدت عن القيم الروحية ..

أما الإسلام فقد نشأ في الأصل ولا كهانة فيه ولا وساطة بين العبد وربّه .. والإمام لا يستمدّ ولايته من « حق إلهي » بل من رضى الجماعة والفقـه في الشريعة ، وليس في الاسلام صكوك غفران وقرارات حرمان ، وليست هناك منافع مادية ومصالح اقتصادية ، يختصّ بها رجال الدين ، ولم يصبح المسجد طرفاً في نزاع إلا في حدود الله ، وطهارة الدنيا والآخرة ، وليست هناك سلطة زمنية وأخرى روحية يتنازع فيها الملوك و « البابوات » ..

والاسلام لا يعادي العلم ، بل يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فلم تقع الجفوة بين الدين والعلم ، كالجفوة التي وقعت بين الكنيسة والعلماء .

والاسلام لا يخدّر الطبقات المدحورة تحت شعار ملكوت السماوات، فليس فيه معذّبون في الأرض، بل هو يفرض قواعد العدالة الاجتماعية، وينفي افتئات طبقات المجتمع بعضها على بعض ، ويحضّ الناس على طلب حقوقهم مهما تحمّلوا في سبيل ذلك من رهق وظلم وعذاب ..

وتقوم فلسفة الاسلام في الحكم على أساس عدل الحاكم وطاعـة المحكوم ، والشورى بين الحاكم والمحكوم .. وان الحاكمية لله وحده ، ووظيفة الحاكم تنفيذ الشريعة فان أحسن وجبت له الطاعة ، وان أساء انتقضت طاعته ووجب تقويمه ..

وأطلقت الدعوة الاسلامية صيحة التوحيد — لا إله إلا الله— فالناس في ظل هذا التصور سواسية ، لا مزية لجنس ولا لون ولا عنصرية ولا طبقـات ، ولا أسطورة شبهة الإلوهية ، وأسطورة ظل الله على الأرض » ..

ونظرة مجرّدة نزيهة، توضح بلا لبس ان في الاسلام خير ما في الايديولوجيات

المعروفة جميعاً ، من عدالة اجتماعية ومساواة وحرية وديمقراطية وكرامة إنسانية ، وتوزيع الثروة بالعدل والقسطاس ..

لقد حكم المسلمون ألف عام دون أن يعرفوا الألقاب ..

ونظام الميراث الاسلامي يقضي على تراكم الثروة واحتكارها ..

ووثيقة حقوق الانسان التي أعلنت في ديسمبر ١٩٤٨ لم تأتِ بجديد يفوق ما في تعاليم الاسلام قبل أربعة عشر قرناً .. بل ان كل ما احتوته من مبادىء خلقية وإنسانية يمكن إرجاعه إلى العقيدة الاسلامية ..

*

ان قمة الحضارة الانسانية اليوم ممثلة ومجسّدة في الحضارة الغربية الديمقراطية ، والحضارة الشرقية الاشتراكية ، اما الحضارة الاسلامية فتغط في سبات عميق ..

يقول « أرنولد توينبي » في كتابه « العادة والتغيير » : « ان الرأسمالية الغربية أخطأت في تضحيتها بالعدالة في سبيل الفردية . والشيوعية أخطأت في تضحية الحرية من أجل العدالة . وكلتا النظريتين مادية ، وتفسير العدالة والحرية على هذا الوجه ، تفسير خاطىء ، فالانسان ليس حشرة اجتماعية ، ولكنه مخلوق ذو كرامة وإدراك واختيار . وجميع المذاهب والنظريات المادية لا تستطيع ان تحقق له الانعتاق الروحي الذي يمنحه له الدين » .

في الحضارة الرأسمالية ، تؤدي المزاحمة الحرة — كما يقول كارل ماركس — إلى تمركز الإنتاج ، ويفضي هذا التمركز إلى الاحتكار « التروستات » و « الكارتيلات » . هذا هو القانون العام والأساسي في المرحلة الحديثة من تطوّر الرأسمالية . والأمبريالية هي الرأسمالية في مرحلة الاحتكار ، والاستغلال عن طريق تصدير رأس المال بدل تصدير البضائع .

ويقول « لينين » في وصف الحضارة الغربية : « ان في حوزة أقل من واحد بالمئة من المشاريع الكبرى أكثر من ثلاثة أرباع مجموع الطاقة البخارية

والكهربائية .. أي ان الملايين من أصحاب العمل الصغار والمتوسّطين ، يجدون أنفسهم في الواقع مستعبدين بصورة تلقائية لبضع مئات من الماليين الكبار » !

ويقول « لينين » : « ان وظيفة البنوك الأساسية في الأنظمة الديمقراطية هي الوساطة في الدفع ، وبذا يتحوّل الرأسمال النقدي ، غير الفاعل ، إلى رأسمال فاعل يدرّ الأرباح ، وتتجمّع الفوائد النقدية بشتى أنواعها ، وتوضع تحت تصرف طبقة الرأسماليين ، ومع تمركز المصارف في مؤسسات قليلة العدد ، تتحوّل من وسطاء إلى محتكرين ، يتصرفون بالرأسمال النقدي العائد لمجموع الرأسماليين وصغار أصحاب الأعمال ، وكذا بالقسم الأكبر من وسائل الإنتاج ، ومصادر الخامات . ويساعد تمركز المصارف على تبدّل أهميتها ، فمن الرأسماليين المبعثرين يتكوّن رأسمال واحد مشترك ، وتكون النتيجة ان قبضة من المحتكرين تخضع العمليات التجارية والصناعية في المجتمع الرأسمالي برمّته ، إذ يتسنى لها بواسع نفوذها ، أن تطّلع على أوضاع كل مشروع للإشراف عليها والتأثير فيها بالتوسع أو التضييق ، بتسهيل التسليف أو تصعيبه ، وعلى ذلك تقرر وحدها مصائر تلك المشاريع ، وبذا تتأكد وتتوطّد تبعية الصناعة الكبرى لعدد ضئيل من الاحتكارات المصرفية » !

ان خطر الرأسمالية ، هو تحوّل المزاحمة الحرة إلى احتكارات ، وبذا تسيطر الطغمة المالية ، فتوجّه التشريع ، وتفرض على المجتمع بأسره جزية لمصلحة المحتكرين ، وتهيمن على الدول عن طريق القروض !

ونحن حين نعي هذه الحقائق ، ندرك مدى خطورة سيطرة الصهيونية في العالم الغربي لمهارتها في السيطرة على الاحتكارات !!

هذا عن الحضارة الغربية الديمقراطية ، اما الحضارة الشرقية الشيوعية ، فهي تخضع الانسان خضوعاً كاملاً لأحطّ الضرورات ، حتى يصبح آلة في المؤسسة ، اهتماماته مقيّدة بالجنس والخبز ، فلا يبقى فيه موضع للكرامة الإنسانية والأخلاقية الانسانية ونوازع الروح .. ويصبح تاريخ الانسان كله هو تاريخ البحث عن الطعام !

ولا يجوز في المفهوم الماركسي ، رفع شعار القومية ، لأن القومية قضية ايديولوجية ، والجدلية المادية التاريخية ، لا مكان فيهـــا لغير الايديولوجية الماركسية .. ولذا « فهي ترفع شعار الوطنية ، فتقول بالتجمّع الوطني ، والجبهة الوطنية ، على أساس ان الوطن منزل يسكنه الناس من جميع الأجناس فتكون الوطنية عندئذ وصفاً وشعارا فقط لا عقيدة ومبدأ .. فالقومية عندها ظاهرة مرحليـــة صاحبت نشوء الرأسمالية ، وحين تزول الرأسمالية يزول صراع القوميات ، ولا يبقى مجال للتناقض بين «البروليتاريا» ، ولا يبقى مجال للصراع بين « البروليتاري » الصيني والروسي والأميركي والبريطاني ، وينسحب ذلك على العربي والاسرائيلي !.. وبكلمة أخرى تصبح الطريقة المفضّلة لحل النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، هي زوال الرجعية وسيادة الجدلية المادية ، وإخوة «البروليتاريا» والتعايش في ظل المبدأ المشترك ، لأن التناقضات القائمة هي من إفراز الرأسمالية وسمومها ، تزول بزوالها !

وليس في الماركسية مكان للدين ، فالدين هو أفيون الشعوب وهو ظاهرة تاريخيـــة تتأصل جذورها في المجتمع الطبقي ، وستختفي في المجتمع الشيوعي اللا طبقي .. وبعض مفكري السوفييت المحدثين ، يذهبون إلى أبعد من ذلك ، فيقولون ان الدين هو ظاهرة سيكولوجية مرضية !! لأن ماركس يقول : « ان الانسان كلما ازداد تديّنه ، انحطّت رجولته » !

وحين يسلخ المرء من قوميته ودينه ، ويفقد الحلم ، والتوق والايمان ، وشرف الانتماء ، يصبح فريسة مكشوفة ، ورقماً شائماً في القطيع الضال ، ويصبح عميلاً برخصة وهوية ، ويكون الماركسي الاسرائيلي أقرب للماركسي العربي من أخيه العربي المسلم الذي يتعاطى أفيون الشعوب !! ويغدو الماركسي العربي جندياً في انكشارية الثورة العالمية ، ويسهل على العملاء والجواسيس التستر بالوطنية والتقدمية والفكر الحر ، والثورية إلى آخر أسطوانة الدجل والتدليس !!

*

لست أراني في حاجة إلى كبير عناء ، بعد هـذا الايجاز حول الحضارتين الغربية والشرقية لأقرر انهما كليهما يقفان من الحضارة الاسلامية موقفاً عدائياً ، لا هوادة فيه ولا مهادنة ، ولذا عملا معاً على غرس إسرائيل في قدس أقداسنا لتمزقنا ، فنتلهّى عن شرف الجهـــاد بصراعاتنا الايديولوجية التي رمتنا بها الأمبريالية الشرقية الغربية والصهيونية لنستسلم بعـد طول ضياع ونجثو على الأقدام ..

هذا الصراع الأبدي بين الغرب الصليبي والشرق الاسلامي الذي يفاخر به القادة والساسة والمفكرون الغربيون ، قد اتّخذ صوراً كثيرة منها الحروب الصليبية ، لإبادة المسلمين وإذلالهم، ولم يكتم أصحابها زهوهم بالخوض في دمائنا..

يقول « أنتوني ناتنج » في كتابه « العرب » :

« وبعد حصار دام تسعة شهور اقتحموا — الصليبيون— أنطاكية ثم انطلقوا إلى فلسطين مخلّفين وراءهم جثث مئة ألف مسلم ، وخلال أسبوع ، جرى ذبح النساء والأطفال والشيوخ ، في مذابح ضارية لم يفقها في وحشيتها شيء » ..

ويقول « روشتر » عن هزيمة الصليبيين :

« جهد الصليبيون طول قرنين لاستعادة الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين المتعصّبين ، فكان عهد الحروب الصليبية ، أروع العهود في القرون الوسطى ، لكن ذلك الجهد قد خاب ، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من التعصّب الاسلامي » ..

وبهزيمة الصليبيين ، أيقن الغرب ان مقارعة الاسلام وجهاً لوجه لا تجدي ، فبدأت سياسة تطويق الاسلام وتدميره من الداخل ..

يقول « توينبي » في « مختصر دراسة التاريخ » :

« وهكذا في غضون فترة تقلّ عن القرن لم يقتصر الأمر على الإحداق بالعالم الاسلامي ، بل أمكن تطويقه تماماً » .

ثم جاء دور التسلل إلى الـــداخل بالإرساليات التبشيرية ، يقول المعلق الألماني « هنريش كاستر » : « ربما كان من الخطأ أن نخلط بين الاسلام والقومية

العربية ، ولكن لا يقلّ خطأ عن ذلك ، أن نحاول التغاضي عن العلاقة الوثيقة بين الاثنين ، ..

ويقول « مورو بيرجر » في كتابه « العالم العربي اليوم » :

« لقد ثبت تاريخياً ان قوة العرب تعني قوة الاسلام » !

المواجهة الحضارية بين الغربية المسيحية والعربية الاسلامية ، يفهمها الغرب الصليبي على انها حرب إبادة تحتّم إبادة الاسلام من هذه المنطقة ، وقد حاول الغرب ذلك عسكرياً ففشل ، ثم حاوله بالتطويق والتبشير والاحتلال ، وهذا هو يحاوله اليوم بالغزو الفكري لنسف الاسلام من الداخل ، فينجح أيّما نجاح !

فالمعركة المحتدمة في الشرق الأوسط اليوم ، هي معركة الحضارة الاسلامية ، وكل خلاف لهذا الرأي ، سخف وتفاهة وجهل ، يشلّ الرؤية الصحيحة !

والمعركة المحتدمة في أفريقيا ، هي معركة إسلام القارة وتضامنها مع العرب الذين هم مادّة الاسلام كما سمّاهم الخليفة المظيم عمر بن الخطاب ..

المطابع الغربية تخرج كل يوم كتاباً عن أفريقيا لا يخلو من التهجّم على الاسلام والتحذير من خطر انتشاره ..

كل أجهزة الإعلام في الشرق والغرب.. ومعظم أجهزة الإعلام فينا أنفسنا، مجنّدة اليوم لتشويه سمعة العرب والمسلمين ..

ولا تنسى الصهيونية دورها في المعمعة الضارية . وإذا كان الشرق والغرب كلاهما يخشيان من وحدة إسلامية تحتضن شطآن البحر الأبيض المتوسط ، من الشرق والجنوب ، وتقف في وجه الأمبريالية الجديدة ، بل تخلف الحضارات التي دبّت فيها عوامل الانهيار ، لا أقصد بالحضارة التقدم « التكنولوجي » فممارسة هذا التقدم واستغلاله ميسور يحتاج إلى دأب ومعاناة واقتباس ، بل أقصد الانهيار الأخلاقي الذي تتسم به المجتمعات الغربية اليوم ..

اما الدوافع الصهيونية ، فقد وعت إسرائيل منذ حرب سنة ١٩٤٨ ان عدوها الحقيقي في المنطقة هو الاسلام ، وعرفت من تجربتها في تلك المعركة ، من حارب زيفاً ، ومن حارب صدقاً وإيماناً ، وان الذين جاهدوا تحت راية الاسلام

كانوا هم وحدهم المقاتلين الشرفاء .. منذئذ عرفت الصهيونية عدوها الحقيقي واستمدت لحتمية الصدام، ومن ثم عملت جاهدة على التغلغل في الشعوب العربية بالغزو الفكري والعهر الخلقي لتجريدها من سلاحها الوحيد وهو الإيمان، بينما حرصت على تسليح جماهيرها به، وكانت أداة الصهيونية في المعركة الحزبيات العربية التي أنكرت هويتها القوميـــة والدينية، وفخرت بانتمائها إلى الشرق والغرب !! مع ان إسرائيل تقوم على العنصرية الدينية، وما لم نواجهها بمثـل إيمانها، فلا أمل لنا بالنصر، ولا يفلّ الحديد إلا الحديد ..

لقد قلت وأعدت وكرّرت، انني لا أنتمي إلى حزب أو جماعة أو تنظيم، وقد استعصيت منذ شبابي الباكر أن أقع فريسة إغراء الحزبيات، ذلك لأنني نشأت أكرم عقلي أن يذوب في غيري، وأربأ بهويتي القومية والدينية أن تمنح إليّ في بطاقة أتـخذها ذريعة أو دريئة، لكنني أحب في موقفي هذا أن أشير إلى ظاهرة غريبة، رافقت استشراء الغزو الفكري ودعوة الإلحاد والفساد، هي ما قاساه « الاخوان المسلمون » من مصائب وكوارث، وما وجّه إليهم من تهم، وأهيل عليهم من شبهات، حتى أصبحت حركة الجماعة المؤمنة، مع اعترافي بأخطائهم وتكتيكاتهم، واستراتيجياتهم، موضع الريبة وظنون الاستنكار، ولست أجد تفسيراً لذلك التصدّي الظالم المستمر، إلا انهم مسلمون .. وقد أريد بالاسلام أن يكون غريباً في أهله ودياره، وكان وما يزال هدف المؤامرة والمتآمرين .. لأنه يشكل وحده الخطر الحقيقي على الأمبريالية والصهيونية ..

ولم يقتصر الأمر على « الايديولوجيات » القادمة من وراء الحدود، بل لقد دأب بعض ساستنا وقادتنا وحكوماتنا على التصدّي لقضايا الشعوب الاسلامية في كل معترك دولي، ومحاربة كل تقدم إسلامي ..

إسرائيل تزداد تعلـّقاً بدينها وتراثها، بقدر ما نزداد نحن ابتعاداً عن الدين والتراث ..

إسرائيل تغفر كل شيء عدا مخالفة عقيدتها وتقاليد تاريخها .. ونحن نلتزم بكل شيء عدا العقيدة والتقاليد وحافز الإيمان !!

إسرائيل تمجد بطولاتها ، ونحن نحقّر بطولاتنا ..

إسرائيل تواجهنا بالمجتمع المتديّن المتلاحم ، ونحن نواجهها بمجتمع الكراهية والتمزق والكفر والضلال !..

إسرائيل تقدّس الأرض ، ونحن نقدّس الأشخاص !

إسرائيل حددت شعاراتها ، ورسمت أهدافها ، ووضعت خطّتها ومضت وئيداً وئيداً ، تستغل كل ظرف ، وتبذل كل جهد ، لتحقيق ما رسمت وخطّطت .. ونحن نرفع كل يوم شعاراً ، ونصطنع كل يوم خطة .. ونُجمع كل يوم أمراً ، ثم ننقض كل ما نسجناه من الغداة !!

نشطت إسرائيل في العالم العربي تدمّره من الداخل بالاقتحام العسكري من جهة ، وبالغزو الفكري من جهة ثانية ، وبالانحلال الخلقي ، أولاً وأخيراً ..

جميع الشعارات التي احتدم حولها صراعنا ، قذفتنا بها إسرائيل ، ومن هم وراء إسرائيل .. ليسهل عليهم الاستفراد بنا وافتراسنا ..

وعرفت إسرائيل من أين تؤكل الكتف .. فاختارت الأقليات العنصرية والدينية فينا عيوناً لها وأرصاداً ، وأدوات هدم وتخريب . وقام هؤلاء تحت ستار التقدمية والثورية .. وتحت راية القومية العربية ، يطعنون الحضارة الاسلامية وينفسون عن أحقادهم وأحقاد أسيادهم وعملائهم الموروثة ضد الاسلام.

يقول الكاتب المسلم محمد جلال كشك :

« كان في مصر أربعة تنظيمات شيوعية ..

منظمة « حدتو » ويرأسها « هنري كورييل » وهو صهيوني ..

منظمة « اسكرا » ويرأسها « ايللي شوارتز » وهو صهيوني ..

منظمة « م. ش. م. » ويرأسها « سلامون سيدني » وهو صهيوني ..

منظمة الفجر الجديد أو « د. ش. » ويرأسها « يوسف درويش وريمون دويك » وهما صهيونيان ..

وكان سكرتير اللجنـــة المركزية الأولى للحزب الشيوعي اللبناني هو : «جاكوب تيبر» وهو صهيوني جاء من إسرائيل ليرأس الحزب .. وبعد انتخاب

القيــادة الجديدة برئاسة « بكداش » أرسل الحزب « فرج الله الحلو » إلى « تل أبيب » واستقدم الصهيوني « نحمان ليفنسكي » كمستشار لتنسيق العمل بين الحزب الشيوعي في إسرائيل ، والأحزاب الشيوعية في بيروت ودمشق !..

ويقول الأستــاذ « قدري قلعجي » في كتابه : « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » : « ان الشيوعية لم تدخل البلاد العربية كحركة وطنية تنبثق من البيئة القومية وتتفاعل معها ، وان مؤسسي الأحزاب الشيوعية العربيــة لم يكونوا مواطنين عرباً من أبناء البــلاد ، وإنما كانوا رسل « الكومنترن » أو الشيوعية الدولية .. وكان أولهم يهودياً بولونياً يدعى « جوزيف برجر » أطلق عليه لقب « عين موسكو » .

ثم تلاه « عين موسكو الثاني » وهو يهودي ليتواني يدعى « الياهو تيبر » .

ثم جــاء « عين موسكو » الثالث وهو يهودي روسي من أوديسا يدعى « ليخمان لتيفنسكي » !

وجميع هؤلاء « العيون » جاؤوا إلى بيروت عن طريق حيفا ، وعملوا على تأسيس الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ليكون تابعاً للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين » !

« اما الحزب الشيوعي العراقي ، فقد كان اليهود أسرع الناس إلى التعاون معه فتولوا عدداً من المراكز القيــادية ونذكر منهم « ناجي شميل ، وصديق يهوذا ، وساسون دلال ، ويوسف حزقيل .. وغــيرهم كثير . وكانت مهمتهم تشويه الحركة القومية وتحويل أنظار الشعب إلى المشكلات العالمية البعيدة بدلاً من الاهتمام بقضاياه الوطنية الملحة » .

ومن الظواهر الواضحة ، ان الصراع الايديولوجي في المنطقة قد استشرى في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وحصول معظم الدول العربية على استقلالهــا لأول مرة منذ مئات السنين ، مما فسح المجال لتسلل الغزو الفكري الصهيوني الأمبريالي إلى العالم العربي بواسطة الأقليات العنصرية والدينيــة ، التي غذّت الصراع بكل حركة مذهبية جــديدة فانقسم المفكرون العرب إلى يمينيين

ويساريين ، فاشيست ، وقوميين وبعثيين وشيوعيين .. ومن الظواهر الغريبة ذات الدلالة العجيبة ان معظم قادة تلك الأحزاب والمنظمات كانوا من الأقليات المشار إليها ..

ففرق الشرق الأوسط منذئذ في دوّامة الايديولوجيات والصراعات المذهبية المستوردة : نقاش بيزنطي في الأندية والمقاهي .. وحوار عقائدي في الشوارع ، إلى ما تشاء وما لا تشاء من مهاترات ومغامرات وتناقضات ، شلّت الفكر العربي ودمّرت المجتمع العربي .. وقطعت ما بين المواطن العربي وبين عقيدته وتراثه ..

وجاء الخامس من حزيران ، ونحن كالثوب الممزق ، وخضناها مرغمين دون استعداد ، ودون تخطيط وإعداد ، وسقنا جيوشنا إلى المهالك بعد ان عريناها من الإيمان .. أمامها عدو شرس ووراءها مجتمع كراهية وتفسخ وخيانة وانحلال ، ففقدت إرادة القتال يوم فقدت إيمانها بربها وبأرضها ، وبغايات جهادها .. فكان ما كان !!

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تعلقنا بديننا لا يمنعنا عن مصادقة من يصادقنا مهما كانت عقيدته ، ومن الخبل ان نحجم تحت ستار الدين عن صداقة من يعطينا رفده ، ويمنحنا عونه . ومعرفتنا بالمتآمرين علينا لن تحول بيننا وبين محاولة ان ندعوهم بالقولة الحسنة إلى نصرة حقنا ..

وإذا ثبت عندنا ان هدف أميركا تعريتنا أمام البطش الصهيوني ليقتحم علينا بلادنا ، ويتوسع في أراضينا ، فمن أوجب واجباتنا ان نعرف كيف نستغل الموقف الدولي ونلتمس الدعم من عدو أعدائنا ، ولا غضاضة في التجاء الضعيف إلى مساعدة الأقوياء ، مع احتفاظه بهويته وعقيدته ودينه ..

ولولا « سام ٢ ؛ وسام ٣ » لاستمر غزو إسرائيل لأجوائنا بطائرات « الفانتوم » الأميركية حتى نسلّم لها بما تريد .. وكل صوت أجشّ ، يرهبنا بتواجد روسيا في بعض الدول العربية لقيام التوازن الدولي ، في هذه المرحلة ، هو جاهل أو مغرض أو عميل بلباس شيخ !!

- ١٧ -

لماذا الإسلام؟

كان القوم في العواصم الأوروبية يسألونني عن هويتي السياسية ، هل أنا محافظ أم تقدمي ، فكنت أجيبهم دون توقف أو تحرّز : انني مسلم ، لأن في الإسلام خير ما عند المحافظين ، وما عند التقدميين على السواء ، بل خير ما عند الناس أجمعين ..

ذلك ان الحضارة الغربية بمدارسها المختلفة ، تلغي فردية الفرد وإنسانية الإنسان ، لأنها تتقدم علمياً بقدر ما تتأخر خلقياً ، تتقدم في علوم الآلة وتتأخر في علوم الإنسان ..

والحضارة التي تتبنّى المنهج العلمي وحده تتأدّى إلى الشذوذ والإجرام !

والحضارة التي تتبنّى المنهج الخلقي وحده تتأدّى إلى الخيبة والانهزام !

ولا بد من تعانق وتلازم وتلاحم وجهي الحضارة الحقة : تقدم في علم الطبيعة وتقدم في علم الإنسان ..

وقد حقق الاسلام أسمى ما عرفته الدنيا من المبادىء الأخلاقية والقيم

الروحية ، والمثل العليا في العدالة والحرية والمساواة . وتحديد موقف الفرد من الدنيا والناس .. ونتحدّى من يقدم لنا نموذجاً واحداً تخطّت فيه الحضارات القديمة والحديثة مبادىء الاسلام في هذه المفاهيم .. ولو استطاع المسلمون اقتباس المنجزات الصناعية العلمية في إطار تصوّرهم الديني ومنهجهم الإلهي الذي ما يزال قائماً قيام السنن الكونية الكبرى ، لامتطوا ذروة الحضارات ..

نخلص من هذه المقدمات إلى ان المنهج الاسلامي ضرورة إنسانية حتمية وان التجربة الاسلامية في الحكم في عهد الرسول وخليفتيه هي أروع وأرفع ما وعته ذاكرة الدنيا من صلاح الدنيا والآخرة ، وان تلك التجربة الخصبة الهائلة التي تحققت يوم غلب الله على أمره يمكن ان تتحقق مرة ثانية ، مع إيماننا بأن إدراك ذلك ليس نزهة سهلة ، بل هو جهد ناصب وطريق شاق مليء بالأشواك ، أعسر ما فيه ان نرتفع بأخلاقنا وأفكارنا وسمتنا وسلوكنا ، إلى مستواه .. وان نغطّي نقص حضارتنا باقتباس منجزات العلم الحديث في إطار تصورنا الروحي للكون والإنسان ..

وتثبيتاً لهذه المفاهيم ، نقصّ عليك في هذا الفصل بعض القصص الإسلامية التي تجمل تجربة الحكم في عهد الرسول الأعظم وخليفتيه ، تجربة فريدة في معنى الحكم ، وتكافل الجماعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بدستور إلهي لا يعتريه تغيير أو تبديل لأنه تنزيل العزيز الحكيم .. الحاكمية فيه لله وحده ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا فضل لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والجدّ والصلاح ، يحفظ كرامة الانسان ، فلا يذلّ بحاجة ولا يرضى بظلم ، ولا يكون رقماً شائعاً وآلة تدور ..

فإذا فعلنا اهتدينا وانتصرنا وإلا توالت هزائمنا ، كأن لم َتغْنَ بالأمس!

— يكتب عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص: « سلام الله عليك ، أما بعد ، فلقد بلغني انه فشت لك فاشية من خيل وإبل وغنم وبقر ، وعهدي بك قبل ذلك ، ولا مال لك . فاكتب إليّ من أين أصل هذا المال ولا تكتمه ..

فأجاب ابن العاص وهو من هو : يا أمير المؤمنين ان أرضنا أرض مزروع ومتّجر ، فنحن نصيب فضلا عما نحتاج إليه لنفقتنا .

فأجابه عمر : اني قد خبرت من عمّال السوء ما كفى ، وكتابك إليّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق . وقد سؤت بك ظنـــاً ، وبعثت إليك محمد بن مسلمة ، فشاطره مالك ، فانكم أيها الرهطُ الأمراء جلستم على عيون المـال لم يفزعكم عذر ، تجمعون لأبنائكم وتمهّدون لأنفسكم . أمَا انكم تجمعون العار ، وتورثون النار ، والسلام » !

ــ خطب الخليفة عمر فقال : يا أيها النـاس اني والله لا أرسل إليكم عمّالاً ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا من أموالكم ، ولكني أرسلتهم إليكم ليعلّموكم دينكم وسنّتكم ، فمن فعل به شيء من ذلك ، فليرفعه إليّ ، فوالذي نفس عمر بيده لأقصّنه منه ..

فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيتك ان كان رجـل من أمراء المسلمين على رعيته ، فأدّب بعض رعيته ، انك لتقصّ منه ؟..

قال عمر : أي والذي نفسي بيده ، إذن لأقصّنهُ منه . وكيف لا أقصّ منه وقد رأيت رسول الله ﷺ ، يقصّ من نفسه . ألاّ لا تضربوا النـــاس فتذلّوهم ، ولا تجمّروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقهم فتكفّروهم ..

ــ داس عبدٌ على رداء « جبلة بن الأيهم » من أشراف غسّان وهو يطوف بالكعبة ، فلطمه على وجهه ، فشكاه إلى عمر ، فأتى به عمر وأمر العبد أن يقتص لنفسه فيلطمه ، مما حرّك في نفس ابن الأيهم عنجهية الجاهلية ، فارتدّ عن الاسلام والتحق بقبيلته ، فلم يضارّ الاسلام بارتداده ، بل أرسى قاعدة المساواة التامة أمام القانون ، وهو ما لم تعرفه الحضارة الغربية بعد ثلاثة عشر قرناً .

ــ وقف عمر بن الخطاب يخطب في الناس بعد تولّيه خـــلافة رسول الله فقال : « أيها الناس لقد وليت عليكم ولست بخيركم ، فمن وجد فيّ اعوجاجـاً فليقوّمه » .. فوقف رجل من عامة الناس ، وقال له : والله لو وجدنا فيـك

اعوجاجاً لقوّمناه بحدّ سيوفنا . فلم يزد عمر على ان يحمد الله تعالى ..

– أصاب المسلمون يوماً قماشاً فقسمه الخليفة عمر على الناس فكان نصيب كل مسلم قميصاً ، وكان عمر طويل القامة يمشي كأنه راكب ، فخرج على الناس للصلاة ، وقد لبس قميصاً يغطّي ركبتيه ، ونادى في المسلمين : يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا ..

فصاح رجل : لا سمعاً ولا طاعة !

وفزع عمر فسأله : لماذا ؟ فقال الرجل : لأن كلاً منا أصابه قميص فمن أين جئت أنت بما يستر عورتك وأنت أطول منا ..

فينادي عمر ابنه الذي يقول : انه أعطى أباه نصيبه من القماش .

فيقول الرجل : الآن نسمع ونطيع !!

– النعمان بن المنذر عامل كسرى على العراق قبل الاسلام، يأبى أن يزوّجه ابنته أنفة واحتقاراً للأعجمي ملك الملوك.. فيكون ذلك سبب حرب ضروس بين الفرس والعرب هي حرب ذي قار .. والرسول يقول : سلمان منا أهل البيت ، وسلمان عبدٌ فارسيّ إذ لم يبقَ في الاسلام سيّد ومسود ، وتساوى العبد في نظر الاسلام مع أشرف بيوت العرب .. فليس فيه ، أكرمون ، وغير أكرمين ، كلهم بشر .. ناس .. أمام الله ، حتى ليزوّج محمد ابنة عمته زينب بنت جحش ، من مولاه زيد !!

– وضعت الدواوين فيصدر الإسلام في عهد عمر لا لتقدير الضرائب والزكاة على المواطنين ، بل لتسهيل صرف المعونات والمرتبات التي تلتزم بها الدولة إزاء رعاياها ، قبل أن تعرف أوروبا مبدأ التكافل الاجتماعي ببضعة عشر قرناً ..

وعمر رضي الله عنه ، قرّر عطاءاً للذين بلغوا الفطام ، وسمع ليلة طفلاً يبكي لأن أمه تريد أن تفطمه ليسجل في عداد المرتبات ، فيبكي عمر ، ويؤنب نفسه قائلاً : ويحك يا عمر ، كم طفلاً قتلت من أبناء المسلمين ، ويأمر أن يقرر المرتب لكل طفل ساعة يولد ..

– يخطب عمر فيقول : والله لئن بقيت ليأتينّ الراعي بجبل صنعاء حظّه من

هذا المال ، وهو مكانه ، ليس أحد أحق بهذا المال من أحد !

– أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ، زوجة الخليفة عمر بن الخطاب ، بعثت إلى ملكة الروم بهدية ، ودسّتها إلى البريد ، فأبلغـه لها ، فأهدت لها ملكة الروم بالمقابل ، عقداً فاخراً وطيباً ، فلما انتهى البريد إلى عمر أمسك الهدية ، ودعا إلى الصلاة ، فاجتمع الناس ، وبعد ان صلّى بهم ركعتين قال : انه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى ، قولوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم ، فأهدت لها امرأة ملك الروم . فقال قائلون : هو لها بالذي لها . وليست امرأة الملك بذمّة فتصانع به ، فقال عمر : ولكن الرسول رسول المسلمين والـبريد بريدهم ، وأمر بردّ الهدية إلى بيت المال ..

– استعمل رسول الله رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم ، فجاء بزكاتهم ، فسلّم الرسول أموال الدولة ، وبقي معه بعض المال ، وقال : هذه هديـة أهديت لي .. فظهر الغضب في وجه النبيّ ، وقام وخطب في الناس فقال : اني أستعمل رجلاً منكم فيقول : هذا لكم ، وهذه أهديت لي . فهلاّ جلس في بيت أبيه أو بيت أمه ، فينظر أيُهدى إليه أم لا ؟؟..

– يسمع رسول الله ، أبا ذرّ الغفاري يقول لبلال : يا ابن السوداء ، فيتملكه الغضب ويقول : طفّ الصاع . طفّ الصاع ، ليس لابن البيضاء فضل على ابن السوداء إلا بالتقوى أو عمل صالح ، ويعلن ان أبا ذرّ امرؤ فيه جاهلية ، ويبلغ الألم بأبي ذر حداً يجعله يضع رأسه على الأرض ويطلب من بلال أن يطأ وجهه بنعله !!

– يقول رسول الله في خطبة الوداع : أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب .. ليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلّغت ؟ اللهم فاشهد . فليبلّغ الشاهد منكم الغائب ..

– عمر بن الخطاب وهو خليفة يقبل حاملاً قربة ماء ، فيسأله ابنه باستنكار : لماذا فعلت هذا ؟ فيجيبه : أعجبتني نفسي فأحببت أن أذِلّها !

– لطم ابن عمرو بن العاص والي مصر ، ابن قبطي ، فيأبى عمر إلا أن يقتص منه ويقول للقبطي ، اضرب ابن الأكرمين .. ويصرخ في وجه عمرو : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ..

– بعث الرسول ، بزيد مولاه ، قائداً لغزوة مؤتة ، وابنه أسامة قائداً لغزو الروم في جيش يضم فيمن يضم أبا بكر وعمر وهما وزيرا الرسول وخليفتاه، لا يجدان غضاضة في ذلك ثم يذهب الرسول إلى الرفيق الأعلى، فيمضي أبو بكر جيش أسامة ، ثم يسير يودّعه إلى ظاهر المدينة : أسامة راكب ، والخليفة أبو بكر راجل . فيستحي أسامة ان يركب وهو شاب ، وخليفة رسول الله يمشي وهو شيخ ، فيقول : يا خليفة رسول الله ، لتركبنّ أو لأنزلنّ ، فيقول الخليفة: والله لا تنزل ووالله لن أركب ، وما عليّ أن أغبّرَ قدميّ في سبيل الله ساعة . ثم يرى أبو بكر انه في حاجة إلى عمر ليعينه على عبء الخلافة ، وعمر جنديّ في جيش أسامة ، وأسامة هو القائد ، فلا بد من استئذانه فيه . فيقول الخليفة : ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل !!

– ويمرّ عمر بن الخطاب يوماً بمكة فيرى الخدم وقوفاً والسادة يأكلون ، فيغضب ويقول مستنكراً : ما لقوم يستأثرون على خدّامهم .. ويأبى إلا أن يجلس الخدم للأكل مع السادة في جفنَةٍ واحدة ..

– جلس عمر ذات يوم يقسم مالاً بين المسلمين ، فازدحم الناس عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص وهو من هو في نسبه وبلائه في الإسلام ، فزاحم الناس حتى زحمهم وخلص إلى عمر ، فعلاه عمر بالدِرّةِ وهو يقول : « لم تهب سلطان الله في الأرض فأردت أن أعلمك ان سلطان الله لا يهابك ! »

– وهذا أبو جعفر المنصور وقد اعترى الدولة الإسلامية وهن الترف وأفسدها بريق الجد ، يدخل عليه سفيان الثوري فيقول : لما قولك أنت يا أمير المؤمنين فيا أنفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم ، وقد قال عمر في حجة حَجّها وقد أنفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه : « ما أرانا إلا قد أجحفنا ببيت المال » .

— ويرى القاضي « أبو يوسف » أن يحلّف « الرشيد » في قضية ، وشهد عنده الفضل بن الربيع فردّ شهادته ، فعاتبه أمير المؤمنين: لم ردَدْتَ شهادته ، فقال القاضي : سمعته يقول لك : أنا عبدك ، فان كان صادقاً فلا شهادة للعبد وان كان كاذباً ، انه لكذلك !!

— وجد عليّ بن أبي طالب وهو خليفة درعه عند رجل نصرانيّ ، فأقبل به إلى شُريح قاضيه يخاصمه مخاصمة رجل من عامة رعاياه. وقال : انها درعي ، ولم أبع ولم أهب ، فقال شريح للنصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين . قال النصراني ما الدرع إلا درعي .. وما أمير المؤمنين عندي بكاذب ، فالتفت شريح إلى عليّ يسأله : هل من بيّنة ؟ فيضحك علي ويقول: أصاب شريح ما لي بيّنة .. فقضى القاضي بالدرع للنصراني ، فأخذها ومشى ، وأمير المؤمنين ينظر إليه .. إلا ان النصراني لم يخطُ خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد ان هذه أحكام أنبياء : أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه .. فيقضي لي عليه .. أشهد ان لا إله إلا الله ، وأشهد ان محمداً رسول الله . الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ..

— أرسل عمر إلى عبد الرحمن بن عوف يقترض منه أربعمائة درهم ، فقال له ابن عوف : أتسلفني وعندك بيت المال ؟ ألا تأخذه منه ثم تردّه ، فيجيبه عمر : اني أتخوّف أن يصيبني قدري ، فتقول أنت وأصحابك : اتركوا هذا لأمير المؤمنين ، ولكني أستلفها منك ، فإذا متّ جئتَ فاستوفيتها من ميراثي ..

— اسودّ لون عمر ، في عام المجاعة ، وهو أبيض ، فقيل له : ممّ هذه ، فيقول : انه كان يأكل السمن واللبن ، فلما أمحل الناس أكل الزيت مثلهم حتى تغيّر لونه .

— وقال عتبة بن فرقد لعمر، وقد زاره في بيته فرآه يأكل طعاماً خشناً لا يستطاب ، قال له : ألا تأكل في طعامك سميذاً ؟ فرد عليه عمر: بئس الخليفة أنا إذا أكلت طعاماً جيداً وتركت الناس يأكلون الخشن ..

— حدث في واقعة بدر ان معاذ بن عمر بن الجموع كرّ على أبي جهل ، وكان

محاطاً بزمرة من رجاله، فاخترق الناس إليه ، فضربه ضربة أصابت ساقه فهجم عكرمة بن أبي جهل على معاذ بضربة قطعت يده ، فطرحها على عاتقه ولكنها ظلت معلـّقة بجلدة من جثته فما زال معاذ يقاتل كل ذلك اليوم ويده تجرّ وراءه ولم يكن يبالي، فلما آذته يده وعاقته، جعل رجله عليها وتمطّى حتى انفصلت، فتركها وعاد إلى القتال ..

– وهذا عمر بن الخطاب، يعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش في الشام ، ويولـّي أبا عبيدة مكانه ، وخالد هو القـــائد الذي لم يهزم في معركة قط ، فلا تأخذه العزة فينسحب من الميدان أو يثور على الخليفة، بل يظل جندياً في معركة عقيدته بالعزيمة ذاتها ، لأنه إنما يقاتل في سبيل الله لا في سبيل عمر بن الخطاب..

– وهذا أبو عبيدة مع جنده في عمواس ، وقد أخذها الطاعون الفاتك ، ويخاف عمر على أمين الأمة فيدعوه ليلتمس له مخرجاً من الهلاك في كتاب يقول له فيه : « أما بعد فاني قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيهـــا ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألاّ تضعه من يدك حتى تقبل عليّ » .. وينظر أبو عبيدة في الكتاب فيدرك قصد عمر ، ويشعر انه إنما أراد أن يستلـّه من الوباء الفتـّاك ، فيقول : « يغفر الله لأمير المؤمنين » ، ثم يكتب إليه: « اني قد عرفت حاجتك إليّ ، واني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم ، حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضـــاءه ، فحلـّلني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي ». ويقرأ عمر الكتاب فيبكي ؛ فيسأله من حوله : أمات أبو عبيدة ؟ فيجيب والدمع يخنقه : « لا . وكأن قدِ » .. وقد مات أبو عبيدة في تلك الفاشية بعد أيام ..

ذلك هو إسلامنا .. يضع للحكم نظاماً راسخاً، ويضع للمال سياسة عادلة.. ينسق بين العبادة والمعاملة .. ويساوي بين العقيدة والشريعة .. ويمزج الأشواق المتطلعة إلى السماء بالنزعات اللاصقة بالتراب ، فلا رهبانيـــة في الإسلام .. ولا بهيمية في الإسلام ، قد وضعت الحدود لموازنة قوى النفس البشرية.. فلا يطغي فرد على فرد ، ولا فرد على جماعة .. لأنه دعوة تكافل لا صراع طبقات !

قد حرر الإنسان من عبـــادة أحد غير الله ، ومن الافتتان بأي شيء في الدنيا ، فلا يقف أمام أحد حسب أو نسب ولا مكان في حياة المسلم للخوف أو الأثرة أو الاستعلاء بالمال والجاه والسلطان ، واستطاع وحده أن يجعل المساواة الكاملة حقيقة واقعة أمام الله والقانون .. وحضّ على دفع الظـــلم الداخلي والخارجي ، وأنذر الذين يتخلـّون عن حقوقهم .. وأوجب الجهاد لحمايـــة الأوطان والمقدسات ، فقال الرسول الأعظم : « ان الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك ان يعمّهم الله تعالى بعقاب » ..

ذلك هو الإسلام فأين نحن منه اليوم ..

اننا نستحي اليوم أن ندعيه ولو بهتاً خشية أن نتّهم بالرجعية ..

لقد عشنا حتى أدركنا زمن، يكون فيه ما يقوله محمد وعمر سلـَفية وتأخر ، وما يقوله تلامذة الكفر وبطانات السوء وأسيادهم تقدمية وتحضّر ..

ذلك ان أولئك العملاء لا يهمّهم انتصار إسرائيل بقدر ما يهمهم تقويض الدين وتدمير الإسلام ..

الله أكبر .. نكون مسلمين، في بلد مسلم ، في دولة مسلم ، ثم نخشى أن نجهر بكلمة الحق ، اتقاء ان يستخفـّنا السفهاء منا !!

اننا في جاهلية عمياء ، وواجب المؤمن أن يصدع بأمر الله لنغيّر واقعـــاً أسود لا يمكن أن ندين له بالولاء ..

ويستفتونك فيما نحن فيه ، فنقول لهم : قتال المسلم للمسلم كفر ، وقتال المسلم للغزاة فرض ، ما قعد عنه إلا جبان ..

ونتلو عليهم تبصرة وتذكرة قوله تعالى :

« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا » ..

أمر الله أولى بالاتباع من أهواء الأفراد والجماعات !!

ـ ١٨ ـ

خطة وعهد

وُجد على حائط أحد المعتقلات النازية في « كولونيا » بخطّ أحد الأسرى:

انني أؤمن بالشمس حتى وهي غائبة ..

وأؤمن بالله حتى ولو لم يتدخّل ..

يتدخل الله حين نؤمن به ونغيّر ما في أنفسنا ..

وتشرق الشمس على المجاهدين لجعل كلمة الحق هي العليا ..

وإذا نحن أردنا أن نقول الحق ، يجب أن نطهر شفاهنا قبل أن نقول ..

إنما بالإيمان وحده تصنع المعجزات .. الدين مناعة لا تعدلها مناعة وقوة لا تفوقها قوة !

وويل للشجيّ من الخليّ ، وويل لعالم أمر من جاهله؟ ..

*

وبعد .. لقد اتضح لك يا أخي مما سقناه، ان المؤامرة الأمبريالية الصهيونية

على قوميتك وحضارتك وعقيدتك ، ما تزال في أوج غلوائها حتى تجهز على الذبيحة الجريح .. تفترس كل يوم موقعاً جديداً ، وتوظّف كل يوم عميلاً جديداً ، ولا يزال الذين كفروا في مرية منه .

أما نحن فنلقى البلاء بجبهة مصدّعة ، وأنظمة مُلَتَخّة ، ومنظمات محطّمة .. لأننا ضحايا المزاجية والشللية والارتجال !

بعض منظماتنا خرائب .. وبعض حكوماتنا عصابات !

وإسرائيل تضرب أية محاولة قبل أن تصبح خطراً مؤثراً ، تضربها من الداخل ، أو من الخارج سيّان !

هم يتآمرون ، ونحن نُعِدّ لهم أرضية التآمر !

يقولون : « مخرّبون » ، ونقدم نحن لهم أدلة الإثبات !

حين أصبح الفداء ظاهرة نبيلة ، أحلناه ظاهرة وبيلة !

بدل أن تحتضنه الدول العربية بالتنسيق والتنظيم ، زادته بلبلة وخبالاً ..

لكل دولة منظمة ، ولكل منظمة صداقات وعداوات وشعارات !

استمضنا عن تجمّع المحبة بتمزّق الكراهية ، والآلة الظالمة تطحن دون هوادة ..

يبلغ من عنفوان الصهيونية العالمية وقوتها ، انها تمنع الحكومة الأميركية ، أقوى الدول وأغناها ، عن إصدار « طابع » تذكاريّ لمناسبة عيد الميلاد بحجة ان الدستور الأميركي يفصل بين الدولة والكنيسة ، مستخفة بالمشاعر الدينية لمائتي مليون أميركي .. ويبلغ من تهالكنا ، وتخاذلنا نحن ، ان نقتات الفتات كالأيتام على موائد اللئام !..

يتداعى المفكرون في العالم لمعالجة أخلاقيات الشعوب المتردّية ، وثورات الطلاب المشبوهة التي تشكل ظاهرة من أخطر ظواهر المجتمعات ، ويرون ان العلاج الوحيد هو العودة إلى أخلاقيات الدين ..

ويتفصّح « هيكل » عندنا ، فيقول : « ان سبب ثورة الطلاب العالمية ، انها ثورة المواصلات التي أحدثت نوعاً من الاهتزاز في سلطة الدين .. أي ان

اهتزاز سلطة الدين عندنا ، أمر لا علاج له ولا مفر منه ، وهل تريد المؤامرة لنا غير هذا ؟..

بالأمس استمعت إلى الأمين العام المساعد في الجامعة العربية يقول : « ان اجتماع وزراء الإعلام القادم سيضع الأسس لتنسيق الجهد الإعلامي المنبثق من ضرورة وحدة الصف العربي » !

يا ويحكم .. يا خرابكم .. بعد كل الكوارث ، تفكرون أن تضعوا لنا أسس الدعوة ، وتؤكدوا على ضرورة وحدة الصف ..

ألا تسمعون ، ويحكم، نباح الإذاعات العربية ؟ ألم يأتكم نبأ النزيف القومي في عمان ، وغير عمان ..

حتى إسرائيل تشفق مما انحدرنا فيـــه .. فيقول معلقها ، صباح يوم ١٣-١-١٩٧١ : ان العربي فقد طعم الحياة من البلاء الذي يعيش فيه ، حتى لقد تغيرت المعالم « الفزيولوجية » للقادة والساسة العرب ، من هول التوتر الذي يقاسونه ، فأصبح القوام المشوق تبعجاً وترهلاً .. وآض بريق العيون احمراراً ، وصفاء الوجوه ازوراراً !

حتى إسرائيل تشفق علينا ، ولا نشفق نحن على آلامنا ..

يجتمع المسلمون في مؤتمرهم العتيد بكراتشي أواخر كانون الأول ١٩٧٠ من أجلنا ، بعد ان كدنا ندمر مؤتمري الرباط وجدة بخلافاتنا وأحقادنا ، فيثور جدل عنيف حول التباين في مواقف الـــدول العربية من قضيتها المصيرية ، ويصفعنا أكثر من وفد إسلامي بقولهم لنا : نريد أن نعرف أولاً ما تريدون ؟

للآن .. « لغاية تاريخه » .. لا نعرف بالتحديد ماذا نريد ؟ وماذا يراد بنا ، وماذا نريد من اخواننا أن يصنعوه لنا ؟

المؤتمر الإسلامي بالرغم من تخرصات السفهاء ، هو ظاهرة مضيئة في تاريخ هذه المنطقة ، وفي دعم قضيتنا المقدسة ، ومع ذلك ترسل بعض الدول العربية إليه أهزل وفودها لإثبات وجودها فقط لا غير ، وتأنف بعضها الآخر حتى عن مجرد حضوره لأن اسمه المؤتمر الإسلامي !!

حق في المياة الدولية ، لا نفهم كيف نتـخذ موقفــاً موحـّداً .. مجتمع الكراهية يلاحقنا إلى نيويورك !.. ألم يأتك نبأ القرار الدولي الأخير الذي يلحّ على ضرورة انسحاب إسرائيل الكامل من الأراضي المحتلة في حرب حزيران ، ويدين تملـّصها المستمر من تنفيذ القرار (٢٤٢) . فقد وافقت عليه بعض الدول العربية ، وعارضته بعضها ..

أعرفت ضياعاً يشبه هذا الضياع ؟!

تلك هي مواقفنا ونطالب من العالم أن يحترمنا ، وأن يدعم حقنا ، ويتفهّم قضيتنا .. أية قضية ؟.. أهي قضية واحدة مقدسة أم مصالح وطنية محليـة حزبية ، بعدد القادة والزعماء والمتفلسفين والمتشدقين !!

تذكرني البطانات والعصابات العربية المنتفعة بما جــاء في « إرشاد الأريب لياقوت الحموي » قال : « ان أحد التجار كتب إلى السلطان فخر الدين، يطلب الوزارة ، ويضمن كتابه ثمانية آلاف درهم ، ولكن الوزير الذي يشغل الوزارة دفع تسعة آلاف ليبقى حيث هو في سدة الحكم ، فأشرك السلطان كليهما في الوزارة، وجمع بينهما في النظر، ورتـّب أمورهما على أن يجلسا في دست واحد، فيكون التوقيع لأحدهما والختم للآخر ! وحينما عمّ الفساد وأصبحت الشرطة نهاب العيّارين والعصاة والمتمرّدين ، الذين تمادى أذاهم على أمن الدولة ومعاش الناس وسلامة الأحوال ، والافتراء على مذاهب الأمة ، لجأ السلطان إلى اختيار واحد من رؤوس العصاة وجعله آمراً على الشرطة » !..

وتذكرني بقولة « فولتير » حين بلغه ان أحد عظماء عصره باع نصف الخيول في اسطبلاته، قال معلقاً : « وددت لو باع نصف الحمير الذين يغصّ بهم بلاطه» !

كذلك حالنا في معظم الأقطار العربية : حكم عَضُوضٌ ، المنتفعون به لا يسأمونه ، والرازحون تحته لا ينكرونه !

يقول « هيكل » في مقاله بالأهرام يوم ٢٥ — ١٢ — ١٩٧٠ : « عند قبول مصر بمشروع روجرز ، حدث من المنظمات الفدائية تجاوز خطــير ، وبدأت جريدة « فتح » تشنّ هجوماً لا يمكن قبوله ضد مصر، وضد جمال عبد الناصر،

وتنشر سخافات كثيرة ، ظهر فيما بعد ان قيادة « فتح » لم تكن مسؤولة عنها بل المسؤول عنها هو جوّ المزايدات في اللجنة المركزية » ..

لماذا يكون تجاوزاً خطيراً وسخافات حينما يكون موجّهاً إلى مصر ، ولا يكون كذلك حينما يوجّه إلى الآخرين ؟!

لماذا تهتز الأرض والسموات ، حين يوجّه نقد ساذج لمصر ، ولا تهتزّ شعرة واحدة في الدول العربية إذا دُمّرَ الأردن !

كل دولة عربية تنشد السلامة ، ولو على حساب ضياع القضية وذل الآخرين!

التجاوز على مصر أمر خطير لا يمكن قبوله .. اما حين يكون التجاوز على الأردن فيهبّ الجميع ؛ ليصبّوا الزيت على الوقـود ، وليحشّوا على مزيد من التجاوز .. ومزيد من المجازر ، ومزيد من مسفوح النجيع !!

انتقاد مصر أو سوريا أو العراق .. أو حتى ليبيـا ، سخافات اما طعن الأردن ، فبركة وتنزيل من رحمان رحيم ؟

لماذا ؟.. لأن الأردن هو وطن القضية ، فتدميره يعفي القوم من مسؤوليات الجهاد ، ومعركة المصير ..

لأن تدمير الأردن يقضي على الجيش العربي وعلى العمل الفـدائي ضربة واحدة ، فلا تبقى قضية ، ولا تبقى قومية ، ولا يبقى دين ! وتصل المؤامرة البشعة ضد حضارتنا وقوميتنا وعقيدتنا إلى مداها .

الأمة العربية .. حاشا لله ، بل الدول العربية لعجزها عن مقتضيات الجهاد تفتش عن كبش للفداء ، فليكن الكبش ، الأردن أو المنظمات الفـدائية أو كليهما ، ما دام ذلك يعفيها من مسؤولياتها القومية والدينية ، ويعفيها من دفع المعونات والأتاوات لهذا الفريق أو ذاك !!

يا قوم .. يا ناس .. يا بشر .. يا غثاء السيل ..

وددنا والله لو ان نصفكم بما تستحقون ، لكننا نناقش مبادىء لا أشخاصاً ، ونتركـكم تتطوّقون بعاركم في صفحات التاريخ ..

اسمعوا يا ناس ان بقيت فيكم بقية من نخوة ومروءة ..

خلاصكم في المحبة بدل الكراهية ..

في الإيمان بدل الكفر .. في التوحّد بدل التمزّق ..

في العلم بدل الجهل .. في البناء بدل الدمار !

في مخافة الله بدل مخافة القادة والأحزاب !

في الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا !

لقد غثيَتْ نفوسنا والله في مجتمع الكراهية ، مجتمع السطحية والشلّلية ، والضحولة ، الذي أصبح مباءة لكل واغل ، لكل دخيل ، لكل عميل .. حتى سامه كل مفلس !

الأفكار المفنة ، الأقلام المراهقة ، صبيان المقاهي ، عبيد الشمارات يملؤون أجواءنا صخباً وضجيجاً ، يحدّدون لنا أهدافنا .. يرسمون لنا طريقنا ، يتصدّرون ليفتوا في الكارثة والمصيبة ، فيقول الواحد منهم ببساطة وهو يتسلّى ويلعب ، ويدجّل ويكذب: عندي كذا .. وعندنا كيت !! وكم والله وددت لو استطعت أن أصرخ في أولئك الغثاث : ويحكم ، من أنتم حتى يكون لكم « عند » ؟

وددت والله لو ملكت أن أذهب إلى أولئك السفهاء ، لأبصق في وجوههم ، وأعود أدراجي ..

أما أنتم يا إخواني :

يا إخوان قدري ومصيري .. يا أهلي وعشيرتي ..

خلافاتكم أضلت كبدي ، وذبحت روحي !

تفاهاتكم حزني الدائم وفجيعتي الباقية !

سخافاتكم ، أرقي وقلقي ، وعلّة نفسي !

جهالاتكم لهاث قلبي ، وأنين صدري ، وعويل كياني ! ألا من يعطيني فرحة الثأر ويأخذ حياتي ..

من يعيد إلي رجائي التائه ، ويأخذ ثمالة دموعي وبقية أيامي ..

*

وبعد .. لعلكم تتساءلون بعد هذا التفجّع والتوجّع ، ماذا تراني أريد أن أقول .. لقد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فاتِنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ..

ولعل قائلاً يقول : لو أنفقت مال الأرض جميعاً على ان تؤلّف بين قلوبهم ما استطعت ..

لكن من قال ان الإيمان والتشاؤم يجتمعان ..

الإيمان ، نور وهدى، وبرهان .. وكيف يكون متشائماً من آمن بالله وقضائه وقدره ؟

لقد كان الواحد من أسلافنا ، يلقى الكتيبة بكل ما حَفِلت فيستخفّ بوعيد الكتيبة لوعيـــد الله .. ويمضي لطيته لا يلوي على شيء حتى تتخضّب بالدماء محاسن وجهه .. لأنه يؤمن ان حياته موصولة ، وانه إنما ينتقل من دنيا الفناء إلى دنيا البقاء ..

وقسماً بعزّة الحق لو استطعت لو أحمل سلاحي وأذهب إلى لقاء ربي دفاعاً عن حقي ، لفعلت ..

فإذا لم يكن ما تريد فلا تُبَلْ شيئاً ..

ولا أقل من أن يجاهد المرء بقلمه ولسانه ، عائذاً بالله من الخيبة ، اما الهيبة فلا هيبة ، ومن عرف نفسه ، وعرف حقه ، هانت عنده الدنيا بما رحبت !

ولقد والله وضعت في كل حرف كتبت نسمةً من روحي ، حتى لتكاد المعاناة أن تصبح مناجاة .. وصيحة اليأس همس الرجاء ..

واني لأحسّ وقد حفزني التوّقُ إلى صـــدقٍ تطيب له نفسي ، انني قد أصفيْتُ أو كدتُ ، وبُحّ صوتي من طول ما هتفتُ ، لكنني لن أدع قلمي يسقط من يدي ، قبل أن أرسم مؤشرات طريق ، يهتدي بها « من سيءَ بهم ، وضاق بهم ذرعاً » الذين هم عن اللغو معرضون !

الحق أقول لكم ..

ان وضعنا اليوم سيّىء ، ووضع العدو مريح .. هم يحققون كل يوم كسباً ونحن نحمل كل يوم خزياً ..

عدونا لن يقبل إلا سلماً دائماً مضموناً ، تؤيده وتؤكده المنظمة العالمية والدول الكبرى ، خلافاً للقرارات والوعود .. سلماً متاحاً مؤثلاً ، يفتح له المجالات المغلقة ، ويمكّن له في قلب الوطن العربي الإسلامي ، يمزّق أجزاءه ويدمّر وحدته ..

والقبول بمثل ذلك السلم هو الاستسلام بعينه ، وصفقة شيطان كما يسميه « حسنين هيكل » إذ هو اعتراف مطلق بشرعية مؤسسة فاشستية عنصرية توسعية قامت على الاقتحام والقتل والبغي والتشريد .

وحين تتخلف هيأة الأمم المتحدة عن التمسك بقراراتها وتتخلى الدول الكبرى عن الالتزام بمقتضيات الحق والعدالة ، يصبح القبول بعروض السلم المتداولة جبناً منا وافتئاتاً علينا وذلّة لنا ، وابتغاء استمرار الأنظمة التي فرّطت وجازفت ، ثم خنعت وتراجعت ..

أما الشرف كل الشرف ، والنخوة كل النخوة ، والإيمان كل الإيمان ، فهو موقف الرفض الباتّ المطلق ، بكل ما في الرفض من إرادة وكبرياء ..

ان معركتنا مع عدونا هي معركة لا تنتهي ، حتى تندثر المؤسسة الصهيونية أو نندثر نحن ، حتى يرث الأرض من هم أحق بها وأقمن بحفظها.. ولذا لن تثبّط من عزماتنا هزيمة .. إنما هي معركة من معارك ، ووقعة من وقعات .. وهي ليست لهواً كما كنا نراها حتى اليوم ، بل هي جهد ناصب وبلاء نازل ، وهي خطّة وتدبير وعلم وإيمان ، وصمود وجهاد !

ولا والله .. لن ننثني وان نستخذي ولن نسأم ، ولن نيأس.. ولن يستخفنا بريق الجاه ، ولن يخدعنا متاع الغرور ، بل سنوطّد النفوس على كرهها في هذه الحياة الفانية ، ابتغاء ما عند ربنا ، وسنكون وقود المعركة حتى آخر الشوط !

وإذا ما عزمنا ان نكون حمَلة رسالتنا ، حفظة عقيدتنا ، استسهلنا التعب والنصب بل استهنا بالموت لتوهب لذرارينا الحياة !

علينا إذن ، هذا قضاء الله وقدره ، ان نعيش المعركة ، أن يظلّنا مناخها في كل آن ومكان .. في القرى والمدن ، في الحواضر والبوادي .. في مؤسسات

الدولة والجيش .. في المعمل والمدرسة والحقل .. فيما نقول ، وما نفعل آناء الليل وأطراف النهار ..

جهدنا كله للمعركة .. نتاجنا كله للمعركة .. موازناتنا كلها للمعركة ، برامجنا كلها للمعركة .. أموالنا كلها للمعركة .. أرواحنا كلها للمعركة .. لا نعرف شعاراً غير شعار المعركة .

والخطوة الاولى التي يفرضها علينا جوّ المعركة هي العودة الصارمة الحازمة إلى الدين .. إلى الإيمان بربّنا ، وثقتنا بأنفسنا ، وتقديسنا لقضيتنا ، لا نفرّط بشيء من ذلك ، ولو ملئت لنا الأرض ذهباً ، وأحضرت الأنفسُ الشحّ ..

فإذا استقر الإيمان في القلوب ، وعادت الثقة إلى النفوس قمنا هبّة واحدة ، نُلغي ما بيننا من تشاحن وتحاسد، وأحقاد وخلافات ، فنحيل مجتمع الكراهية والتباعد إلى مجتمع التكافل والتعاضد .. لكل مواطن فيه دور ووظيفة ، كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً .. ونستبدل بالفرقة والشتات وحدة وطنية متلاحمة في إطار وحدة قومية متماسكة ..

الخطوة الثانية : العمل حالاً على وضع جميع طاقات وإمكانات أمتنا المادية والبشرية في سياق المعركة !

الخطوة الثالثة : حشد وتعبئة قوى الأمة الضاربة القادرة المستطيعة للجهاد ، وإعلاء كلمة الله ، لا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي ، يجمعنا في نسق واحد إيماننا بالله وقدرنا المشترك ، ويؤلف بين قلوبنا ان مقدساتنا هي مقدساتهم وحضارتنا هي حضارتهم ، وتاريخنا هو تاريخهم ، ولا قيمة لنقيق الخوارج وهم قلة والحمد لله ..

الخطوة الرابعة : وقف ضخّ البترول العربي إلى أوروبا إلى أجل غير مسمى حتى يعود إلينا حقنا ، مهما كانت النتائج ، كسلاح من أشدّ أسلحتنا فعالية في معركة مصيرنا .. والاعتذار بأن ذلك يعيق المسيرة القومية ويعطل الدعم العربي لدول المواجهة ، هو حجة داحضة ، ومبررات انهزامية ، إذ ان الأرصدة العربية في المصارف الأوروبية والأميركية تفيض عن مقتضيات المعركة لمدة

طويلة تفوق مدى قدرة احتمال الدول الأوروبية لوقف الضخ ..

وقد آن لنـــا ان نعي ان إنفاق أموالنا في مرضاة الله أولى من إنفاقها في غضب الله ، والذين يجودون بأرواحهم في سبيل مصيرنا ووجودنا وبقـــائنا يستحقون منا ان نجود لهم بكافة أموالنا ..

الخطوة الخامسة : تكديس الأسلحة من كل جهـــة ، ومن كل مصدر ، لا استجداء مصحوباً بأذى الاشتراطات والالتزامات والقيود ، بل بأموال الأمة العربية الطائلة الغزيرة .. وأكبر وَهم يداخل الدول العربية البعيدة أن تحسب انها في نجوة من الخطر .. ان ما تقدمه من معونة ، هو ضريبة الدم ، لا تفضلاً ولا مَنّاً تجريه حين تشاء وتمنعه حين تشاء ، وتساوم على جراحاتنا كما تشاء لها الأهواء ..

الخطوة السادسة: تنظيف الجبهات الداخلية من الدخلاء والعملاء والمندسين.. وتنظيف المنظمات الفدائية بطرد المخالفين والمتمردين والمتآمرين .. وتنظيـف الأجهزة من الفاسدين والمنحرفين والمنتفعين ، وتنظيف أجواء الأقطار العربيـة من المزايدات والخلافات والأحقاد ..

الخطوة السابعة : ان نعيد القضية لأمتها الحقيقية ، الأمـــة الإسلامية ، ولأهلها المسلمين ، وقد آن لنـــا أن نفهم ان الحرب التي تشنّ علينا ، إنما هي حرب صليبية ، صهيونية ، دينية ، ضد ديننا وحضارتنا وتراثنا .. وحين يعي كل مسلم ان قضية فلسطين هي قضيته المقدسة ، لأنها جزء لا يتجزّأ من عقيدته ودينه ، نستطيع عندئذ أن نزعم اننا حقاً في جهاد مقدس لإنقاذ المقدّسات .

الخطوة الثامنة : رفض مطلق باتّ لكل سلم لا يحفظ كرامتنا، ولا يصون حقوقنا ، لأن التفريط بأي شيء مهما هان يجرّ بلاء أكبر ، ويقود إلى تنازلات أكثر، ومن يهن يسهل الهوان عليه ..

الخطوة التاسعة : تنسيق الحشد العربي في خطة واحدة وجبهـــة واحدة عسكرياً وسياسياً وفدائياً ، وإزالة كل رواسب عدم الثقة وسوء الظن .

الخطوة العاشرة : لقد عرفنا ان خطة إسرائيل هي أن تضرب كل جهد

عربي قبل أن ينمو ويشتدّ ، وان إسرائيل لا تفهم منطقاً غير منطق القوة . فليكن منطقنا التصميم على إرادة القتال والموت، وهذا يوجب علينا أن نعدّ كل عدة في دول الطوق ، فنبني المطارات ونكدّس الطائرات ، ونوظف الطيارين، ونؤجّر المرتزقة الذين تمتلىء بهم الدنيا ، مهما غلا الثمن ، لضربة قاضية قاصمة ، ولو كانت انتحاراً .. كما فعل بنا العدو ، مرة وثانية وثالثة دون أن نتعظ أو نتخذ للأمر أهبته؛حتى قال فينا الجنرال دايان: ان إسرائيل تكرر استراتيجيتها في حروبها مع العرب ، لأنهم لا يقرؤون ولا يعقلون ..

ولست والله أدري، كيف لم نفكّر للآن في تنظيم مسيرة سلمية يشترك فيها معنا قادة من الشعوب الإسلامية والشعوب الصديقة تتّجه إلى النهر ، وتخترق الحدود المصطنعة إلى مسجدها وصخرتها ومقدساتها ، فماذا ترى يستطيع الإسرائيليون ان يفعلوا ، ولو فعلناها نحن لأثرنا الدنيا كلها ، وليسقط منا من يسقط بالمئات وبالألوف ، وكيف نستحق شرف الجهاد ، وشرف الانتماء إذا تخلّفنا عن البذل والتضحية، ووالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا..

الخطوة الحادية عشرة : لا يقولن قائل ان ما رسمه هو وهم الصاحي وحلم الحالم .. وما قيمة الدنيا بلا حلم .. وهل تحقق دفع إنساني إلا بأيدي حالمين ؟

فلنبدأ من أول الطريق ، نحمي مسيرتنا من الانهزامية والمزاجية والشللية !

وليكن شعارنا العلم والإيمان !

وأول دعوانا كآخرها ، ثأر ولا شيء أقلّ من الثأر !

تلك في اعتقادنا ، بدهيات ، وأوليات ومسلمات ومؤشرات على الطريق ، وقواعد مكينة وخطوط عريضة ابنوا عليها ما شئتم واجتمعوا من جرائها ما أردتم ، ولتكن لنا مؤتمرات للبناء والحشد والصمود ، لا مؤامرات للتمزيق والشتات والدمار !

مسلمات نجعلها جزءاً من شرفنا ، ومظهراً لحميتنا ، ونعتنقها، تفكيراً وعملاً ونية ، ابتغاء وجه الله وحده .

أما المتخاذلون ، والمتردّدون ، والحزبيون من أقماع المهاترات وأبواق

الشعارات ، فليسوا منا في شيء ..

تعزّ الصفوف بنبذ الجبان كعزّتهـا بشجـاع هجم
وتحمى الحقوق بدفع الضعيف كدفعك عن حوضها من ظلم ..

وكل ما عدا ذلك ، مهما زينتموه ، وزيّن لكم هو بريق مضل ، وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ! هو سلم دائم لإسرائيل وويل دائم للعرب والمسلمين..

ويا رب انك تعلم ما في نفسي من فجيعة ، وما في قلبي من دموع ..

تدمع العينان ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الرب ، اللهم ان لم يكن بك عليّ غضب لا أبالي ..

هكذا قال رسولك الأمين ، وهكذا يقول عبيدك المؤمنون ..

وقد بلغت من لدني عذرا ..

والحمد لله أولاً وأخيراً ..

الفهرس

صفحة

ولقد هذا الكتاب [illegible] من أعلام الصحافة والفكر الأفذاذ ، مارس الصحافة العربية وعاشها بكل أعصابه ومشاعره ، حتى كان جزءا منها ، وكانت للعرب [illegible] ذاته ، وحسبه أنه كان أيام حرب الأيام الستة رئيسا [illegible] الملكية الأردنية الهاشمية .

عرف له عالم الفكر كتابه الأول « الإمارة ومعركة المصير » الذي وضع فيه النقاط على الحروف ببيان الأسباب التي آلت إلى النكبة ، بل [illegible] النكسة ، وكتبه بنخاع الفكر ، ودم القلب ، داعيا [illegible] الأمل التي أعقبت موات الرجاء ممثلة برمز الفداء .

[illegible] النكسة لم تلبث أن استحالت إلى [illegible] لها [illegible] الكلام الروحي ، [illegible] إلى منعطفات [illegible] ، [illegible] إلى [illegible] ، [illegible] الأحيان ـ إلا [illegible] الأساة أوجها عندما [illegible] لجميع الكراهية [illegible] من الداخل ، والمعركة [illegible] على أرض العرب .

[illegible] للناس ؟ .. كلا .. وهيهات للمؤمن أن [illegible] فينا من [illegible] الكلام .

[illegible] أمة العرب ودنيا الإسلام ، إن [illegible] الله أمره [illegible] الذين كانوا [illegible] ، وأراد التاريخ [illegible] ، وبان لدينا العروبة والإسلام [illegible]